المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد السادس
محرم ١٤٣٤هـ

https://dawa.center

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد السادس

محرم ١٤٣٤هـ

https://dawa.center

المشـــرف العـــام

أ. د خالد بن عبد الرحمن القريشي

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أ. د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. حمـــد بـــن ناصـــر العمـــار

أ. د. صـــالح بـــن عبـــدالله الفـــريح

أ. د. ســـليمان بـــن قاســـم العيـــد

د. إبراهيـــم بـــن صـــالح الحميـــدان

أمـين المجلـة

د/شبيب بن حسن الحقباني

ردمد: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

https://dawa.center

قواعـــد النشـــــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.

٢- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.

٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٦- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٨- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية- والانجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤.٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

المراســـلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢- ١١- ٠٠٩٦٦

موقع الجمعية الإلكتروني:

http://www.imamu.edu.sa/dawastud/index.htm

https://dawa.center

البحث رقم (١)

أهمية فقه الموازنات لدى الداعية
دراسة تأصيلية

إعداد

د.زينب بنت عبد الله الراجحي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الناصح الأمين نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد:

لا شك أن لهذا الموضوع أهمية بالغة، فلقد عظمت الحاجة إليه في كل زمان، ولاسيما في هذا العصر؛ حيث زيادة المستجدات، وكثرة الوقائع والنوازل، وتداخل المصالح والمفاسد وتجاذبها في حياة الناس، فمدار الشرع والواقع مبني على المصالح و المفاسد، فما من مسألة صغيرة أو كبيرة إلا وهي مبنية على المصالح والمفاسد.

وحيث إننا نعيش اليوم في واقع يختلف كثيراً عن واقع الأمس، وذلك نتيجة للمتغيرات السريعة والمتلاحقة؛ الأمر الذي يتطلب معه التفكير والدراسة وحسن التعامل مع الواقع لا سيما من قِبل الداعية؛ لكثرة اختلاطه بالناس على اختلاف أجناسهم وتباين ثقافاتهم، ففقه الموازنات يحتاج إلى دراسات متتابعة في جوانبه التطبيقية، لاسيما عند النوازل والمستجدات التي تحتم ترجيح المصالح ودرء المفاسد وفق معايير دقيقة؛ وسوف أقوم من خلال هذا البحث على تأصيل هذا الفقه المهم والذي سأتناول فيه:

١- مفهوم فقه الموازنات وأدلته الشرعية .

٢- منهج الصحابة وسائر السلف الصالح في فقه الموازنات .

٣- أهمية فقه الموازنات للداعية .

٤- ثمار العمل بفقه الموازنات والمفاسد المترتبة على تركه.

التعريف بمصطلحات البحث:

١ – تعريف الفقه:

كلمة الفقه في اللغة:الفهم، وقيل: هو الفطنة، أي: المهارة والحذق في التوصل إلى النتائج من المقدمات، يقال: فَقُه الرجل فقاهة إذا صار فقيهاً، وفَقِه: أي فهم فقهاً، ورجل فقيه: أي عالم [١].

وغلب على فقه الدين؛ لسيادته، وشرفه وفضله على سائر العلوم[٢].

وهناك من العلماء من يرى أن الفقه أخص من العلم، قال الراغب الأصفهاني: الفقه هو: التوصل إلى علمٍ غائبٍ بعلم شاهد؛ فهو أخص من العلم [٣].

أما الفقه اصطلاحاً فهو: العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية.

فلما كان هذا العلم مستنبطاً من أدلة التشريع الإسلامي التي أساسها كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، أطلق على هذا الفقه بأنه فقه إسلامي، أي أن التشريع الإسلامي هو مصدره ومستنده.

وكلمة (فقه) التي أنا بصدد الحديث عنها هي الخاصة بمن بلغ درجة عالية في علم ما تخصص به، فكل علم من العلوم المختلفة فيه أصول تُبنى

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث، د.ط[مكتبة نزار: د.م د.ت] ص٤٠.

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: محمد العرقسوسي، ط٨[بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ]، ١/١٢٥٠،وانظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون،د.ط [د.م: دار الجيل، ١٤٢٠هـ]، وانظر لسان العرب، ابن منظور، مادة (فقه)، ١١/٢٦٥.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٤٠.

عليها مسائله الفرعية، فمن فهم هذه الأصول جيداً سهُل عليه معرفة ما يتفرع منها في ذلك العلم، وإن كانت مسائل جديدة، وذلك لتمكنه من رد المسائل لأصولها .

٢- معنى الموازنات:

الموازنة في اللغة: مشتق من الفعل وازن، قال ابن منظور في لسان العرب: وازنت بين الشيئين موازنة ووزاناً، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه .[١]

وأما استعمال هذا اللفظ عند الفقهاء: فيكون فيما يقع فيه التعارض بين المصالح والمفاسد، حيث يقدم خير المصلحتين عند تزاحمهما فيجلب خيرهما، ويقدم شر الشرين فيدفع، وكذا تقدم المصلحة إذا كانت أعظم من المفسدة، وتدفع المفسدة إذا كانت أعظم من المصلحة عند التعارض وعدم إمكان الجمع .

أما إذا تساوت المصالح والمفاسد وهذا ما يُسمى بالتساوي الظاهري أو التقريبي، فيقول الإمام العز - رحمه الله- "والوقوف على تساوي المفاسد وتفاوتها عزيز، ولا يهتدي إليها إلا من وفقه الله تعالى، والوقوف على التساوي أعز من الوقوف على التفاوت، ولا يمكن ضبط المصالح والمفاسد إلا بالتقريب "[٢].

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (وزن)، ٢٠٦/١٥ .

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ،عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله- ٧/١-

٣- الداعية:

الداعية في اللغة: مفرد دعاة، وهو الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والهاء للمبالغة [١] .

والداعي اصطلاحاً: هو المكلف شرعاً بالدعوة إلى الله [٢] .

٤- معنى تأصيل:

للوقوف على المراد بهذه العبارة، اقتضى البحث الرجوع إلى المعاجم اللغوية وكتب التعاريف حيث ورد فيها ما يوضح معنى التأصيل.

فالتأصيل مأخوذ من الأصل وهو: الأساس، قال ابن منظور-رحمه الله- الأصل: أسفل كل شيء، وجمعه: أصول، والألف والصاد واللام أصل يدل على أساس الشيء، و أَصَّلْتُهُ تَأْصلاً: جعلت له أصلاً ثابتاً يبنى عليه غيره، وأَصَّلَ الشيء: جعل له أصلاً ثابتاً يبنى عليه[٣].

ومن خلال ما سبق يكون معنى التأصيل اصطلاحاً: إرجاع القول و الفعل إلى أصل و أساس يقوم ويُبنى عليه .

ولا شك أن القرآن والسنة هما أصل العلوم وأساسه، فالتأصيل هو بيان الأصل من كتاب الله ﷻ، أو من سنة رسوله ﷺ، أو من سنة الخفاء الراشدين ﷺ .

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار بخيت،ط١ [القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ] ص٧٤٩ .

(٢) أصول الدعوة، د.عبد الكريم زيدان، ط٢[بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ] ص٣٠٥.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ط١[بيروت: دار صادر،د.ت] مادة: أصل، ٥٤/١، وانظر مختار الصحاح، محمد الرازي، تحقيق: محمود خاطر، د.ط [بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ]، ٦٢/١.

مما سبق يتضح أن فقه الموازنات: هو العلم والفهم الذي يمكِّن الداعية من الموازنة بين المصالح والمفاسد، أو بين المصالح نفسها، أو بين المفاسد لتكون دعوته على بصيرة .

وقد عبر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن هذا بقوله: "وإنها ترجح -أي الشريعة- خير الخيرين، وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين، بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما "[1].

أهمية الموضوع:

يحقق هذا الموضوع كمال الشريعة وشمولها لحياة الناس، ورعايتها لمصالحهم، وحفظها لحقوقهم، ومسايرتها لمستجداتهم، فأصبح هذا الموضوع مدار الاجتهاد.

فالشريعة الإسلامية مبنية على اليسر ورفع الحرج، وأدلة ذلك غير منحصرة، فاستقراء أدلة الشريعة قاض بأن الله ﷻ جعل هذا الدين رحمة للناس، بما يحويه من يسر ورحمة، كما أن أصل بعثة رسول الله ﷺ مبنية على الرأفة، والرحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2] ولهذا جاء في الحديث الذي رواه ابن عباس ﷺ قال: سُئِلَ النَّبِيُ ﷺ: أيّ الأَدْيَان أَحَبّ إِلَى الله ﷻ ؟ قال: " الحنيفية السمحة ".[3]

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية-رحمه الله- د.ط [المدينة النبوية: مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ] ٢٠/٤٨ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧) .

(٣) رواه الإمام البخاري -رحمه الله- في الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣ [بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ]، ١/١٠٨. والحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام ، والحنيف في اللغة: من كان على ملة إبراهيم، وسمي إبراهيم حنيفا لميله عن الباطل إلى الحق؛ لأن أصل الحنف الميل، والسمحة: السهلة، أي: أنها =

ولا شك أن الإسلام أتى لتحقيق مصالح العباد، وتلبية احتياجاتهم، وفقه الموازنات يبين بجلاء شمولية الإسلام، ومدى تلبيته لمتطلبات مناحي الحياة المختلفة، لا سيما في النوازل والقضايا المستجدة، ومنها القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدعوية والطبية وغيرها .

ولأهمية فقه الموازنات فقد اهتم العلماء بالتأليف فيه قديماً، ولعل الإمام العز بن عبد السلام هو أبرز من ألف في هذا الموضوع في كتابه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، كما نال هذا الموضوع رعاية العلماء، وعنايتهم الفائقة به، فقد وضعوا له الضوابط، ورسموا المنهج وأسسوا القواعد، وبنوا عليه فتاواهم وأقضيتهم وأحكامهم، وسائر تصرفاتهم .

وقد حاولت المساهمة بالبحث والكتابة فيه بأسلوب علمي ومنهجي، وجاءت دراستي لفقه الموازنات مبينة لمفهوم هذا الفقه وتأصيله، وبيان مشروعيته ومدى الحاجة إليه لا سيما في الدعوة إلى الله، وبيان المنهج الذي سار عليه الصحابة الكرام والسلف الصالح ﷺ في فقه الموازنات ليأخذ به الدعاة وليقتفوا أثرهم؛ ليكونوا على منهج سلفي سليم، كما بينت ثمار العمل به والمفاسد المترتبة على تركه .

= مبنية على السهولة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

انظر: فتح الباري،الحافظ ابن حجر -رحمه الله- ترقيم وترتيب:محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، د.ط [دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ] ١٧/١.فملة الإسلام هي التي كان عليها إبراهيم عليه السلام، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ والمؤمنين باتباعها، فقال ﷻ: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

أهـداف البـحث:

١- بيان مفهوم فقه الموازنات وأدلته الشرعية .

٢- بيـان المـنهج الـذي سـار عليـه الصـحابة والسـلف الصـالح في فقـه الموازنات .

٣- بيان أهمية فقه الموازنات في حياة الداعية .

٤- بيان ثمار أخذ الداعية بفقه الموازنات والمفاسد المترتبة على تركه .

منهـج الدراسـة:

سوف تقوم الباحثة -بإذن الله تعالى- باستخدام المنهج الاستقرائي من خلال حصر كافة الجزئيات المتعلقة بموضوع البحث، ويعرف هذا المنهج بأنه: (تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً) أو هو: (انتقال الفكر من الحكم على الجزئي إلى الحكم على الكلي، الذي يدخل الجزئي تحته) [١] .

ولا غـنى للباحثـة عـن المـنهج الاسـتدلالي؛ وذلـك لأن هـذه الدراسـة تأصيلية، ولا بد من الاستدلال بالكتاب والسنة، وعرض ما طبقه الصحابة الكرام ﷺ والتابعون لهم بإحسان

ويعرف المنهج الاستدلالي بأنه: (ربط العقل بين المقدمات والنتائج أو بـين الأشـياء وعللهـا علـى أسـاس المنطـق والتأمـل الـذهني؛ فهـو يبـدأ بالكليات ليصل إلى الجزئيات) [٢].

(١) ضوابط المعرفة، د. عبد الرحمن حنبكة الميداني، ط٢٢ [د.م: دار المعرفة، ١٤٠١هـ]، ص١٩٠ .

(٢) البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، ط١[جدة: دار الشروق، ١٤٠٣هـ] ص٤٩.

وهناك مجموعة من الضوابط التي سوف تلتزم الباحثة أثناء هذه الدراسة، وهي على النحو التالي:

١- عزو الآيات القرآنية الكريمة، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية، وقد جعلت

ذلك في الهامش، مبتدئة باسم السورة، ثم رقم الآية .

٢- الحرص على تقديم ما في الصحيحين من أحاديث عما سواهم، وإذا ورد الحديث في غير الصحيحين، فإنني أقوم بتخريجه، واجتهدت في بيان الحكم عليه .

٣- توثيق النقول من المصادر الأصيلة، ولا أقدم المتأخر إلا عند الحاجة لذلك، والحرص على تعدد المصادر في المعلومة الواحدة ما أمكن ذلك.

٤- قمت بعمل الهوامش حسب قواعد البحث العلمي، مراعية عند النقل من أي مصدر أو الاستفادة منه الإشارة إلى اسم الكتاب أولاً، فالمؤلف، فالمحقق إن وجد، ثم رقم الطبعة، ومعلومات النشر وهي: بلد النشر، ثم الناشر، وتاريخ النشر وتكون بين قوسين، وفي حالة عدم ذكر بلد النشر أشير بالرمز: د. م، أو الناشر بالرمز د. ن أو تاريخ النشر بالرمز د.ت، ثم رقم الجزء والصفحة يفصل بينهما بالخط المائل (/)، وإذا تكرر ذكر المصدر، اقتصر على ذكر الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة، وإذا نقلت الباحثة المعلومة بالمعنى أو تصرفت فيها بإضافة أو حذف، بدأت التوثيق بعبارة (انظر) .

تقسيم البحث

المقدمة وتحوي خطة البحث المشتملة على

١. التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

٢. أهمية الموضوع .

٣. أهداف البحث.

٤. نوع البحث ومنهجه.

وقد قسمت البحث إلى تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم فقه الموازنات وأدلته الشرعية .

المبحث الثاني: منهج الصحابة وسائر السلف الصالح في فقه الموازنات .

المبحث الثالث: أهمية فقه الموازنات في حياة الداعية .

المبحث الرابع: ثمار أخذ الداعية بفقه الموازنات والمفاسد المترتبة على تركه

الخاتمة وتحتوي على:

- أهم النتائج والتوصيات .
- أهم المصادر المراجع .

التمهيد

الحمد لله، أحمده سبحانه وتعالى وأثني عليه الخير كله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله الداعي إلى صراط الله المستقيم، الذي أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده.

إن موضوع فقه الموازنات من الموضوعات المهمة لا سيما في هذا الزمن الذي اختلطت فيه الأمور على كثير من الناس فإذا تعارضت المصالح والمفاسد فإنه يتبع القاعدة الفقهية (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) وينظر إلى حجم كل من المصلحة والمفسدة ، وأثرها ومداها .

وقد يكون الإنسان أمامه مصلحتان، فإذا تعارضت المصلحتان فلابد أن يراعي أيهما أهم وأقوى، فيترك المصلحة الصغرى من أجل المصلحة الكبرى، أو المصلحة العارضة من أجل المصلحة الدائمة، أو المصلحة التي تتعلق بأفراد من أجل المصلحة التي تتعلق بمجموعات أو المصلحة الشكلية من أجل المصلحة الجوهرية، وتقدير المصالح والمفاسد يرجع لأهل الاختصاص، وسأتحدث عن هذا الموضوع المهم من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول

مفهوم فقه الموازنات وأدلته

المطلب الأول

مفهوم فقه الموازنات

فقه الموازنات نعني به عدة أمور:

أولاً: الموازنة بين المصالح المتعارضة، فالأكبر مصلحة يقدم على ما هو أقل منه مصلحة، سواء من حيث التأثير، أو البقاء، أو العمق وهكذا .

ثانياً: الموازنة بين المفاسد المتعارضة، فأيها ينبغي أن يقدم أو يؤخر، وأيهما أكبر أثراً فيتم إسقاطه، وهكذا من تلك الحيثيات التي تم ذكرها في المصالح .

ثالثاً: الموازنة بين المصالح والمفاسد إذا تعارضتا، وهذا ما يقع فيه الخلاف نتيجة عدم التصور السليم للمفاسد والمصالح، وإضافة إلى أن الموازنة لا تخضع لميزان شخصي إنما وفق قاعدة فقهية وهي:" درء المفاسد مقدم على جلب المصالح " فهنا ينبغي معرفة متى نقدم درء المفسدة على جلب المصلحة، ومتى نسمح بالمفسدة من أجل المصلحة، وهذا يحتاج إلى فهم عميق، وتفكير سديد .

ومن هنا يمكن القول بأن تعريف فقه الموازنات هو: فهم القواعد والأسس المبنية على معايير معينة لضبط الموازنة بين المصالح والمفاسد المتعارضة .

مسألة: تساوي المصلحة مع المفسدة:

ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- أن التساوي بين المصالح والمفاسد غير واقع، ويعلل ذلك بأن الشيء إما أن تكون مصلحته راجحة على مفسدته أو العكس، ويقول بأن هذا مما لم يقم عليه دليل إثبات، بل نفيه هو ما قام عليه الدليل، فلا بد إذا تقابلت اللذة والألم، والمفسدة والمصلحة، والنفع والضرر، من أن يغلب أحدها الآخر فيحكم للغالب منها، ويقول: (وأما أن يتدافعا ويتصادما بحيث لا يغلب أحدهما الآخر، فغير واقع)[1].

أما عند الإمام العز بن عبد السلام-رحمه الله- وكذلك الإمام محمد بن عاشور-رحمه الله- نجد تقريراً بأن وقوع التساوي بين المصالح والمفاسد غير ممتنع، سواء لتساوي المصالح فيما بينها، وتساوي المفاسد فيما بينها، وحتى تساوي المصالح والمفاسد[2].

قال الإمام العز بن عبد السلام-رحمه الله- (إن اشتمل فعل على مصلحة و مفسدة، فالعبرة بأرجحهما، فإن استويا فقد يخير بينهما)[3].

فمثلاً إذا تساوت المصالح مع المفاسد، فإن تمكنا من تحصيل المصلحة ودرء المفسدة في آن واحد فحسن، وإن لم نتمكن من الجمع بين التحصيل و الدرء، قدمنا دفع المفسدة على جلب المصلحة ولو نجم عن ذلك حرمان من منافع عملاً بقاعدة: (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)[4].

---

(١) إعلام الموقعين.

(٢) انظر: القواعد الكبرى، العز بن عبد السلام،و انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، الإمام محمد بن عاشور.

(٣) القواعد الكبرى ، ص٤.

(٤) انظر: الأشباه والنظائر لابن السبكي (١/١٠٥)، وللسيوطي ص٩٧، ولابن نجيم ص ٩٠.

ومن الأمثلة التي ذكرها العلماء لهذه القاعدة:

أدفع الموت عن النفس بموت الغير، كأن يهدد شخص بالقتل إن لم يقتل غيره، فهنا تساوت مصلحة الحفاظ على النفس مع مفسدة إزهاق نفس الغير، لكن بما أن القتل مجمع على تحريمه، والصبر مطلوب في حق من أكره على ذلك، فإن درء قتل الغير مقدم على درء قتل النفس[1] .

(١) قواعد الأحكام (١/٧٩-٨٣).

المطلب الثاني

مشروعية فقه الموازنات

عنيت الشريعة الإسلامية بمصادرها المختلفة من الكتاب والسنة والإجماع بفقه الموازنات عناية كبيرة جداً، كما دل أيضاً على مشروعيته العقل، ففي ثنايا نصوص الوحيين يتبين حفظها لحقوق الناس، ومسايرتها لمستجداتهم، وتغطيتها لحاجتهم، فالمتدبر للقرآن الكريم، يجد فيه أدلة كثيرة على فقه الموازنات ومن هذه النصوص:

أولاً: نصوص القرآن الكريم:

١- قوله تعالى على لسان هارون لأخيه موسى عليه السلام ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[1] وقد أمر موسى عليه السلام هارون عليه السلام سابقاً أن يبقى في قومه كما قال تعالى: ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2].

وأيضاً في الموازنة بين المفاسد والأضرار نجد في قصة الخضر مع موسى مواقف تدل على فقه الموازنات من خلال التعليل لما قام به وهي:

---

(١) سورة طه، الآية: (٩٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٤٢).

أ/ قوله تعالى على لسان الخضر في تعليل خرق السفينة: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (١).

فالمصلحة أن تبقى السفينة لأصحابها وبها خرق أهون من أن تضيع كلها، فحفظ البعض أولى من تضييع الكل . (٢)

ب/ قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾(٣)، فالمصلحة في قتل الغلام أكبر من مصلحة وجوده مع والديه .

ج/ قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾(٤)، فمصلحة بناء الجدار الذي تحته كنز الغلامين اليتيمين أكبر من مصلحة أخذ الأجر عليه .

ومن أبلغ ما جاء في الموازنات قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ

---

(١) سورة الكهف، الآية: (٧٩).

(٢) انظر: القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام،العز بن عبد السلام-رحمه الله- تحقيق:نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية، د.ط[دمشق: دار القلم، د.ت] ١/ ١٧ .

(٣) سورة الكهف، الآيتان (٨٠-٨١) .

(٤) سورة الكهف، الآية: (٨٢) .

﴿ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[1]، فالقتال في الشهر الحرام كبير، ولكن لمقاومة ما هو أكبر منه، قال الحافظ بن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (وما صنعتم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام، حين كفرتم بالله، وصددتم عنه محمداً ﷺ وأصحابه، وإخراج أهل المسجد الحرام منه، حين أخرجوا محمداً ﷺ أكبر من القتل عند الله).[2]

كما أن القرآن اعتنى بالموازنة بين المصالح المعنوية والمادية ، كما قال ﷻ عقب غزوة بدر: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[3]

فهذه الآية الكريمة تدل على أنه في معركة بدر تعارضت مصلحتان – الفدية والقتل – وأن هاتين المصلحتين متفاوتتان في النفع، وأن أعظمهما نفعاً هو القضاء على الأسرى لما فيه من قطع لدابر صناديد المشركين وكسر لشوكتهم، ولذلك كان يجب تقديم قتل الأسرى على افتدائهم؛ فالقضاء على الأسرى مصلحة معنوية، وأخذ الفدية مصلحة مادية، وقد بين القرآن الكريم أن المصلحة المعنوية كانت هي الأولى بالتقديم والعمل؛ لأنها الأنسب في تلك المرحلة، بل إن القرآن الكريم عاتب على اختيار المصلحة المادية[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢١٧) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير-رحمه الله- د.ط[دار طيبة، د.م: ١٤٢٢هـ] ص٥٧٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية (٦٧) .

(٤) انظر: منهج فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، د.عبد المجيد محمد السوسة، ص٤.

وفي الموازنة بين المصالح والمفاسد نقرأ قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[1] ، فعندما نوازن ونقارن بين الإثم الحاصل من الخمر والميسر، نجده أكبر من النفع الحاصل بهما، كما دلت عليه الآية الكريمة، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- (ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة، لتعلقها بالعقل والدين).[2]

وقد أشار الإسلام عن الموازنة بين الجماعات والقوى غير المسلمة بعضها وبعض، والمتأمل في أوائل سورة الروم في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3] يجد فيها انتصار للروم على الفرس، وكلا الفريقين غير مسلم؛ لكن الروم أهل كتاب؛ فهم أقرب إلى المسلمين من المجوس عباد النار.

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: (وفرح المؤمنين بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان)[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير-رحمه الله- مرجع سابق، ص٥٧٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، د.ط[د.م، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت]ص٥٧.

(٣) سورة الروم، الآيات (١-٥) .

(٤) جامع البيان عن تفسير آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري، د.ط [مصر: دار المعارف، د.ت] ص٦٨ .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1]، فوجه الدلالة في هذه الآية الكريمة:أن الله ﷻ نهى عن سب آلهة المشركين؛ لأن ما يشتمل عليه السَّب من مفسدة أعظم بكثير من ما سيحققه من مصلحة، فإذا كان في السَّب مصلحة وهي إهانة آلهة المشركين، وتحقير لدينهم، فإن فيه مفسدة أكبر وهي دفع المشركين إلى سب الله ﷻ، فنهى الله عن سب آلهة المشركين مع أن فيه مصلحة؛ وذلك درءاً لمفسدة أكبر[2] وهذا يدل على أنه إذا تعارضت مصلحة ومفسدة، وكانت المفسدة أعظم من المصلحة فتترك المصلحة من أجل درء المفسدة .

قال الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين، ومن هذا المعنى ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: لا تبتوا الحكم بين ذوي القرابات مخافة القطيعة)[3].

وفي قول عمر ﷺ من المصالح العظيمة التي تحث على الموازنة فيما يتعلق بحقوق القرابات منعاً من مفسدة القطيعة؛ لأنها أعظم ضرراً .

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠٨) .

(٢) انظر:نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، حسان حامد حسان،د.ط[القاهرة: مكتبة المتنبي، ١٩٨١م] ص١٢٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ص٥٦.وانظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، الإمام محمد بن علي الشوكاني، د.ط [بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ] ص٤٤٠.

ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الحكم على النَّاس وتقييمهم قائم على الموازنة بين السلبيات والإيجابيات، وبين المصالح والمفاسد، ومراعاة قَدْر من يتكلم فيه في العلم، ومقامه في الدين، ومكانته بين الناس، والتنبُّه للزمان والمكان الذي يعرض فيه النقد، ولمن يعرض، فأهميةُ التوازن في نقد الرجال من ضرورات العدل والإنصاف مع كل أحد، فعرض المخالف بصورة الشر المطلق، أو الموافق بالخير المطلق - ينافي منطق العقل وحال الواقع، ومنهجُ أخذ الكُل أو رد الجُل يمنع خيرًا جمًّا، ويغلق سُبلاً عدة، ومما قال -رحمه الله-: (وليس مما أمر الله به رسولَه، ولا مما يرتضيه عاقل - أن نقابل الحجج القوية بالمعاندة والجحد، بل قول الصدق والتزام العقل لازمٌ عند جميع العقلاء، وأهلُ الإسلام أحقُّ بذلك من غيرهم؛ إذ هم ولله الحمد أكملُ الناس عقولاً، وأتَمُّهم إدراكًا، وأصحُّهم دينًا، وأشرفهم كتابًا، وأفضلهم نبيًّا، وأحسنهم شريعة)[1].

قال الإمام الذهبي -رحمه الله-: (ثم إنَّ الكبير من أئمة العلم إذا كثُر صوابه، وعلم تحرِّيه للحق، واتَّسَع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحُه ووَرَعُه واتِّباعه، يغفر له، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه)[2].

(١) درء تعارض العقل مع النقل، شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ٥/ ٣٥٨ .

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي-رحمه الله- ٣٤/١٠٤-١٠٨ بتصرف .

ثانياً: نصوص السنة النبوية:

لقد جاء في السنة النبوية عدد من الأحاديث الدالة على مشروعية فقه الموازنات في صوره الثلاث وذلك على النحو الآتي:

أولاً: فيما يتعلق بالموازنة بين المصالح

ورد عدد من الأحاديث منها:

١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَ[1] فهذا الحديث يدل على أفضلية الأعمال الشرعية، وبيان الموازنة في تقديم بعضها على بعض عند التعارض .

٢- وعَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:"رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّان " [2]، وجه الدلالة: الأجر العظيم المترتب على الرباط يوم وليلة فقط، بالمقارنة مع صيام شهر وقيامه موازنة بين الثواب المترتب على العملين .

٣- عن هُرَيْرَةَ قَالَ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٌ فَأَعْجَبَتْهُ لِطِيبِهَا فَقَالَ لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا

---

(١) رواه الإمام البخاري-رحمه الله - في صحيحه، د.ط [دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ] كتاب: الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، برقم /٦١٣، ٢/٤١٥. والإمام مسلم-رحمه الله- في صحيحه، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة، برقم / ١٠٤٤، ٥ /٨٥١ .

(٢) رواه الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضل الرباط في سبيل الله، برقم /٣٥٤٤، ٣/٥٦.

الشِّعْبِ وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ اغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجنَّة" (١)، وجه الدلالة من هذا الحديث: أن مخالطة الناس، والجهاد في سبيل الله ﷻ ولو قليلاً خير من الاعتزال والتعبد .

ثانياً: فيما يتعلق بالموازنة بين المفاسد المتعارضة إذا اضطر إلى إحداها:

ورد عدد من الأحاديث عند تعارض المفاسد إذا أضطر إلى إحداها منها:

١- ما رواه الإمام الترمذي-رحمه الله- عن بسر بن أرطاة قال: سمعت النبي ﷺ يقول:"لا تُقْطَع الأَيْدِي في الغَزْو". (٢)

وجه الدلالة من هذا الحديث:أن القطع في السرقة حد من حدود الله ﷻ يجب إقامته، لكن نهى رسول الله ﷺ إقامته في الغزو لحكمة عظيمة؛ ودفعاً لأعظم المفسدتين، وهي مخافة لحوق المقطوع بالمشركين .

٢- ما رواه أبو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ "دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"(٣)، فعند النظر في هذا الحديث، نجد أنه قد تضمن موازنة بين مفسدتين:

---

(١) رواه الإمام الترمذي -رحمه الله- في سننه، برقم /١٦٥٠،٤/١٨١، وقال: هذا حديث حسن، وأورده الألباني -رحمه الله- في السلسلة الصحيحة، رقم/٩٠٢، ٢/٦٠٣.

(٢) رواه الإمام الترمذي-رحمه الله- في سننه، برقم/ ١٤٥٠، ٤/٥٣، وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الإصابة: وسنده قوي ١/١٤٧، ورواه الإمام أحمد-رحمه الله- في مسنده، برقم/ ١٧٦٦٣ ، ٤/١٨١، ورواه الإمام أبو داود-رحمه الله-في سننه، برقم/ ٤٤٠٨، ٤/١٤٢، ولفظه "لا تُقْطَع الأَيْدِي في الغَزْو".

(٣) رواه الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، برقم / ٢١٥، ١/٦٨٣.

الأولى: مفسدة بول الأعرابي في المسجد .

والثانية: مفسدة ترويع الأعرابي الذي قد يؤدي إلى نفوره عن الدين، وبما أن مفسدة ترويع الأعرابي أكبر من مفسدة بوله فقد درأت المفسدة الكبرى بما هو أدنى منها، لذلك فقد نهى النبي ﷺ أصحابه عن زجر الأعرابي اتقاءً ودرءاً لمفسدة الترويع . (١)

وأقول: قوله ﷺ "دَعُوه" فهذا لمصلحتين إحداهما: أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وقد حصل التنجيس في جزء يسير من المسجد فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد.

والثانية: التيسير وعدم تنفير الإعرابي كما ورد في الحديث، وقد ذكر الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في ثنايا ما يُستنبط من هذا الحديث ما يشهد لضرورة الموازنة فقال: (قال ابن دقيق-رحمه الله-: لم يُنكر النبي ﷺ على الصحابة، ولم يقل لهم لِمَ نهيتم الأعرابي؛ بل أمرهم بالكف عنه للمصلحة الراجحة وهو تحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما) (٢).

٣- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ). (٣)

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح الإمام مسلم -رحمهما الله- ٣/٦٤٢.

(٢) فتح الباري، الحافظ ابن حجر-رحمه الله- ١/٣٢٥ .للاستزادة انظر: مجلة البحوث العلمية الإسلامية،العدد ٨٨، الإصدار من رجب إلى شوال، ١٤٣٠هـ،ص٢٧٧-٢٨٢،وانظر موقع:
http://www.alifta.net/Fatawa/

(٣) رواه الإمام مسلم-رحمه الله- في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: مباعدة النبي ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انته، برقم/٢٣٢٧، ٤/٤٧٦.

ثالثاً: فيما يتعلق بالموازنة بين المصالح والمفاسد المتعارضة

ورد في ذلك عدد من الأحاديث النبوية، ومنها:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا:" يَا عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ "[1].

فوجه الدلالة: أن النبي ﷺ بعد أن فتح مكة، وصارت دار إسلام، عزم على تغيير البيت وإعادة بنائه على قواعد إبراهيم ﷺ، ولا شك أن هذه مصلحة، غير أنه خشي من أن يؤدي ذلك إلى مفسدة أعظم من تلك المصلحة وهي: عدم احتمال قريش لذلك التغيير؛ نظراً لقرب عهدهم بالجاهلية، حيث إنه قد يؤدي إلى ارتداد الداخلين منهم في الإسلام [2]، ويقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (إن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً فخشي ﷺ أن يظنوا - لأجل قرب عهدهم بالإسلام- أنه غير بناءها لينفرد عليهم بالفخر في ذلك، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة).[3]

فيتضح من هذا الحديث الشريف الموازنة النبوية الكريمة حيث قدم ﷺ مصلحة الحفاظ على إسلام الناس كونهم حديثي عهد بالإسلام من هدم الكعبة .

---

(١) رواه الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، برقم / ١٥٠٩، ٤١٥/٣.

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن القيم -رحمه الله- ٦١/٣ .

(٣) فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله-، د.ط [دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ] ١٧٢/١ .

و"القاعدة في الموازنة بين المصالح والمفاسد إذا تعارضت المصلحتان وتعذر جمعهما فإن علم رجحان إحداهما قدمت، وإن لم يعلم رجحان، فإن غلب التساوي فقد يظهر لبعض العلماء رجحان إحداهما فيقدمها ويظن آخر رجحان مقابلها فيقدمه، فإن صوبنا المجتهدين فقد حصل لكل واحد منهما مصلحة لم يحصلها الآخر، وإن حصرنا الصواب في أحدهما فالذي صار إلى المصلحة الراجحة مصيب للحق والذي صار إلى المصلحة المرجوحة مخطئ معفو عنه، إذا بذل جهده في اجتهاده، وكذلك إذا تعارضت المفسدة والمصلحة "[1] .

ثالثاً: الإجماع:

أجمع الصحابة ﷺ على مشروعية فقه الموازنات، حيث نقل الإجماع الإمام العز بن عبد السلام بقوله: (أجمعوا على دفع العظمى إذا تعارضت المفسدتين، في ارتكاب الدنيا)[2].

وقد نقل الزركشي عن ابن دقيق العيد قوله: (من القواعد الكلية أن تُدرأ أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما إذا تعين وقوع أحدهما، وأن يُحصل أعظم المصلحتين بترك أخفهما إذا تعين عدم إحداهما)[3].

وسأورد بعض الأمثلة في المبحث الثاني بعون الله تعالى.

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح العباد، عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله-،د.ط [بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت] ١/١٦ .

(٢) قواعد الأحكام ، ١/٣٩ .

(٣) المنثور في القواعد، بدر الدين محمد الزركشي،تحقيق: تيسير فائق محمود، ط١[الكويت: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٠٢هـ] ١/ ٣٤٨.

رابعاً: الدليل العقلي على مشروعية فقه الموازنات:

وإضافة إلى ما ذكرته من نصوص الوحيين على مشروعية فقه الموازنات، وإجماع الصحابة الكرام ﷺ على مشروعيته، فإن العقل أيضاً يقضي بضرورة العمل بهذا الفقه؛ إذ إنه كما يقول العز بن عبد السلام -رحمه الله- "لا يخفى على عقل عاقل - أن تحصيل المصالح المحضة، ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن، وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن، وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن، وأن تقديم المصالح الراجحة على المرجوحة محمود حسن، وأن درء المفاسد الراجحة مقدم على المصالح المرجوحة محمود حسن ...وأن تقديم الأصلح فالأصلح ودرء الأفسد فالأفسد مركوز في طبائع العباد ... ولا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح، أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت "[1].

فعندما نُعمل عقولنا، ونوازن بين المصالح والمفاسد، أو المصالح بعضها مع بعض، أو المفاسد بعضها مع بعض، فسوف نصل إلى خير الأمرين ودفع شر الشرين، فنكون بذلك قد سعينا إلى ضبط أمور الحياة بمنهجية منضبطة، وبما يتفق مع فقه الموازنات .

---

(١) انظر :قواعد الأحكام في مصالح الأنام ،عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله- ١/٧-٨، بتصرف .

المبحث الثاني

منهج الصحابة وسائر السلف الصالح ﷺ في فقه الموازنات

اتضح لنا مما سبق تناول نصوص الوحيين لمشروعية فقه الموازنات والعمل به، ولا شك بأن الصحابة الكرام وسلفنا الصالح ﷺ قد فهموا ذلك وعملوا بفقه الموازنات، وأجمعوا على مشروعيته، ولا أدل على ذلك من أن الصحابة ﷺ قد عملوا به من أول يوم بعد وفاة الرسول ﷺ؛ وذلك أنه تعارض لديهم مصلحتان وهما:

١- مصلحة دفن رسول الله ﷺ .

٢- ومصلحة تنصيب الخليفة، وأشكل عليهم تحديد المصلحة المقدمة، وأي المصلحتين يكون البدء بها وأيهما تؤخر، وبناء على فقه الموازنات فقد تجلى للصحابة الكرام ﷺأن المصلحتين متفاوتتان بين كبرى وصغرى، فالمصلحة الكبرى هي:

اختيار خليفة للمسلمين، والصغرى هي دفن الرسول ﷺ؛ وذلك لأن بقاء المسلمين بدون خليفة وبدون اجتماع على إمام يوحد كلمتهم أخطر على الإسلام من تأخير دفن الرسول ﷺ، فالحفاظ على كيان الدولة الإسلامية من خلال إقامة خليفة للمسلمين أمر لا بد فيه من السرعة، ولا يحتمل التأخير، وبما أن المصلحتين متفاوتتان فقد قدم الصحابة الكرام ﷺ المصلحة الكبرى على المصلحة الصغرى، وبدءوا باختيار الخليفة، ولما انتهوا من ذلك سارعوا بدفن الرسول ﷺ [(١)]، ولم يخرج من بين الصحابة من ينكر مثل هذا العمل، فدل ذلك على إجماعهم في الأخذ بفقه الموازنات وترتيب الأولويات .[(٢)]

ومن الأمثلة أيضاً : موازنة الصحابي عمرو بن العاص ﷺ بين الغسل من الجنابة في شدة البرد، وبين التيمم في غزوة ذات السلاسل، فعلم أن المصلحة في

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام -رحمه الله- ٤/٢٩٤ .

(٢) انظر: استخلاف أبي بكر ﷺ، جمال عبد الهادي، ص٦٤١ .

التيمم؛ وذلك دفعاً لمضرة كبرى قد تصيبه لو اغتسل بالبرد، وقد صلّى بأصحابه، "فسأله الرسول ﷺ فأخبره بالذي منعه من الاغتسال، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً " [1] فوجه الدلالة: أنه لما كانت المحافظة على النفس مقدمة وهي من الضرورات الخمس، وإن شريعة الإسلام مبنية على التيسير ورفع الحرج، أقدم الصحابي الجليل على التيمم دفعاً لمفسدة أعظم، وقد أقره الرسول ﷺ على فعله .

وورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كتب: (أن لا يجلدَّن أمير جيش ولا سريَّة رجلاً من المسلمين حدَّاً وهو غازٍ؛ حتى يقطع الدرب قافلاً؛ لئلا تلحقه حميَّة الشيطان، فيلحق بالكفار)[2] هنا علل الفاروقﷺ برفع الحد أثناء الغزو؛ لئن المفسدة بالتحاق الرجل بالكفار والردة أعظم من إقامة الحد عليه في هذا الوقت .

والأمثلة في هذا الصدد كثيرة [3]، وهي بمجملها تبين منهج الصحابة ﷺ في الموازنة بين المصالح والمفاسد، وتظهر يسر وسماحة وشمولية الشريعة الإسلامية .

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم ا، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١[بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ]،كتاب الطهارة، برقم /٦٢٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ٢٨٥/١

(٢) الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل،ابن قدامة المقدسي-رحمه الله-د.ط[بيروت: المكتب الإسلامي.د.ت]، الإمام ابن قدامة-رحمه الله- ٢٨٠/٤.

(٣) انظر: المنهج الدعوي لدى المفتين، دراسة تحليلية لفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رسالة دكتوراه غير منشورة، زينب الراجحي، ص٣٧٠-٤٠٠.

المبحث الثالث

أهمية فقه الموازنات لدى الداعية

المطلب الأول

أهمية الفقه في الدين عموماً وفي الدعوة إلى الله ﷻ

يعد العلم من الركائز المهمة التي يرتكز عليها الداعية في دعوته؛ ليكون على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، وحاجة الداعية للتزود بزاد العلم بصفة عامة، يعد من الضروريات فلا دعوة بلا علم، وهذه حقيقة مهمة من حقائق هذا الدين، فبالعلم تُجلب المصالح وتُدرأ المفاسد .

وهذا يقتضي من الداعية الإلمام بعلم أصول الفقه؛ فهو الذي يحقق له الفهم والوعي المشار إليه .

والداعية إلى دين الله هو ركن من أركان الدعوة، وعمادها، لذا يجب أن يكون ملماً بالعلم الشرعي؛ ليكون مؤهلاً للقيام بهذا الواجب العظيم، ومتبصراً بدينه ومدركاً لحقائقه، ليقدم الدعوة للمدعوين تحت مظلة شريعة تتسم بالسماحة والتيسير، وهذا يقتضي من الداعية الإلمام من حيث الجملة بمقاصد الشريعة، مدركاً أن هدف الشريعة هو جلب المصلحة ودرء المفسدة.

---

(١) سورة يوسف، الآية (١٠٨).

ولن يتمكن الداعية من القيام بالدعوة إلا إذا تزود بزاد العلم، وتفقه في الدين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [1].

فيتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام[2].

وقد روى الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه تعليقاً: عن قول عمر ﷺ يؤكد أهمية التفقه في الدين فقال-رحمه الله-: (وقال عُمَرُ: تَفقَّهُوا قَبْلَ أن تُسَوَّدُوا) [3]، لذا فإن الداعية عليه أن يتعلم ويتفقه في الدين قبل أن يسود في الدعوة .

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٢) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ومعالم التنزيل . الإمام البغوي، ١١٢/٤.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني،د.ط [بيروت: دار إحياء التراث العربي،د.ت] ٥٤/٢.

المطلب الثاني

أهمية فقه الموازنات خاصة بالنسبة للداعية

عندما نتحدث عن علم الداعية، لا نقصد بأن يكون الداعية عالماً مجتهداً فقيهاً، وإنما المقصود أن يكون لديه من العلم ما يمنعه من الخطأ أو الزلل، وأن يتمكن من الدعوة إلى الله على الوجه الصواب .

و(من هنا كانت حاجة الداعية لعلم أصول الفقه؛ ليكون على وعي عام بمقاصد الشريعة، وعلم بأن للنصوص مهجاً وأصولاً في التعامل معها، كذلك الاجتهاد له أصوله، وضوابطه كل ذلك ليتشكل له حصن ووقاية من الخطأ والزلل)[1].

فالشريعة الإسلامية، شريعة سمحة تجلب التيسير وتمنع المشقة، وترفع الحرج، فمقاصدها جلب المصالح، ودرء المفاسد، قال الإمام الشاطبي -رحمه الله- (والمعتمد إننا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد).[2]

وذكر ابن القيم -رحمه الله - بأن الشريعة مبناها على مصالح العباد في المعاش والمعاد، فقال: (فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، مرجع سابق، ص٣١٥.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم الشاطبي، ضبط :محمد دراز،[بيروت:دار المعارف، د.ت] ٤/

إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة . وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أُدخلت فيها بالتأويل)[1].

ففقه الموازنات أصبح ضرورة شرعية وتعليمية، متى ما تزاحمت الأمور وتكاثرت، لا سيما بالنسبة للداعية .

وسوف أذكر على سبيل المثال قاعدة فقهية مهمة للدعاة وهي:

قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح:

هذه من القواعد الفقهية المهمة التي ينبغي للداعية الوقوف عندها، والأخذ بها وفق ما تقتضيه النصوص الشرعية، بدون إفراط أو تفريط .

والدعاة في الأخذ بهذه القاعدة في زمننا هذا بين إفراط وتفريط؛ فهناك من لا يعتد بالمصالح الراجحة؛ فخالف بذلك النصوص الصريحة من كتاب وسنة، وهناك من تساهل في اعتبار المصالح وتوسع في الأخذ بها على حساب النصوص الشرعية، فلم يراع فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، ووفّق من الدعاة من توسط بين هؤلاء وهؤلاء فعمل بالموازنة بين المصالح والمفاسد، وفق نصوص الوحيين، مراعياً في ذلك الضوابط الشرعية، مستفيداً من فهم سلف هذه الأمة، ومن هذه الضوابط:

الضابط الأول: الأكثر مصلحة أولى بالتقديم من الأقل مصلحة

على الداعية إذا تزاحمت عنده مصلحتان لزمه الحفاظ على المصلحة الراجحة والتضحية بالمصلحة المرجوحة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن القيم–رحمه الله– راجعه :طه سعيد، [الكليات الأزهرية، مصر،د،ت]٤/

الله- "الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشرين)[1].

وليس معنى هذا أن المصلحة المرجوحة التي أُهدرت لم تعد مصلحة؛ ولكن معناه أن الداعية لم يتمكن من الجمع بينها وبين المصلحة الراجحة فضحَّى بها اضطراراً، فالشرع والعقل يحكمان بلزوم الحفاظ على المصلحة العليا ولو أدى إلى تفويت الأدنى، فالمصلحة المفوتة في هذه الحالة لم تعد مطلوبة، لذا فإن تركها لأجل تحصيل المصلحة الراجحة لا يعتبر تركاً لمطلوب شرعي.[2]

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله- (وقاعدة الشرع والقدر تحصيل أعلى المصلحتين وإن فات أدناهما)[3]، وقال أيضاً في موضع آخر:(وخاصية العقل تحصيل أعظم منفعتين بتفويت أدناهما).[4]

بعض الأمثلة لتطبيق الداعية لهذا الضابط:

١- لو تزاحمت وسيلتان من وسائل الدعوة أحدهما نفعها مستمر والأخرى مؤقت، مثل درس علمي مستمر أو محاضرة توجيهية لطائفة من الناس، فلا شك أنه يقدم الدرس، مع أخذ اعتبار الأخرى في مواقف أخرى.

---

(١) منهاج السنة النبوية ٦/ ١١٨، وانظر: مجموع الفتاوى، ٢٣/ ٣٤٣.

(٢) انظر: فقه الأولويات، دراسة في الضوابط، محمد الوكيلي، ط١[فيرجينيا:المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٩٩٧م] ص١٩٧-١٩٨.

(٣) إعلام الموقعين، مرجع سابق، ٢٧٩/٣ .

(٤) الفوائد، تحقيق د. محمد عثمان الخشت، ط٣ [بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ] ص٢٧٣ .

٢- لو تزاحم عند المرأة الداعية تربيته أولادها مع خروجها من البيت لوعظ النساء وبخاصة إذا كان خروجها مستمراً؛ فتطبيق هذه القاعدة أنها تترك الوعظ وتجتهد في تربية أولادها .

الضابط الثاني: الأكثر مفسدة أولى بالدرء من الأقل مفسدة

وهذا الضابط عكس الأول، فعندما تجتمع مفسدتان؛ فعلى الداعية أن يدرأ الأكثر والأعظم مفسدة، ويرتكب أخفهما، وهذا الدرء طبيعة بشرية وهو قول العز بن عبد السلام -رحمه الله- [1]، وقد وردت نصوص تبين أهمية الأخذ بدرء المفسدة العظمى بارتكاب الصغرى منها:

قوله تعالى حكاية عن الخضر مع موسى عليه السلام: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [2].

فمفسدة أخذ الملك الظالم للسفينة الصالحة وهي لمساكين أعظم من إحداث عيب فيها يستطيع أصحابها إصلاحها فيما بعد، فدرأ الخضر المفسدة العظمى التي لم تكن ظاهرة لموسى عليه السلام بمفسدة أقل .

---

(١) انظر: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ١/٣٥ .

(٢) سورة الكهف، الآيات (٧٩-٨٢).

وكذلك قتل الغلام أقل مفسدة من إرهاق والديه بكفره وطغيانه، قال الإمام القرطبي -رحمه الله- (وقد يلقيهما حبه في اتباعه فيضلا ويتدينا بدينه) [1].

وكما قال تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله...

بعض الأمثلة لتطبيق الداعية لهذا الضابط:

١- لو تزاحمت مفسدتين أحدهما أقل مفسدة من الأخرى مثل سماع الأغاني وشرب الخمر، في هذه الحالة على الداعية أن يدرأ مفسدة شرب الخمر فهي أم الخبائث، وهي الأعظم مفسدة .

٢- وضرب الإمام ابن القيم -رحمه الله- مثالاً فقال: (أنك إذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب، أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها، وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال، والسحرة فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع)[2] .

٣- وكذلك من الأمثلة: إذا أنكر الداعية على أبنائه عمل محضور شرعي وهم في البيت وكان نتيجته_ أي نتيجة هذا الإنكار- خروجهم من البيت، واختلاطهم بجلساء سوء، فترك الإنكار عليهم أولى .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٤٠٧/١٠ .

(٢) إعلام الموقعين، ٧/٣.

المبحث الرابع

ثمار أخذ الداعية بفقه الموازنات والمفاسد المترتبة على تركه

المطلب الأول

ثمار العمل بفقه الموازنات

العمل بفقه الموازنات له ثمار عظيمة على مستوى الأمة الإسلامية وعلى مستوى المجتمع والأفراد منها:

١- تطبيق عملي لما تتسم به الشريعة الإسلامية من يسر وسهولة؛ فهو يحقق أبرز أحكام الشريعة في الأحوال الاستثنائية وأثناء وجود التعارض.

٢- إزالة التعارض بما يحيط بالفرد من قضايا، أو ما يتعلق بالمجتمع من مصالح ومفاسد، أو ما تسير عليه الدولة في سياساتها العامة وبرامجها التنفيذية وخططها المستقبلية .

٣- فقه الموازنات يقدم عند التعارض مصلحة الدين على ما سواه، ثم النفس على ما سوى العقل والنسل والمال، ثم العقل على النسل والمال، ثم النسل على المال؛ ذلك أن كليات المصالح المعتبرة في الشريعة الإسلامية تنحصر في خمسة وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، وهي مرتبة في الأهمية حسب هذا التسلسل .

٤- ومن ثمار العمل بفقه الموازنات الفهم الكامل لمقاصد التشريع ومبادئه وقواعده الكلية.

٥- في ضوء فقه الموازنات سنجد مجالاً للمقارنة بين المصالح والمفاسد، والمفاضلة، والموازنة بين المكاسب والخسائر ثم الاختيار الأفضل بين المتعارضات .

٦- من ثمرات تطبيق فقه الموازنات المحافظة على حرمة دماء المسلمين، وأعراضهم، فالدول التي لم تأخذ بفقه الموازنات دمرتها الحروب، وسفكت فيها الدماء، وانتهكت فيها الأعراض.

المطلب الثاني

المفاسد المترتبة على تركه

لاشك أن ترك العمل بفقه الموازنات له مفاسد كبيرة على مستوى الفرد، وعلى مستوى المجتمع، وعلى مستوى الدولة، ومن هذه المفاسد:

١- عند ترك العمل بفقه الموازنات فإن الفرد يعرض نفسه للوقوع في الأخطاء الكبيرة التي تؤثر على حياته بشكل مباشر .

٢- عند ترك العمل بفقه الموازنات، فإن المجتمع سيتعرض لمواقف شائكة، وتعارضات كبيرة، تتعارض فيها المصالح العامة، أو تتعارض المفاسد، أو تتعارض فيها المصالح مع المفاسد، أو تتعارض مصالح المجتمع مع مصالح الفرد، ويكون هناك خلل واضطراب في المجتمع، ولا سبيل لإزالة تلك المواقف والتعارض وحل ذلك الإشكال بأحكام عادلة وقرارات سليمة إلا بالعودة والالتزام بمنهج فقه الموازنات .

٣- عند ترك العمل بفقه الموازنات فإننا نحجر واسعاً، ونشدد يسيراً، وهذا لا يتوافق مع يسر وسهولة ومرونة الشريعة الإسلامية السمحة .

٤-عند ترك العمل بفقه الموازنات فإننا نُغفل قاعدة فقهية عظيمة وهي " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح "

٥_من المفاسد المترتبة على ترك العمل بفقه الموازنات: إثارة الفتن، والحروب، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض .

٦- رجوع الدعوة إلى الوراء وتأخرها؛ نتيجة عدم قيامها على الموازنة بين المصالح والمفاسد .

٧- عدم الفقه التطبيقي لهذه القاعدة ينتج عنه خروج دعاة ومفتين غير مؤهلين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد انتهيت من هذا البحث الذي تناول موضوعاً مهماً ينبغي العمل به وتفعيله في زمننا الحاضر، وهو فقه الموازنات الذي يصلح من خلال تطبيقه حال العباد والبلاد، وقد قمت بهذا البحث الذي يؤصل موضوع فقه الموازنات، ويُبيّن مستنده الشرعي من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن واقع حياة الصحابة والتابعين لهم بإحسان ﷺ، كما تناول البحث أهم ثمار العمل بفقه الموازنات والآثار المترتبة على تركه، وسأوجز هنا أهم ما انتهت إليه الدراسة وذلك على النحو التالي:

١- دلت النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع الصحابة، وبراهين العقل على أهمية فقه الموازنات وضرورة الأخذ به .

٢- جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، بجلب ما ينفعهم، ودرء ما يضرهم .

٣- حرص الصحابة والسلف الصالح ﷺ في الأخذ بفقه الموازنات .

٣- الحاجة ماسة إلى فقه الموازنات وتطبيقه في ميدان العمل الإسلامي، الذي يسعى إلى إصلاح أوضاع الأمة الإسلامية لا سيما في عصرنا الحاضر .

٥- فقه الموازنات له ثمار عظيمة النفع، كما أن تركه يؤدي إلى مفاسد كبيرة.

التوصيات

١- ضرورة إبراز القواعد الفقهية المتعلقة بفقه الموازنات؛ لتيسير الوصول إليها، والاستفادة منها .

٢- ضرورة الأخذ بفقه الموازنات، وعدم التغافل عنه، لأن فيه مصالح كبيرة على مستوى الأمة الإسلامية والمجتمع والأفراد .

٣- فقه الموازنات يحتاج إلى علم راسخ، وملكة فقهية، ونظرة فاحصة، وشاملة، تتصف بالعمق والدقة؛ وذلك لصعوبته في الجانب التطبيقي، من حيث تقدير المصلحة والمفسدة عند الانفراد، أو تقدير الراجح عند التزاحم والتعارض.

٤- فقه الموازنات يحتاج إليه الدعاة في ممارساتهم الدعوية، ولا سيما عند تعارض المصالح والمفاسد، وعدم إمكان الجمع بين تحقيق المصلحة ودرء المفسدة، فكثيراً ما يندفع بعض الدعاة إلى تحقيق مصلحة دعوية في اجتهادهم، غافلين عن المفاسد المترتبة على ذلك، مما يجعلهم في نهاية الأمر نادمين على ما أقدموا عليه .

٥- إذا تنازعت المصالح بحيث لا يمكن تحصيل إحداها إلا بترك الأخرى فإنه يجب الموازنة بينها ليختار أرجحها ويترك مرجوحها .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١- إعلام الموقعين، الإمام ابن القيم -رحمه الله- بدون ذكر الطبعة، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون ذكر سنة النشر .

٢- البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، الطبعة الأولى، جدة: دار الشروق، ١٤٠٣هـ .

٣- استخلاف أبي بكر ﷺ، جمال عبد الهادي،

٤- تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، بدون ذكر الطبعة، مؤسسة الرسالة، بدون سنة النشر .

٥- تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، بدون طبعة، دار طيبة، ١٤٢٢هـ

٦- الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - بيروت - الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ .

٧- جامع البيان عن تفسير آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، بدون ذكر الطبعة، مصر: دار المعارف، بدون ذكر سنة النشر .

٨- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الشعب - القاهرة- الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ.

٩- السلسلة الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني-رحمه الله- مكتبة المعارف، الرياض.

١٠- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية -رحمه الله- بدون ذكر الطبعة، ومدينة النشر، دار ابن تيمية، بدون تاريخ النشر .

١١- سنن الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي -رحمه الله- تحقيق: محمد ناصر الدين الأباني، ومشهور آل سلمان، بدون معلومات الناشر .

١٢- السيرة النبوية لابن هشام، تأليف: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل- بيروت- الطبعة الأولى-١٤١١ هـ.

١٣- شرح صحيح الإمام مسلم للنووي -رحمهما الله- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.

١٤- صحيح الإمام مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت-، بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .

١٥- ضوابط المعرفة، د. عبد الرحمن حنبكة الميداني، الطبعة الثانية والعشرون، بدون مدينة النشر، دار المعرفة، ١٤٠١هـ .

١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بدون طبعة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ .

١٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، الإمام محمد بن علي الشوكاني، بدون طبعة، [بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ.

١٨- القاموس المحيط، الفيرو آبادي، تحقيق: محمد العرقسوسي، الطبعة الثامنة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ .

١٩- قواعد الأحكام في مصالح العباد، عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله-، بدون ذكر الطبعة، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون سنة نشر .

٢٠- الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، ابن قدامة المقدسي- رحمه الله-د.ط[بيروت: المكتب الإسلامي.د.ت

٢١- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، بدون سنة نشر .

٢٢- مختار الصحاح، محمد الرازي، تحقيق: محمود خاطر، بدون طبعة، بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ .

٢٣- المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .

٢٤- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، بدون طبعة، دار الجيل، ١٤٢٠هـ.

٢٥- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المغروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث، بدون طبعة، مكتبة نزار، بدون سنة نشر .

٢٦- المنثور في القواعد، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: تيسير فائق محمود، ط١[الكويت: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٠٢هـ]

٢٧- منهج فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، د.عبد المجيد محمد السوسة، بدون طبعة، وبدون سنة نشر .

٢٨- نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، حسان حامد حسان، بدون ذكر الطبعة، مكتبة المتنبي، ١٩٨١م .

المجلات العلمية:

٢٩- مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٨٨، الإصدار من رجب إلى شوال، ١٤٣٠هـ.

المواقع الإلكترونية:

٣٠- http://www.alifta.net/Fatawa/

البحث رقم (٢)

الداعية الأمين
في ضوء الكتاب والسنة

إعداد

د. علي بن أحمد الأحمد

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فمن المعلوم أن الأمانة في الإسلام لها منزلة عظيمة دلَّ عليها الكتاب والسنة بما يؤكد أهمية تجذّر الأمانة في قلب كل مسلم كونها عين الإيمان، فإذا استمكنت من قلبه؛ قام حينئذ بأداء التكاليف والمهام والأعمال والواجبات الدينية والدنيوية، واغتنم ما يرد عليه منها وجدّ في إقامتها[1].

ومن بين تلك الواجبات: القيام بالدعوة إلى الله، فما من عمل دعوي إلا والأمانة لازمة له، ولهذا كانت دعوة الرسل الكرام مدارها على الأمانة ولسان مقال كل نبي: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[2] وما من شك بأن الأمانة يسري إشعاع نورها إلى الداعية نفسه، وإلى من يدعوه، وإلى موضوع الدعوة، وإلى وسائلها.

وقد كُتب في مجال الأمانة دراسات علمية من جوانب شرعية متعددة، كالتفسير والسنة والثقافة الإسلامية وغيرها[3]، واستكمالاً لتلك الجهود

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، دار عالم الكتب، الرياض، ٢/١٧٠.

(٢) الشعراء: ١٠٧.

(٣) ومن هذه الرسائل العلمية:

- الأمانة كما يصورها القرآن الكريم (رسالة ماجستير) كلية أصول الدين بجامعة الأزهر إعداد جمال الشهاوي.
- الأمانة في ضوء الكتاب و السنة (رسالة ماجستير) كلية الدراسات العليا بجامعة الكويت إعداد غصنة الظفيري.
- الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع (رسالة الدكتوراه) الثقافة الإسلامية جامعة الإمام إعداد عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين.

العلمية ومدِّ رواقها، فقد رغبت أن أسهم في إبراز الأمانة لدى الداعية وما يتعلق بدعوته من أبعاد ذات صلة بالأمانة.

وبناء على ما سبق رأيت أن أستعين بالله في دراسة هذا الموضوع تحت عنوان: "الداعية الأمين في ضوء الكتاب والسنة " وفيما يلي مزيد إيضاح لهذه الدراسة من خلال ما يلي:

أولاً – أهمية الدراسة:

يمكن القول بأن هذه الدراسة تنبع أهميتها من تأكيد النصوص الشرعية على أهمية الأمانة في حياة المسلم بصفة عامة والداعية بصفة خاصة لما يناط به من مهام هو فيها وريث الأنبياء عليهم السلام وقد عُدَّت الأمانة من صفاتهم الأهم. قال ابن كثير –رحمه الله– في هذا الصدد: "وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغ والنصح والأمانة"[(١)].

وتبرز أهمية الدراسة – من جانب آخر – باعتبار خطر سيادة المفهوم الذي يَقْصُر الأمانة في أحد معانيها بحفظ الودائع– مع أهميتها– في حين أن حقيقتها في الشرع أرحب أفقاً إذ هي درجات فالكبرى منها هي ماحملها الإنسانُ أمام الله بالخضوع لأوامِرِه، والانتهاءِ عن زواجِرِه، ومنها انبثقتْ سائر الأماناتِ كأمانة الدَّعوة إلى الله تعالى، وأمانة العلم، وأمانة التعامل مع الناس التي منها ردّ ودائعهم إليهم..[(٢)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم – للحافظ ابن كثير، ط الثانية، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ٣٥٩/٢.

(٢) انظر: الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع إعداد عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف الحسين رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٣هـ /٢.

ولهذا فالأمانة تسري في كل شيء فكل أحد مؤتمن على ما افتُرض عليه من العقائد والأقوال والأحوال والأفعال، ومن الحقوق في الأموال وحقوق الأهل والعيال وسائر الأقارب والمملوكين والجار وسائر المسلمين[1] والأمانات جاء الأمر الإلهي الحكيم بأن تؤدى إلى أهلها المسلم منهم وغير المسلم.

والداعية -بلا ريب- عليه مسؤولية كبرى تجاه أداء الأمانة بكل مكوناتها ومدلولاتها السابقة بما فيها المتعلق بالدعوة ومجالاتها المتنوعة كما سيتبين.

ثانياً – أهداف الدراسة:

الدراسة تهدف إلى إيضاح مفهوم الأمانة الشامل واستجلاء أبعادها -بهذا المفهوم- عند الداعية في مجالات دعوته للمدعوين، وفي مضامين الدعوة، ووسائلها في ضوء الكتاب والسنة بما يمكن أن يسهم في إيضاح ملامح الأمانة في منظومة الدعوة.

ثالثاً – تقسيمات الدراسة:

جاءت فِقَرُ الدراسة في تمهيد وثلاثة مباحث قسمتها على النحو الآتي:

تمهيد:

ويشمل أمرين:

- تعريف مصطلحات الدراسة.
- منزلة الأمانة في الشريعة الإسلامية.

---

(١) انظر: روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، ط الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٩ / ٦٣.

المبحث الأول: أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين ومجالات دعوتهم:

ويشمل المطلبين التاليين:

- المطلب الأول: أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين.
- المطلب الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بمجالات الدعوة.

المبحث الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بمضمون الدعوة:

ويشمل المطلبين التاليين:

- المطلب الأول: أمانة الداعية المتعلقة بأصل المضمون.
- المطلب الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بمآل المضمون.

المبحث الثالث: أمانة الداعية المتعلقة بوسائل الدعوة وتأثيرها:

ويشمل المطلبين التاليين:

- المطلب الأول: أمانة الداعية في جانب استخدامات وسائل الدعوة.
- المطلب الثاني: أمانة الداعية في جانب تأثيرها في نجاح الدعوة.

الخاتمة:

- وتشمل أبرز النتائج والتوصيات.

أولاً: التعريف بمصطلحات الدراسة:

- تعريف الداعية:

الداعية هو القائم بالدعوة وهو اسم فاعل من دعا يدعو، والدعوة في اصطلاح علماء الإسلام هي: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم إياه، وتطبيقه في حياتهم "[1].

فهو المبلغ للإسلام والمعلم له والساعي إلى تطبيقه، فيشمل مصطلح الداعي هنا من يقوم بأعمال الدعوة كلها أو بعضها [2].

وقد جاء وصف الداعي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [3].

- تعريف الأمانة:

عرَّف أهل اللغة الأمانة بقولهم: من الأمن والائتمان: فيقال أَمِنْتُه على كذا وأْتَمَنْتُه، واسْتأْمَنَ إليه: دخل في أَمانِه، وقد أَمَّنَه وآمَنَه، فتطلق الأمانة في اللغة على الطَّاعة والعِبادة والوديعة والثقةِ وكل ما عهد به إلى الإنسان من التكاليف الشرعية وغيرها، ومؤتمن القوم: الذي يثقون إليه ويتخذونه أميناً حافظاً وهي ضدُّ الخِيانة[4].

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط الرابعة، ١٤١٨هـ، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ص ١٧.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة ص٤٠. وهذا يشمل الدعاة الرسميين والمتطوعين والمفتين والقضاة وخطباء الجمعة والأئمة والمؤذنين ونحو ذلك كما سيتبين.

(٣) الأحزاب: ٤٦.

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ط ب. ر، ١٤١٢هـ، دار صادر، بيروت، ١٣/ ٢١. والنهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير، ط الثانية، ١٣٩٩هـ، دار الفكر، بيروت ١/٧٢.

وذكر ابن الجوزي[1] أن الأمانة في القُرآن الكريم يُراد بها ثلاثة أمور:

المراد الأول: الفرائض: ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[2].

المراد الثاني: الوديعة: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[3].

المراد الثالث: العِفَّة: ومنه ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾[4].

وفي الاصطلاح قال المناوي-رحمه الله-: الأمانة: "هي كل حق لزمك أداؤه وحفظه"[5]. والأمانات الواجبة على الإنسان، منها ما كان حقوق الله -عز وجل- على عباده، من الصلوات والزكوات، والكفارات والنذور والصيام، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومنها ما كان حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك[6].

---

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر للإمام ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص/ ١٠٤.

(٢) الأنفال: ٢٧.

(٣) النساء: جزء من ٥٨.

(٤) القصص: ٢٦.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ط الأولى، ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١/ ٢٢٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ١/ ٧٨٠.

والأمانة بهذا التنوع تشمل الأمانة في الأقوال والأعمال والودائع، والداعية عليه مسؤولية الأمانة تجاه ذلك كله ويدخل فيها أعمال الدعوة ومهامها -كما سيتضح-.

التعريف الإجرائي لعنوان الدراسة:

وبهذا يمكن تعريف الداعية الأمين بأنه: "هو الذي يبلغ الإسلام للناس ويعلمه إياهم ويطبقه في واقع حياتهم متجرداً من الأهواء مع أدائه كل حق لزمه من الأقوال والأعمال مما هو مؤتمن عليه".

ثانياً: منزلة الأمانة في الشريعة:

الأمانة محلها في الشريعة رفيع وقدرها شريف، ومما يبين ذلك أمور. أذكر منها الأفرع التالية:

الفرع الأول: باعتبار تعظيم الله لقدر الأمانة بين الناس:

لقد عظّم الله قدر الأمانة بين الناس ويتجلى ذلك من خلال ما يلي:

أ- **كون الإنسان حملها من بين أعظم المخلوقات:** قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1] قال الشيخ القاسمي -رحمه الله-:" والمعنى أن تلك الأمانة في عظم الشأن؛ بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام التي هي مَثَل في القوة والشدة مراعاتها، وكانت

(١) الأحزاب آية: ٧٢.

ذات شعور وإدراك ؛ لأبين قبولها وأشفقن منها "[1] وخلص الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله- بعد أن ذكر أقوالاً متنوعة في تفسير الأمانة[2] إلى أنها تشمل " جميع الأمانات في الدين، وكذلك جميع الأمانات التي تكون بين الناس؛ لأن الآية الكريمة لم تخصص نوعاً من أنواع الأمانة، فكان التعميم أولى وأحسن" [3].

ب- كون الناس جميعهم قد أمروا بأدائها إلى أهلها: تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[4] قال الإمام الشوكاني: "هذه الآية من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع؛ لأن الظاهر أن الخطاب يشمل جميع الناس في جميع الأمانات،.. واختاره جمهور المفسرين، وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها: الأبرار منهم والفجار، كما قال ابن المنذر"[5].

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ط ب. ر، ب. ت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.١٢/٤٩٢٤.

(٢) فقيل أن الأمانة: هي المحافظة على الصلوات، وأداة الزكاة، والصوم، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. وقيل: إنها أمانات الناس، أي ودائعهم التي يودعونها عند غيرهم. وقيل: إنها الأمانة في الحديث وعدم الزيادة عليه. وقيل: إنها صيانة المرأة لعرضها. وقيل: إنها الاغتسال من الجنابة.وقيل: إنها صيانة الإنسان لدم غيره وعدم الاعتداء عليه. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري، ت: الدكتور عبدالله التركي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، دار هجر، القاهرة ١٩/٢٠٤.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري، ١٩/٢٠٤.

(٤) النساء آية: ٥٨.

(٥) فتح القدير للإمام الشوكاني، ط الأولى، عام: ب. ر، الناشر: عالم الكتب، بيروت ١/٢٤٠.

د – كونها سببٌ لحِفظ الأهل والمال: وهذا يتضح في قصة موسى عليه السلام لما قال له الخضر مُبيّنًا سبب بنائه للجدار: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[1]. حيث كانت أمانة الوالد سبباً لحفظ أبنائه وأموالهم، وكان سعيد بن جبير يقول في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾: كان يُؤدِّي الأمانات والودائع إلى أهلها، فحَفِظَ الله تعالى له كنزَه، حتى أدرَكَ ولداه، فاستخرجا كنزهما"[2].

وقد ذكر شيخ الإسلام أن المؤدي للأمانة مع مخالفة هواه يثبته الله فيحفظه في أهله وماله بعده والمطيع لهواه يعاقبه الله بنقيض قصده فيذل أهله ويذهب ماله. ثم قال: وفي ذلك الحكاية المشهورة أن بعض خلفاء بني العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك فقال: أدركت عمر بن عبدالعزيز قيل له: يا أمير المؤمنين أقفرت أفواه بنيك من هذا المال وتركتهم فقراء لا شيء لهم – وكان في مرض موته – فقال: أدخلوهم عليَّ فأدخلوهم وهم بضعة عشر ذكراً ليس فيهم بالغ فلما رآهم ذرفت عيناه، ثم قال لهم: يا بني والله ما منعتكم حقا هو لكم ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم وإنما أنتم أحد رجلين: إما صالح فالله يتولى الصالحين،

(١) الكهف: ٨٢.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، ٣٦٦/١٥.

وإما غير صالح فلا أُخِلف له ما يستعين به على معصية الله.. قال: فلقد رأيت بعض بنيه حمل على مائة فرس في سبيل الله - يعني أعطاها لمن يغزو عليها -. قلت (أي شيخ الإسلام ابن تيمية): " هذا وقد كان خليفة المسلمين من أقصى المشرق بلاد الترك إلى أقصى المغرب بلاد الأندلس وغيرها ومن جزائر قبرص وثغور الشام والعواصم كطرسوس ونحوها إلى أقصى اليمن وإنما أخذ كل واحد من أولاده من تركته شيئاً يسيراً يقال: أقل من عشرين درهما - قال وحضرت بعض الخلفاء وقد اقتسم تركته بنوه فأخذ كل واحد منهم ستمائة ألف دينار ولقد رأيت بعضهم يتكفف الناس - أي يسألهم بكفه - وفي هذا الباب من الحكايات والوقائع المشاهدة في الزمان والمسموعة عما قبله ؛ ما فيه عبرة لكل ذي لب "[1].

هـ - كونها تقوم جنب الصراط يوم القيامة للشهادة والمحاجة:

يدل عليه ما جاء عن حذيفة ﷺ في حديث الشفاعة عن رسول الله ﷺ قال: «.. وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا.."[2] قال ابن حجر: " والمعنى ان الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين والخائن والمواصل والقاطع

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وابنه، ط الأولى، ١٤١٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ٢٨/٢٤٩.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، ط الأولى، ١٤١٩هـ، دار السلام، الرياض. رقم: ٤٨٢

فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل.." [1] وهذا يشمل كل ما هو مؤتمن عليه من أنواع الأمانات كما تقدم.

الفرع الثاني: باعتبار الأمانة من أهم صفات الأنبياء عليهم السلام:

مما يشير إلى عظم منزلتها أيضاً اتصاف أعظم الخلق بها وهم أنبياؤه ورسله الكرام:

فقد كانت عبارات الأنبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام لأقوامهم ذات لفظ واحد ودلالة واحدة وهي: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [2].

قال تعالى بشأن نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [3].

وقال تعالى بشأن هود عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [4].

وقال تعالى بشأن صالح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [5].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الريان للتراث، القاهرة ٤٥٣/١١.

(٢) الشعراء: ١٠٧.

(٣) الشعراء آية :١٠٥- ١٠٧.

(٤) الشعراء آية : ١٢٣- ١٢٥.

(٥) الشعراء آية :١٤١- ١٤٣.

وقال تعالى بشأن لوط عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١).

وقال تعالى بشأن شعيب عليه السلام: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (٢).

وقال تعالى بشأن موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (٣).

و﴿أَمِينٌ﴾ أي: في فيما أُخبركم به عن الله، قال الإمام الطبري: "فإني أمين على وحي الله، وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة، لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدِّل، بل أبلغ ما أمرت كما أمرت" (٤).

وابنة شعيب قالت لأبيها في حق موسى عليه السلام ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)﴾ (٥).

وفي شأن يوسف عليه السلام كانت الأمانة من صفاته وذلك الأبرز حينما قال له الملك ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾: (٦).

---

(١) الشعراء آية: ١٦٠- ١٦٢.

(٢) الشعراء آية: ١٧٦- ١٧٨.

(٣) الدخان آية: ١٧-١٨.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، ١٢ /٥٠٤

(٥) القصص: ٢٦.

(٦) يوسف: ٥٤، ٥٥.

وفي شأن محمد ﷺ الذي اشتهر بالأمانة وعرف بها بين قومه، حتى صاروا يلقبونه بالصادق الأمين، كما قال عزوجل: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1] فقوله: ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ﴾ ظرف، أي: مقداراً من الزمان وهو أربعون سنة وقوله: ﴿ مِّن قَبْلِهِۦٓ ﴾ أي: من قبل القرآن تعرفونني بالصدق والأمانة [2] وقال ﷺ عن نفسه: « أَلا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً» [3]، ولهذا عدَّ ابن كثير –رحمه الله– صفة الأمانة ممن الصفات التي امتاز بها الأنبياء عليهم السلام قال: "وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغ والنصح والأمانة"[4]، وهو ما يؤكد منزلتها في الشريعة وأهميتها من بين سائر الصفات الأخرى.

الفرع الثالث: باعتبار الأمانة من أخص صفات المؤمنين:

ومما يشير إلى عظم منزلتها في الشريعة كونها وردت في سياق أوصاف الثناء للمؤمنين بعد قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [5] فجاءت من الصفات التي ينالون بها الفلاح كما في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ

(١) القصص: ٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط ب. ر، ب. ت، دار الريان، القاهرة، ٨/ ٢٨٩

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث علي وخالد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ط الأولى، ١٤١٧هـ، دار السلام، الرياض. رقم ٤٣٥١.

(٤) تفسير القرآن العظيم – للحافظ ابن كثير، ٢/٣٥٩.

(٥) المؤمنون: ١.

وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١) (٢).

فصفة الأمانة من صفاتهم الجليلة، قال ابن عاشور عن اتصافهم بالأمانة: "هذه صفة أخرى من جلائل صفات المؤمنين" (٣).

وقد تميز عدد من الصحابة بهذه الصفة العظيمة كأبي عبيدة ﷺ حيث قال ﷺ في شأن أمانته: « إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» (٤). قال العلماء: الأمانة مشتركة بينه وبين غيره من الصَّحابة، ولكنّ النبيَّ ﷺ خَصَّ بعضهم بصفات غلبَتْ عليهم، وكانوا بها أخصَّ "(٥).

ولهذا كان عمر بن الخطاب ﷺ في خلافته يحرص على الرجال الموصوفين بالأمانة في تنفيذ المهام، كأبي عبيدة بن الجراح أمين الأمة فعن ابْن أَبِي نَجِيحٍ، قَالَ: قَالَ عمر ﷺ لجسائه: "تَمَنَّوا"، فَتَمَنَّوْا، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:" لَكِنِّي أَتَمَنَّى بَيْتًا مُمْتَلِئًا رِجَالا مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ"(٦).

---

(١) المؤمنون: ٨ – ١١.

(٢) ومما يدل أيضاً على أنها من جلائل الصفات أيضاً وصف جبريل عليه السلام بها كما في قوله تعالى "ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين " قال أبو السعود في تفسيره: "وقرىء ثم تعظيما لوصف الأمانة وتفضيلا لها على سائر الأوصاف" إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، ط الأولى، ب.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١١٨/٩.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ، مؤسسة التاريخ، بيروت ١٤/١٧.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. رقم ٣٧٤٤.ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. رقم: ٤٤٤٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ١٩١/٨.

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات انظر الطبقات الكبرى، ط ب.ر، عام: ب.ت، دار صادر، بيروت ٣ / ٢٢٠

ووصف عمر ﷺ الصحابي ثابت بن زيد ﷺ أحد الستة الذين جمعوا القرآن، حين وقف على قبره بقوله:"رحمك الله أبا زيد، لقد دفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة" (١) ولهذا ذكر الحافظ ابن حجر – رحمه الله – أن زيد بن ثابت ﷺ:" لو لم تثبت أمانته وكفايته، وعقله، لما استكتبه النبي ﷺ الوحي.."(٢) قال العلامة العيني – رحمه الله –: " وكتابة الوحي تدل على أمانته الغاية "(٣).

وإن الوصف بالأمانة من أنبل أوصاف المدح لسائر المؤمنين، ولذا كان العلماء يخلعون أوصافها على من يستحقها من نبلاء القوم في تراجمهم(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، ط السابعة، ١٤١٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١ / ٣٣٦.

(٢) فتح الباري ١٣ / ١٨٤.

(٣) عمدة القاري ١٨ / ٢٨١.

(٤) كما قال الذهبي رحمه الله عن ابن سيرين رحمه الله: "كان سمرة عظيم الأمانة" سير أعلام النبلاء ٣ / ١٨٥ ونقل أيضاً عن الحافظ عبد الرحمن بن خراش قوله في أبي حاتم الرازي: "كان أبو حاتم من أهل الأمانة والمعرفة " سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٥٢.

وفي ترجمته للشيرازي محمد بن العباس نقل قول إبراهيم الصابي فيه:"كان وقوراً في المجلس، راجح الحلم، دينا، حسن الطريقة، وافر الأمانة " سير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٠٨.

وفي ترجمته لإبراهيم بن خلف الأندلسي، ذكر عن أبي الربيع بن سالم قوله فيه: "ومن شيوخي ابن الفخار، مسلم له في جلالة القدر، ومتانة الأمانة والعدالة " سير أعلام النبلاء ٢١ / ٢٤٢.

وفي سيرة أحمد بن يونس بن حسن أبو العبّاس، المقدسيّ، المرداويّ قال أنه:" كان ممّن يضرب به المثل في الأمانة " تاريخ الإسلام – الذهبي ١٠ / ٦٨.

وفي ترجمة جعفر بن محمد بن علي الصاحب بدر الدين، أبو الفضل الآمدي: "كان حسن البشر، لين الكلمة، يضرب به المثل في الأمانة" تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي، ت: عمر عبدالسلام تدمري، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٢ / ٢٩٨.

الفرع الرابع: باعتبار التحذير النبوي من ضياعها وندرتها في آخر الزمان:

من دلائل عظم منزلة الأمانة التحذير من ضياعها وندرتها في آخر الزمان ويتمثل في أمور منها:

أن ضياع الأمانة من علامات الساعة: ولذا جاءت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في حفظ الأمانة والتحذير من إضاعتها: عن أبي هريرة ﷺ قال: « بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ: أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » [1]. قال رشيد رضا: " وذلك من تَوْسِيد الأمْر إلى غير أَهْله الذي يُقَرِّب خطوات ساعة هلاك الأُمة، ومن علاماتها ذهاب الأمانة" [2].

وفي هذا تحذير وتخويف من تضييع الأمانة، وإشعار بأنها حين تضيع تختل الأمور ويفسد العالم وتختل موازينه.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب: العلم باب فضل العلم رقم الحديث: ٥٩

(٢) تفسير المنار ٥ / ١٧٦.

أن من علامات فساد الزمان ندرة الرجل الأمين:

أخبر الرسول الأكرم ﷺ أن ضياع الأمانة من علامات فساد الزمان، فعن حذيفة ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: « أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا، قَالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ» [1] قال القاضي عياض -رحمه الله-:"وأما الأمانة فالظاهر أن المراد بها التكليف الذى كلف الله تعالى به عباده والعهد الذى أخذه عليهم" [2] فهذا الحديث يصوّر انتزاع الأمَانَة مِن قلوب الرجال خاصة لدى أولئك الذين علموا من الكتاب وعلموا من السنة فكيف بغيرهم، وفي الحديث:" أول ما تفقدون من دينكم الأمانة.."[3].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة رقم الحديث: ٦٠٤٣ و أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من القلوب رقم الحديث: ٢١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي على ١٦٨/٢.

(٣) صححه الألباني انظر: صحيح الجامع رقم: ٢٥٧٠.

ولا ريب أن الدعوة ابتليت في هذا الزمن بمن قلَّت أمانته كما هو حال بعض المسلمين، ومن هذا البعض قلة من الدعاة، ولكن وقوع هذا من الدعاة الذين هم قلة أمر في حقيقته جلل، لأنه يتقلد مهام عظيمة كالتعليم والافتاء والدعوة والنصح والحسبة والقضاء وغيرها، وهذا أمر لا يهون إطلاقاً فقليلهم – حتماً – لا يقال له قليل[1] ولهذا فما أحوج الأمة إلى الداعية الأمين.

(١) ومن تتبَّع ذلك في الوقت الحاضر في العالم الإسلامي فلن يتعنَّ في الوقوف على وقائع تثبت هذا الحال لبعض من هو محسوب على الدعوة مع الأسف، فتجد من العلماء من هو غير مبال بأمانته في الفتيا فيضل الناس في مسألة لو عرضت لعمر ﷺ لجمع لها أهل بدر كما قيل، وتجد منهم القاضي الذي قد حكم بالجور وباع دينه بعرض من الدنيا، وتجد منهم من تلاعب بأموال الأوقاف لحسابه الخاص، وتجد الداعية الذي لم يكن أميناً على كلمته بأن أفسد أكثر مما أصلح ولم يقدر عواقب قوله، وتجد منهم الذي له سرقاته العلمية ومؤلفاته المزورة ونحوه، كل ذلك أصله من التهاون في الأمانة بمفهومها الشامل.

المبحث الأول

أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين ومجالات دعوتهم

المطلب الأول

أمانة الداعية المتعلقة بأصناف المدعوين

الدعاة والعلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام، يتحملون أمانة تبليغ الدعوة، كما مرّ سابقاً والمدعوون الذي توجه لهم الدعوة هم في الجملة من ذوي القربى أو من عامة الناس، والداعية أمام كل صنف منهم تتبلور أمانته من خلال عدة أمور كما سيتبين، وسأتحدث عن ذلك من خلال الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين من ذوي القربى.

الفرع الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين من غير ذوي القربى.

الفرع الأول: أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين من ذوي القربى:

إن أولى الناس بالدعوة هم الأهل والأقارب كما أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يبدأ بعشيرته الأقربين، قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]. وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالرجل راعٍ في بيته وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيَّتها»[2]. قال الإمام النووي– رحمه الله–: الراعي هو

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢)أخرج البخاري كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، رقم الحديث: ٢٨٣٠. ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل، رقم: ٣٤١٤.

الحافظ المؤتمَن الملتزِم صلاحَ ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل مَن كان تحت نظره شيء فهو مُطالَبٌ بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومُتعلَّقاته"[1]، ولا ريب أن من مقدمات ذلك التي تتجلى فيها أمانة الداعية في دعوة أهل بيته والأقربين: تبلغيهم الخير ووقياتهم الشر قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[2].

والداعية أمين تجاه والديه ببرهم وطاعتهم وترغيبهم في الخير وتجنيبهم ما سواه بالحسنى، وزوجه أمانة عنده يرعاها ويصونها ويكرمها، ويدلها على الهدى، والحياة الزوجية بجوانبها المتنوعة أمانة بينهما تتحقق بكتمان أسرارها، وحفظ دخائلها، وفي الحديث: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[3].

ويمتد ذلك بالسعي إلى هداية الأقارب واستثمار الأوقات والمناسبات والوسائل الممكنة في نصحهم وإرشادهم فيما فيه نفع لهم في الدينا والآخرة.

الفرع الثاني:أمانة الداعية المتعلقة بالمدعوين من غير ذوي القربى:

الداعية الأمين مناط به عدة أمور تجاه المدعوين من الناس إذ لا ريب أن صِلاته بهم قائمة على أمور منها النصيحة، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ أَنَّ

(١)شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ٦/٢٢٦.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، ط الأولى، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت رقم الحديث:٣٨٩٥. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم:٣٣١٥.

النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ »[1].

أولاً – أئمة المسلمين:

إن أحق من وجبت له النصيحة على الخصوص والعموم من وَلاه الله أمور الإسلام[2] ففي الأصل أن ذلك حق للسلطان من جملة حقوقه المقررة[3].

وتكون الأمانة تجاهه من خلال أداء النصح على الوجه الشرعي، ولهذا قال البقاعي –رحمه الله–: "والنصح دليل الأمانة وسببها "[4].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة رقم الحديث ٨٥.

(٢) انظر: تحرير الأحكام في تبرير أهل الإسلام، للإمام بدر الدين، ت: فؤاد عبدالمنعم أحمد، ط الثانية، ١٤١١هـ، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ص/٤٥.

(٣) استوفى العلامة ابن جماعة الكناني –رحمه الله تعالى– الحقوق الواجبة للسلطان، فقال فيما ملخصه: أما حقوق السلطان العشرة:

فالحق الأول: بذل الطاعة له ظاهرا وباطنا ما لم يكن معصية.

الحق الثاني: بذل النصيحة له سرا وعلانية.

الحق الثالث: القيامُ بنصرته باطنا وظاهراً.

الحق الرابع: أن يُعرف له عظيم حقه وما يجب من تعظيم قدره فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام.

الحق الخامس: تنبيهه عند غفلته وإرشاده عند هفوته.

الحق السادس: تحذيره من عدو يقصِدُهُ بسوء.. ومن كل شيء يخاف عليه منه.

الحق السابع: إعلامُهُ بسيرة عماله الذين هو مطالبٌ بهم ومشغول الذمة بسببهم.

الحق الثامن: إعانته على ما تَحَمَّلَهُ من أعباء الأمة.

الحق التاسع: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه لما في ذلك من مصالح الأمة.

الحق العاشر: الذب عنه بالقول والعمل في الظاهر والباطن والسر والعلانية.

انظر: تحرير الأحكام في تبرير أهل الإسلام، للإمام بدر الدين، ص/٦٣.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ط الثانية، ١٤١٣هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٤ / ٢٢٨.

وذلك بالقيام بنصرة ولي الأمر ظاهراً وباطناً، وإيقاظه عند غفلته وإرشاده عند هفوته، وتحذيره من عدو يقصِدُهُ بسوء.. ومن كل شيء يخاف عليه منه، وإعلامُهُ بسيرة عُمَّالِه الذين هو مطالبٌ بهم ومشغول الذمة بسببهم، ورد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه لما في ذلك من مصالح الأمة، والذب عنه بالقول والعمل في الظاهر والباطن والسر والعلانية[1].

ثانياً – العامة:

وتكون أمانة الداعية تجاه عامة الناس من خلال أمور من أبرزها:

أ– حفظه أسرار المدعوين:

الداعية بطبيعة مكانته يخالط الناس ويلتقي بهم في قضاياهم الخاصة التي يحبون أن لا يطلع عليها أحد، وهذا أمر جبلي في طبائع البشر، والداعية محل كتمان السر، وكان من الصحابة من هو كاتم لِسَرِّ رسول الله ﷺ وهو حذيفة ﷺ وكان يُقال له: "صاحب السِّر الذي لا يعلمه أحدٌ غيره" [2].

إن مجالس الداعية مع المدعوين تُعقَد بالأمانة على ما يجري فيها من أمور، فعن جابرٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إنما المجالسُ بالأمانة»[3] أي

---

(١) انظر: تحرير الأحكام في تبرير أهل الإسلام – للإمام بدر الدين، ص/٦٣.

(٢) أخرجه الإمام البخاري كتاب فضائل أصحابة النبي ﷺ، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما رقم: ٣٧٤٢.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، ط الأولى، عام:١٣٩٤هـ، دار الحديث، سوريا.رقم:٤٨٦٩ وحسنه الإمام الألباني في صحيح الجامع انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط الثالثة ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.رقم: ٦٦٧٨.

عند المتحدِّث إليه، والمعنى فحكم الحديث حكم الأمانة فيجب عليه كتمه[1] وعن جابر بن عبدالله ﷺ أيضاً عن النبيّ ﷺ قال: « إذا حدَّث الرَّجُلُ الحديثَ ثم التَفَتَ فهي أمانَةٌ» [2]. قال المباركفوري -رحمه الله-: حُسْنُ المجالس وشرَفُها بأَمانة حاضِريها على ما يقعُ فيها من قولٍ وفعل؛ فكأنَّ المعنى ليكن صاحب المجلس أمينًا لما يسمعه ويراه" [3].

وهذا بلاشك يعمّ كل مجالس الدعوة بمختلف مقاماتها مع المدعوين فيجب أنْ تحفظ أسرارها، ولا يحلُّ للداعية أنْ يفشي سِرّاً من أسرار إخوانه من المدعوين لا يحبُّون أنْ يخرج عنهم.

وإذا كان نقيض الأمانة هو الخيانة فهو متحقق في نقض عهد كل الأسرار وفض أقفالها، ومنها ما يتصل بأسرار الدعوة وشؤونها، وهو ما كان من زوجتي لوط ونوح عليهما السلام، حيث وصفهما الله تعالى بالخيانة في قوله: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [4]. قال ابن كثير رحمه الله: قال العَوفي عن ابن عباس ﷺ قال: كانت خيانتهما أن امرأة نُوح تَطَلع على

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ٦/٧٩.

(٢) أخرجه الإمام الترمذيّ في الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء أن المجالس أمانة، رقم الحديث:١٩٥٩.وأبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، رقم:٤٨٦٨.وحسنه الإمام الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٤٨٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ٦/٧٩.

(٤) التحريم: ١٠.

سر نُوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء"[1].

ب- ردّه ودائع الناس:

إن كثيراً من الدعاة هم محل ثقة الناس على نفائسهم فمن تصدى من الدعاة لعامة الناس في هذا الأمر وجب عليه مزيد عناية تحمُّلاً وأداءً، وليكن ممن قال الله فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾[2]. قال ابن عاشور:" فالأمانة تكون غالبا من النفائس التي يخشى صاحبُها عليها التلف فيجعلها عند من يظن فيه حفظها، وفي الغالب يكون ذلك على انفراد بين المؤتمِن والأمين، فهي لنفاستها قد تغري الأمين عليها بأن لا يردها وبأن يجحدها ربَّها، ولكون دفعها في الغالب عرياً عن الإشهاد تبعث محبتها الأمين على التمسك بها وعدم ردِّها، فلذلك جعل الله ردها من شعب الإيمان" [3].

والأدلة على وجوب رد الودائع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾[4] وقوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٦١٤.

(٢) المؤمنون: ٨ – ١١.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٤/١٨.

(٤) البقرة: جزء من ٢٨٣.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [1] قال الإمام القرطبي: "والآية عامة في جميع الناس، فهي تتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات، وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع. قال: وهذا إجماع، قال: وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار"[2].

قال ابن العربي -رحمه الله-:"فهي عامة بقولها، شاملة بنظمها لكل أمانة وهي أعداد كثيرة أمهاتها في الأحكام: الوديعة واللقطة والرهن والإجارة والعارية" [3]

وإذا كان هذا في حق كل أحد فهو أعظم وأجل في حق الداعية باعتبار ما يحمله من علم ورث به الأنبياء الذين اتصفوا بصفات من أهمها الأمانة كما فعل الرسول ﷺ مع المشركين، فقد كانوا يتركون ودائعهم عند الرسول ﷺ ليحفظها لهم؛ ولهذا عُرِفَ الرسولﷺ بصدقه وأمانته بين أهل مكة، فكانوا يلقبونه قبل البعثة بالصادق الأمين، وكان ذلك من أسباب استجابة كثير من المدعوين للدعوته.

ج- حرصه على هداية الناس:

لقد كان من صفات النبي الأمين أنه حريص على هداية الناس قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ٣ / ١٨٢٦.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١ص٤٥٠.

حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [3].

وبالنظر إلى سيرته العملية في الدعوة نجد تطبيقات ذلك في كل مواقفه الدعوية وحرصه على دعوة الناس في جميع الأمكنة والأزمنة والأحوال[4].

ولهذا فإن من ملامح أمانة الداعية مع عامة الناس حرصه على هدايتهم وبذله في دعوتهم إلى الخير من نفسه ووقته وماله، ولا ريب أن شعور المدعو بحرص الداعية على هدايته يستميل قلبه ويستثير عواطفه لقبول الدعوة[5].

---

(١) التوبة: ١٢٨

(٢) يوسف: ١٠٣

(٣) النحل: ٣٧

(٤) ينظر: الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي، ط الثانية، عام: ١٤١٢هـ، دار ترجمان الإسلام، باكستان ص/ ١٧.

(٥) انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز، ط الرابعة، عام: ١٤١٩هـ، دار الدعوة، مصر ص/ ٦٦.

المطلب الثاني

أمانة الداعية المتعلقة بمجالات الدعوة:

إن الأمانة عين الإيمان فإذا استمكنت من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتنم ما يرد عليه منها وجدّ في إقامتها[1] وصلة الداعية بالمدعوين في مجتمعه يكون من خلال مجالات منها عامة ومنها خاصة ويتضح ذلك بالآتي:

الفرع الأول: أمانة الداعية المتعلقة بمجالات الدعوة العامة:

نستعرض أبرز مجالات الدعوة العامة التي من خلالها يمكن أن يحقق الداعية أمانته فيما أوكل إليه من مسؤولية، بذكر أبرز تلك المجالات:

أولاً: أمانة الداعية في مجال علاقاته:

أ- علاقته مع ربه بحفظ جوارحه: إن عناية الداعية بأن يتصف بالأمانة يكون ابتداء بعلاقته مع ربه من خلال أمانته على سمعه وبصره وفؤاده وجوارحه، وسريان ذلك إلى عقيدته وعبادته وفرائض الدين وسننها مما هو مؤتمن عليه لا يَطلَّعُ عليه العباد، وأمانة الداعية في علاقته مع ربه يسهم حقاً في إعداد وتكوين نفس صادقة في دعوتها ترتقي بالداعية عن الأغراض والأهواء والأدواء.

وتتجلى أمانة الداعية في هذا الجانب بعلاقة موسى عليه السلام مع ربه حينما قالت ابنة شعيب لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ٢/١٧٠.

﴿ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [1] قال لها أبوها: وما أعلمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته: فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة. وأما أمانته: فإنه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك [2].

وإن ترك الأمانة في هذا الجانب مؤداه إلى ترك الفرائض ومن ثم الوقوع في دنس الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3]، فسر ابن عباس -رضي الله عنهما- بقوله:الأمانة الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفريضة.

والله تعالى يعلم خائنة الأعين وغيرها من الحواس وإن تظاهر صاحبها بالأمانة، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [4]، قال ابن كثير-رحمه الله-:" ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه فإنه -عزوجل- يعلم خائنة الأعين وإن أبدت أمانة "[5]. وهذا يطرد مع كل حواس الداعية

---

(١) القصص: ٢٦.

(٢) معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين البغوي، ت: محمد عبدالله النمر وآخرون، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، دار طيبة، الرياض، ٢٠٢/٦.

(٣) الأنفال: ٢٧.

(٤) غافر: ١٩

(٥) ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ غافر: ١٩: "وهو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم، وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غضَّ، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض [بصره عنها] وقد اطلع الله من قلبه أنه ودَّ أن لو اطلع على فرجها". تفسير ابن كثير ١١٤/٤. ومعلوم أن المنكرات والمعاصي مبدؤها النظر، فمسارقة النظر إلى ما لا يحل لا شك أنه خيانة بحق العين.

وجوارحه قال الإمام الغزالي-رحمه الله-: "اعلم أنَّك تَعصِي الله بِجَوارِحك، وإنما هي نعمةٌ من الله عليك، وأمانةٌ لديك، فاستِعانتُك بنعمة الله تعالى على معصيته غايةُ الكُفران، وخِيانتك في أمانةٍ أودَعَكَها الله تعالى غايةَ الطُّغيان، فأعْضاؤك رعاؤك، فانظُر كيف ترعاها «ألا فكُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ" (١)

ب – علاقاته مع المدعوين: مدار حياة الناس وتعاملاتهم في كل المجتمعات يرتكز على الأمانة، إذ "من المعلوم الجليّ أن بقاء النوع الإنساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الأعمال، وروح المعاملة والمعاوضة إنما هي الأمانة، فإن فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة وانبترت حبال المعاوضة، فاختلَّ نظام المعيشة، وأفضى ذلك بنوع الإنسان إلى الفناء العاجل"(٢).

وإن أمانة الداعية تتحقق مع المدعوين من الأهل والعيال وسائر الأقارب والمملوكين والجار وسائر المسلمين(٣) بجملة من الأمور، من أهمها رد ودائعهم إليهم، وحفظ حقوقهم وصيانة أعراضهم والالتزام بالعهود والمواثيق في المعاملات والمداينات والوفاء بما تم الاتفاق عليه، وتوثيق ذلك بما يحفظه من النسيان أو الخلاف، وفي الجانب المالي بالبعد عن الغش والخداع والغدر، وقد مَرَّ النبي ﷺ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا

(١) أخرج البخاري كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق رقم الحديث ٢٨٣٠. ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل رقم ٣٤١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم (المنار) للشيخ محمد رشيد رضا، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٥ /١٤٤.

(٣) انظر: روح المعاني، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي ٢٩ / ٦٣.

فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟!» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ! مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

ومن ذلك الأمانة في الكيل والميزان إذ تتحقق بالضبط والعدل والابتعاد عن الإنقاص أو الزيادة.

وتتحقق الأمانة في التجارة بما أشار إليه رسول الله ﷺ حين قال: إن أطيبَ الكسب كسبُ التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتُمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يُخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان عليهم لم يُمطلوا، وإذا كان لهم لم يُعسّروا.

وكذا في الشأن مع الحاكم بأداء الوجبات وما تقتضيه البيعة للسلطان من السمع والطاعة والنصح وكل ما يتعلق بذلك في حال السلم والحرب.

ثانياً: أمانة الداعية في المجال الوظيفي في الولايات المتنوعة:

إن جميع الوظائف مقصودها العام في الإسلام أن يكون الدينُ كلّه لله -عز وجل-، وإصلاح دين الخلق، وقد قرّر ذلك غير واحد من أهل العلم والتحقيق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" فالمقصود الواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم"[2].

---

(١) أخرج الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ "من غشنا فليس منا" رقم الحديث: ٢٨٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٦٢/٢٨.

وقال الإمام الماوردي -رحمه الله-:"وإن مما يجب على السلطان: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء، فيما يُفوِّض إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة" (١).

ولهذا تتطلب رعاية المهام في عموم الولايات الاتصاف بالأمانة إلى جانب القوة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ (٢) وقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ (٣) وفي قصة سليمان: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۟ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ (٤)

أشار ابن تيمية عند هذه المواضع الثلاثة بما يتصف به ممن يتولى الولاية بقوله:" فإن الولاية لها ركنان: القوة والأمانة" (٥). وهو" كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك" (٦).

---

(١) الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي الماوردي، ط ب.ر، ب.ت، دار الكتاب العربي، بيروت، ص/ ٥١

(٢) القصص: ٢٦.

(٣) التكوير: ٢٠ — ٢١

(٤) النمل: ٣٩

(٥) فتاوى ابن تيمية ٢٨/٢٥٣.

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، ط الأولى، ١٤٢١هـ، دار المعرفة، بيروت ص/ ٨٦٧.

ويوسف -عليه السلام- قال للملك: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] قال ابن كثير: ج أي: خازن أمين[2]. وأداء المهام على وجهها كما أنه أمانة فإن استثمار الداعية للولاية أيا كانت في إيصال الخير للناس وإرشادهم أيضاً من الأمانة، ولذا بيّن الإمام الشوكاني الصلة بين تولي يوسف -عليه السلام- منصب خزانة الأرض في مصر وهي الأمكنة التي تخزن فيها الأموال وبين دعوة الناس بقوله: " طلب يوسف عليه السلام منه ذلك ليتوصل به إلى نشر العدل ورفع الظلم، ويتوسل به إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان، وفيه دليل على أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ويهدم ما أمكنه من الباطل؛ طلب ذلك لنفسه" [3].

وقرّر ذلك ابن فرحون المالكي -رحمه الله- بقوله عن يوسف عليه السلام: "فإنه كان بين قوم كفار فأراد استصلاحهم ودعاهم إلى الله تعالى بالسعي في هذه الولاية" [4].

والخازن الأمين في شتى الوظائف هو أحد المتصدِّقين فعن أبي مُوسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الخازنُ الأمين الذي يُؤَدِّي ما أُمِرَ به طيِّبَةً نفسُهُ أحَدُ المتصدِّقين»[1].

---

(١) يوسف: ٥٥

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٧٤٤.

(٣) فتح القدير، للإمام الشوكاني ٣/٣٥.

(٤) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لابن فرحون المالكي، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار عالم الكتب، الرياض، ١/١٤.

ويتضح مما سبق أن الولايات المتنوعة هي محل أمانة، قال رشيد رضا -رحمه الله-: "وهذه الطبقات من الوالين للأعمال إنما تؤدِّي كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الأمانة فإن خزيت أمانة أولئك الرجال سقط بناء السلطة وسلب الأمن وزاحت الراحة بين الرعايا وضاعت حقوق الناس"(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "ومِن الأمانة أمانة الولاية، وهي أعظمها مسؤولية، الولاية العامة والولايات الخاصة، فالسلطان — مثلاً الرئيس الأعلى في الدولة- أمينٌ على الأمة كلها، على مصالحها الدينية، ومصالحها الدنيوية، على أموالها التي تكون في بيت المال، لا يبذِّرها ولا ينفقها في غير مصلحة المسلمين وما أشبه ذلك. وهناك أمانات أخرى دونها، كأمانة الوزير -مثلًا- في وزارته، وأمانة الأمير في منطقته، وأمانة القاضي في عمله، وأمانة الإنسان في أهله" (٣).

وبهذا الاعتبار فالواجب على أصحاب الولايات أيّاً كانت أصنافها ومراتبها؛ أداء الأمانات لأهلها، وأما من كان غير قادر على أمانة الولاية أو انتابه الضعف فمن الأمانة حينئذ عدم توليها، عن أبي ذرّ ﷺ أنه قال: يا رسول الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب: استئجار الرجل الصالح رقم الحديث: ٢١١٠.

(٢) تفسير المنار ١٥٢/٥.

(٣) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط الأولى، ١٤٢٥هـ، مدار الوطن للنشر، الرياض، ٤٦٣/٢. ومن ذلك أمانة الطبيب، وأمانة المهندس، وأمانة أصحاب المهن والحرف والصناعات المختلفة، وهكذا الشأن في كل من تقلّد عملاً ؛ أن يكون أميناً فيه.

« إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » (١).

قال النووي "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم " (٢).

وكما أن المهام الجسام في الولايات المتنوعة تتطلب الأمانة -كما اتضح- وفيها قال الشَّافعي: "آلات الرِّياسة خمس: صدق اللَّهجة، وكتمان السِّرِّ، والوفاء بالعهد، وابتداء النَّصيحة، وأداء الأمَانَة" (٣) فإن الأمانة أيضاً تجري حتى في الأعمال الصغيرة، فعن عدي بن عميرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤) قال المباركفوري: "والحديث مسوق لحثّ العمال على الأمانة وتحذيرهم عن الخيانة ولو في تافه.." (٥). ويَعْظُم في نفس الداعية الإخلال بالأمانة في مطلق أعماله -إضافة إلى ما تقدم- لأنها

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة باب كراهة الإمارة بغير ضرورة رقم الحديث: ٣٤١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي ٦/٢٢١.

(٣) سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ١٠ / ٤٢.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال رقم الحديث: ٣٤٢١.

(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد الرحماني المباركفوري، ط الثالثة، ١٤٠٥ هـ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية، بنارس الهند ٦/٣١.

إحدى آيات المنافقين، فعن أبي هريرة ﷺ أن النَّبيّ ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ »[1]

الفرع الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بمجالات الدعوة الخاصة:

ثمة مجالات للأمانة مناطة بالداعية نظراً لسمو رسالته باعتباره وريث الأنبياء في مهمتهم العظيمة، وتلك المجالات لها صلة بالدعوة إما مباشرة وإما غير مباشرة ويتضح ذلك بالآتي:

أولاً – أمانة الداعية في مجالات الدعوة المباشرة:

إن المقصود بمجال الدعوة المباشرة هو ما كان فيه عمل دعوي صريح، ومن تلك المجالات التي تتلازم فيها الدعوة والأمانة ما يلي:

– أمانة الداعية في مجال تبليغ الدعوة:

من جملة أنواع الأمانات المتعددة التي أُمر المسلم بأدائها أمانة تبليغ الدعوة للناس، ولهذا قال ابن عاشور: "وتطلق الأمانة مجازاً على ما يجب على المكلف إبلاغه إلى أربابه ومستحقيه من الخاصة والعامة، كالدين، والعلم والعهود، والجوار، والنصيحة، ونحوها، وضدها الخيانة في الإطلاقين. والأمر للوجوب"[2].

والداعية في أمانة تبليغ الدعوة يتأسّى بالرسل الكرام كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[3] فتضمّن أمرين: الإخبار بأنهم رسل الله إلى

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق رقم ٣٣. والإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: خصال المنافق رقم: ٦٠.

(٢) التحرير والتنوير ٤/١٦٠.

(٣) الشعراء: ١٠٧.

أقوامهم، والثاني الإخبار بأمانتهم في تبليغ هذه الرسالة بما يؤكد التلازم التام بين الدعوة والأمانة.

وهود عليه السلام وصف نفسه في مقام الدعوة بكونه أميناً فقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [1] لأمور منها:" أن مدار أمر الرسالة والتبليغ عن الله على الأمانة، فوصف نفسه بكونه أميناً تقريراً للرسالة والنبوة "[2].

ورسول الله ﷺ الهادي الأمين استنطق أمته في خطبته يوم حجة الوداع، وشهدوا له بأنه قد أدى الأمانة بأن بلغ الرسالة ونصح الأمة.

وكان ﷺ يبعث في مقام الدعوة الداعية الأمين، فعن أنس رضي الله عنه أَنَّ أَهْلَ اليمن قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلا يُعَلِّمُنَا السُّنَّةَ وَالإِسْلامَ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»[3].

قال ابن قيم الجوزية: "ومنها:- أي ما يستنبط - بَعْثُ الإمامِ الرجلَ العالِمِ إلى أهل الهُدنة فى مصلحة الإسلام، وأنه ينبغى أن يكون أميناً، وهو الذى لا غرض له ولا هوى، وإنما مرادُه مجردُ مرضاة الله ورسوله، لا يشوبُها بغيرها، فهذا هو الأمين حقٌّ الأمين، كحال أبى عُبيدة بن الجرَّاح"[4].

---

(١) الأعراف: ٦٨.

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ط الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ٧ / ١٦٧.

(٣) أخرجه الإمام ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه رقم: ٤٤٤٩.

(٤)زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، ط الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت ٦٤٤/٣.

فلا ريب أن تبليغ الدعوة للمدعوين يتطلب من الداعية أن تغدو الأمانة دثاره وشعاره، وهذا أحد مجالات الدعوة المباشرة.

- **أمانة الداعية في مجال الأذان:**

النداء للركن الثاني من أركان الإسلام مهمة عظيمة من مهام الدعوة المباشرة فالأذان على قلّة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة، لأنّه بدَأ بالتكبير المتضمّن وجود الله وكماله، ثمَّ ثنّى بالتوحيد ونفَى الشريك، ثمَّ بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ ثمَّ دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة، لأنّها لا تعرف إلا من جهة الرسول، ثمَّ دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثمَّ أعاد ما أعاد توكيداً[1].وقال الامام النووي -رحمه الله-:" ذكر العلماء في حكمة الأذان أربعة أشياء: إظهار شعار الإسلام، وكلمة التوحيد، والإعلام بدخول وقت الصلاة وبمكانها، والدعاء إلى الجماعة" [2].

وفي الحديث ما يدل على إطلاق لفظ "الدعوة" على المؤذن بصفة خاصة فعَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:« الْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ، وَالْحُكْمُ فِي الأَنْصَارِ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْحَبَشَةِ، وَالْجِهَادُ وَالْهِجْرَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ » [3] فأراد بالدعوة الأذان، جعله في الحبشة تفضيلاً لمؤذنه بلال ﷺ.

---

(١) انظر:الفتح الباري ٢/٩٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي ٣/١٨٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند. ط الثانية، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٩ / ٢٠٠. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة بقوله: "وهذا إسناد شامي حسن وفي بعضهم كلام لا يضر " ٤ / ٤٦٧.

ولهذا جاء في الحديث وصف الأمانة للمؤذن، أما الإمام فُوصِف بأنه ضامن[1]. فعن أبي هريرة ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الْإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللَّهُمَّ أَرْشِدْ الْأَئِمَّةَ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ »[2].

والمؤذن الأمين يمكن تصور أمانته في تحرِّيه الوقت حيث يعتمد الناس على صوته في الصلاة والصيام وسائر الوظائف المؤقَّتة، قال ابن الأثير: "مؤْتمن القوم الذي يَثِقُونَ إِلَيه ويَتخذونَه أَمِينًا حَافِظًا.. يَعنِي أَن الْمؤذن أَمين الناس على صلَاتهم وصيامهم" [3].

وهكذا قال الطِّيبِي: "والمؤَذن أَمين فِي الْأَوْقات يعْتمد النَاسُ على أَصواتهم فِي الصلاة والصيام وسائر الوظائف الْمُؤَقَّتَة" [4].

– أمانة الداعية في مجال الشورى:

يؤكد ضرورة أمانة الداعية في تقديم الرأي الصائب لمن طلبه أمور منها قول رسول ﷺ: « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»[5] قال المناوي –رحمه الله–: أي أمين

---

(١) اختلف الفقهاء في التفضيل بين الأذان والإمامة أيهما أفضل، على قولين:

القول الأول: أن الأذان أفضل من الإمامة، وهو الراجح عند الشافعية ومذهب الحنابلة وكان من أدلتهم أنه أمين وذلك أعظم حالاً من الضمين والدعاء بالمغفرة وذلك أعظم من الدعاء بالإرشاد.

القول الثاني: أنَّ الإمامة أفضلُ من الأذان، وهو قول الحنفية والمالكية ووجه للشافعية،ورواية عند الحنابلة.

انظر في تفصيل المسألة المغني لابن قدامة، ت الدكتور عبدالله التركي، ط الثالثة، ١٤١٧هـ، دار عالم الكتب، الرياض ٥٤/٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم ٩٤٧٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٧٨٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٧١/١.

(٤) وزاد بعضهم لأنهم كانوا يرتقون في أمكنة عالية فينبغي أن لا يشرِفُوا على بيوت الناس لكونهم أمناء.

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في الجامع كتاب الأدب، باب إن المستشار مؤتمن رقم:٢٨٢٢. وأبو داود في السنن كتاب الأدب، باب في المشورة، رقم:٥١٢٨ والحديث صححه الألباني انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم: ٦٧٠٠.

على ما استشير فيه فمن أفضى إلى أخيه بسرِّه، وأمِنه على نفسه فقد جعله بمحلها، فيجب عليه ألا يشير عليه إلا بما يراه صواباً، فإنه كالأمانة للرجل الذي لا يأمن على إيداع ماله إلا ثقة، والسرُّ قد يكون في إذاعته تلف النفس، وهذا أولى بأن لا يجُعل إلا عند موثوق به، وفيه حثٌّ على ما يحصل به معظم الدين وهو النصح لله ورسوله وعامة المسلمين، وبه يحصل التحابب والائتلاف، قال بعضهم: يحتاج الناصح والمشير إلى علم كبير كثير، فإنه يحتاج أولا إلى علم الشريعة؛ وهو العلم العام المتضمن لأحوال الناس، وعلم الزمان، وعلم المكان، وعلم الترجيح فيفعل بحسب الأرجح عنده [1].

فالداعية بما لديه من علم شرعي وبصيرة وحكمةٍ أهلٌ لأن يقدم الرأي لمن طلبه من المدعوين سواء من عامة الناس أو خاصتهم في جوانب يرون فيها حاجة إلى رأي راجح.قال الإمام البخاري رحمه الله:" وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم " [2].

وقال ابن جماعة -رحمه الله-: وينبغي للسلطان مشاورة العلماء العاملين الناصحين لله ورسوله وللمسلمين فيعتمد عليهم في أحكامه ونقضه وإبرامه وجدير بمَلِك يكون تدبيره بين نصيحة العلماء ودعاء الصلحاء أن يقوم عمده ويدوم أمده [3]. وقال ابن تيمية -رحمه الله-: "لا غنى لولي الأمر عن المشاورة فإن الله تعالى أمر بها نبيه" [4].

---

(١) فيض القدير ٤٠٨/٥.

(٢) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول الله تعالى وأمرهم شورى بينهم رقم: ١٥٤٣.

(٣) انظر: تحرير الأحكام ص/٧٢.

(٤) السياسة الشرعية، لابن تيمية، ط الثالة ١٩٥٥م، دار الكتاب العربي، مصر، ص١٦٥.

- **أمانة الداعية في مجال التعليم:**

إن الداعية الأمين يصون العلم ويحفظه ويحققه ويضبطه بالضوابط الشرعية ويعمل بمقتضاه حتى يثمر ويقوم بتعليمه وبثه ونشره في الأمة كما هو ليعمَّ نفعُه بين المدعوين، من غير تزيّد عليه، ولا تحريف له، لأن التزيّد طمسٌ لمعالم العلم، والتحريف تبديل للحق [1]. قال رشيد رضا: الذي يتعلم العلم قد أودع أمانة وأخذ عليه العهد بالتعامل والعرف بأن يؤدي هذه الأمانة ويفيد الناس ويرشدهم بهذا العلم، وقد أخذ الله العهد العام على الناس بهذا التعامل المتعارف بينهم شرعاً وعرفاً بنص قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [2] فيجب على العالم أن يؤدي أمانة العلم إلى الناس خاصة فيما لا بد منه ولا يسع الناس جهله من العقائد والواجبات وأحكام الحلال والحرام، ولا يخرج علماء الدين من تبعة الكتمان والخيانة في أمانة الله بتصديهم لتدريس كتب الفقه والعقائد، فإن هذه الكتب لا تفهمها العامة ولا تجب عليها معرفتها ؛ لأنها وضعت للمنقطعين للعلم يستعينون بها على القضاء والإفتاء في المسائل التي لا يحتاج إليها كل الناس دائماً، فيجب على العلماء أن يتصدوا لتعليم الجمهور ما لا يسع أحدا منهم جهله وأن يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر من أقرب الطرق وأسهلها، وإنما يعرف ذلك بالتجربة والاختبار [3].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، للشيخ محمد أبو زهرة ط دار الفكر العربي ١ / ١٧٢٤. والعلاقة بين الفقه والدعوة، مفيد خالد عيد، ط الأولى عام ١٤١٦هـ، دار البيان، الكويت، ص/ ٢٦٥.

(٢) آل عمران: ١٨٧.

(٣) انظر: تفسير المنار ٥/١٤٥.

وإن كتمان العلم هو خيانة توعد الله عليها ورتب عليها اللعنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1]. قال ابن عاشور: "فالعالم يحرم عليه أن يكتم من علمه ما فيه هدى للناس؛ لأن كتم الهدى إيقاع في الضلالة سواء في ذلك العلم الذي بُلِّغَ إليه بطريق الخبر كالقرآن والسنة الصحيحة، والعلم الذي يحصل عن نظر كالاجتهادات إذا بلغت مبلغ غلبة الظن بأن فيها خيراً للمسلمين "[2].

ويدخل في ذلك كل من أوكلت إليه مهمة التعليم النظامي العام والعالي في هذا العصر لأن "التلميذ أمانة يجب على الأستاذ أن يوجهه إلى العلوم النافعة والعقائد السليمة، ويحذره من البدع وما يضره في دينه ويحذره من أهل البدع..ويذكر له العلماء المحققين المستقيمين وكتبهم ليقتنيها فيتأثر بها -بإذن الله- وتحلُّ العقيدة السليمة في قلبه ويسعد في حياته وبعد مماته بإذن الله تعالى "[3].

- أمانة الداعية في مجال البحث والتأليف:

إن نسبة العلم لأهله يحل البركة وضده مظنة نزعها، والداعية في مجال التأليف أمين في النقل والإسناد وكان ذلك من أبرز سمات العلماء الربانيين من أجل أنها أمانة ولذلك قيل:

---

(١) البقرة: ١٥٩.

(٢) التحرير والتنوير ٤/١٤٥.

(٣) موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز بن محمد السلمان، ط الثلاثون، ١٤٢٤هـ، ٣ /٥٣١.

أَنُصُّ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ فَإِنَّ الْأَمَانَةَ فِي نَصِّهِ

ولهذا ما أجود قول الإمام السيوطي -رحمه الله- في "الفارق بين المصنف والسارق" تعليقاً على قول الإمام المزَني في أول "مختصره"حين قال: "كتاب الطهارة: قال الإمام الشافعي: قال الله تعالى: (وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً) – فعلق السيوطي بقوله: "أفما كان المزَني رأى هذه الأية في المصحف فينقلها منه بدون عزوها إلى إمامه" ؟ (يعني الشافعي).

فأجاب عن ذلك بقوله:" قال العلماء: وإنّما صنع ذلك؛ لأنّ الافتتاح بها من نظام الشافعي لا مِن نظامه.. حتّى قال: مَحَلّ ذلك حِرصاً على أداء الأمانة وتجنّب الخيانة؛ فإنها بِئْسَتِ البِطانة، وامتثالاً للحديث، واقتداءً بالأئمة في القديم والحديث، وتحرُّزاً عن الكذب والتَّشَبُّع، وتوفيةً لحقّ التتبُّع، ورغبةً في حصول النفع والبركة، ورَفْع تصنيفهم إلى أعلى درجة عن أسفل دَرَكة، وقياماً بشكر العلم وأهله، وإعطاء السابق حقَّه لفضله" [1].

وأهل السنة لهم القِدحُ المعلَّى في ذلك الشأن ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم إذا نقلوا عن مخالف لهم نقلوا كلامه تامّاً، فلا يأخذون منه ما يوافق ما يذهبون إليه، ويَدَعُون ما سواه؛ كي يدينوا المنقول عنه، فإن كان حقّاً أقرّوه، وإن كان باطلاً ردّوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردّوا الباطل، كل ذلك بالدليل القاطع. ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم أنهم لا يُحَمِّلُون الكلام ما لا يحتمل، وأنهم يذكرون ما لهم وما عليهم، وأنهم يرجعون للحق إذا تبيّن[2].

---

(١) الفارق بين المصنف والسارق، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: هلال ناجي، ط الأول ١٤١٩هـ، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ص/ ٣٥.

(٢) مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة – المفهوم والخصائص، ص/ ٢٣

والداعية في البحث والتأليف إذا لم يكن أميناً فهذا مما يبعث على الاسترابة بنقله إذ لا يستقيم ظل والعود أعوج فلا يؤمن عليه التغيير والتبديل والافتعال للحديث والكذب حرصاً على مكسب يحصل عليه[1] "وإذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يتشدد في الحديث ويتوعد عليه، والزمان زمانٌ، والصحابة متوافرون، والبدع لم تظهر، والناس في القرن الذي أثنى عليه رسول الله ﷺ، فما ظنك بالحال في الأزمنة التي ذمها وقد كثرت البدع وقلت الأمانة ؟"[2].

ثانياً – أمانة الداعية في مجالات الدعوة غير المباشرة:

مجالات الدعوة غير المباشرة ما كانت في إطار الولايات الشرعية التي بها حفظ الشريعة وصيانتها كما سمَّاها ابن جماعة وبين أنها: القضاء، والفتيا، والحسبة، والأوقاف العامة، والنظر للأيتام ومن إليهم، واشترط ابنُ جماعة في كل من يلي أيّاً من هذه الأمور "عدالة لا يعدل عنها وكفاية لا يجوز الخلوّ منها" [3] وبيان أمانة الداعية في هذه المجالات كما يلي:

– أمانة الداعية في مجال القضاء:

القضاء منصب شرعي للحكم بين الناس في الحقوق، لا يتولاه إلا أهل العلم الشرعي ومن اتصف بعدة صفات لا تخلو منها الأمانة، حيث

---

(١) انظر: الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين، لابن السيد البطليوسي ت: الدكتور محمد رضوان الداية ط الثالثة، دار الفكر، ١٤٠٧هـ، دمشق، ص/ ١٦١

(٢) انظر: الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين، البطليوسي، ص/ ١٦١.

(٣) تحرير الأحكام ص/٨٨.

ذكر العلماء منها: "أن يكون ذا ديانة مشهورة وسيرة وعفة مألوفة، ووقار وسكينة، ونفس شريفة، وتام الورع، خالياً من الطمع، متنزهاً عن ملابسة الرذائل ومخالطة الأراذل.."[1] وجاء في رسالة عبدالحميد بن يحيى الكاتب في العصر الأموي التي كتبها إلى ولي العهد يبين له فيها المسلك الذي يجب أن يسلكه في التدبير:" فليكن من تولية القضاء في عسكرك: من ذوي الخير في القناعة، والعفاف، والنزاهة، والفهم، والوقار.. إلى أن قال: عدل في الأمانة"[2] ومن الصفات التي تتجلى فيها قيم الأمانة العدالة التي يقصد منها أن يكون مؤدياً للفرائض والأركان، صادق اللهجة، عفيفاً عن المحارم، متوقياً من المآثم، مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودنياه، ظاهر الأمانة..[3] وكونه أميناً لأنه حَكَمٌ على الناس كما قال شيخ الإسلام:" والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمناً قليلاً، وتركِ خشية الناس، وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها الله على كل من حَكم على الناس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[4][5] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ

---

(١) تحرير الأحكام ص/٨٨

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، ت: يوسف طويل، ط الأولى، ١٩٨٧، دار الفكر، دمشق، ٢٢٤/١٠.

(٣) انظر:صفات القاضي في المجتمع الإسلامي، د. حسين نصار بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، عدد ٢ عام ١٤١١هـ ص/ ٤٣.

(٤) المائدة جزء من آية: ٤٤.

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٢٥٣/٢٨.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [1] قال ابن عاشور في هذا الصدد:"والخطاب لكلّ من يصلح لتلقّي هذا الخطاب والعمل به من كلّ مؤتمن على شيء، ومن كلّ من تولّى الحكم بين الناس في الحقوق " [2].

وثمة تناسب بين الأمر بأداء الأمانات في الآية وبين الحكم بالعدل، وبين اتصاف الله بكونه سميعاً بصيراً، وهو أن القاضي مؤتمن على الحكم بالعدل بين المتخاصمين وهذا يستوجب منه أن يكون ذا استماع بصير يتحري من خلاله فهم دعوى المدعي وجواب المدعى عليه، من أجل استجلاء موضوع التنازع وإعمال الأمارات فيما لا تحضره البينات، والتعمُّق في القرائن والملابسات، وهذا الإعمال الكامل من القاضي لفكره واستماعه البصير ثم النطق بالحكم الشرعي بما ظهر له يتطلب بُعْدَه عن أسباب الجور في الحكم من المرغبات أو المرهبات ليكون أميناً غير خائن لعلمه وما تكشف له [3].

– أمانة الداعية في مجال الفتيا:

إن الذي يتصدر لفتيا الناس من الدعاة لابد أن يكون ملمّاً بالشروط التي وضعها الفقهاء فهي التي تؤهله لأن يستنبط ويرجح ويختار فهذه تتصل بالقوة العلمية، وإلى جانب ذلك الأمانة العلمية وهي شروط لم يذكرها

---

(١) النساء: ٥٨

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٤ / ١٦٠.

(٣) انظر: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لابن فرحون المالكي١٠١/٢. وتفسير المنار، رشيد رضا ١٤٧/٥. وفي ظلال القرآن، سيد قطب، ط السادسة عشرة، ١٤١٠هـ دار الشروق، القاهرة، ٦٨٩/٢.

العلماء عبثاً وإنما ذكروها حفظاً للدين من المتعالمين ووقاية له من خائني أمانة العلم وهم من يطلق على أحدهم المفتي الماجن [1] جاء في معجم لغة الفقهاء المفتي الماجن: الذي يعلم الناس الحيل لإسقاط الأحكام الشرعية [2]، ولقد نبّه الإمام ابن قيم الجوزية على خطورة هذه المسألة بقوله: "ولما كان التبليغُ عن الله —سبحانه– يعتمد العلم بما يبلغ، والصدقَ فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفُتْيَا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالماً بما يبلغ، صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حَسَن الطريقة، مرضيَّ السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله؛ وإذا كان مَنْصِبُ التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا يُنْكَر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟

فحقيق بمن أُقِيمَ في هذا المنصب أن يُعِدَّ له عُدَّته، وأن يتأهب له أُهْبَتَه، وأن يعلم قَدْرَ المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصَّدْع به؛ فإن الله ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ [3].

---

(١) وهو أحد الثلاثة الذي يرد ذكرهم في كتب الحنفية في باب الحَجْر، وهم المفتي الماجن، والمكاري المفلس، والطبيب الجاهل. ويرى الإمام أبو حنيفة الحجر عليهم بمعنى منعهم هؤلاء المفسدين للأديان والأبدان والأموال دفع إضرارهم بالخاص والعام فهو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقولهم رجل ماجن مأخوذ من المجون ومعناه الصلب والغليظ والذي لا يخشى كلام الناس ولا يبالي بما صنع يعني: هو الذي لا يستحيي ولا يخجل انظر: حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين ط الأولى ١٤٢٣هـ، دار عالم الكتب، الرياض ٩/٢١٤.

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، ط الأولى، ١٤١٦هـ، دار النفائس، بيروت، ص/ ٣٣٦.

(٣) النساء: ١٢٧.

وكفى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفاً وجلالة: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾[1]، وليعلم المفتِي عمن ينوب في فَتْواه، وليُوقِنْ أنه مسؤول غداً ومَوْقُوف بين يدي الله"[2].

- أمانة الداعية في مجال الحسبة:

الحسبة ولاية تقوم على الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[3] ومستندها قول الله عزوجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

ومعلوم أن الذي يتولى الحسبة يختلط بعصاة مجتمعه فيطلع على ما لا يطلع سواه بحكم الاختصاص، والناس بطبعهم يكرهون أن تشتهر آثامهم بين الناس، ولهذا قال ﷺ: « . وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ »[5].

ومن هذا المنطلق جاءت النصوص الكريمة بالستر، وهذا يستدعي من القائم بالحسبة أن يتمثل الأمانة بالستر وفق ما شُرع له لعموم قول رسول اللَّهِ ﷺ: « وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[6] قال ابن حجر - رحمه الله-: "أي: رآه على قبيحٍ فلم يُظهِره؛ أي: للناس، وليس في هذا ما

---

(١) النساء: ١٧٦.

(٢) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، ط الأولى، ١٤١٤هـ، دار الحديث، القاهرة، ١/١٩.

(٣) الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، ط ب.ر، عام: ب.ت دار الوطن، الرياض، ص/ ٢٨٤.

(٤) آل عمران آية: ١٠٤.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب كتاب البر والصلة الآداب، باب تفسير البر والإثم، رقم الحديث: ٤٦٣٩.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه رقم الحديث: ٢٤٤٢ والإمام مسلم في كتاب البر والصلوة والآداب، باب تحريم الظلم رقم: ٦٦٧٠.

يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينتهِ عن قبيحِ فعلِه ثم جاهَر به، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء، فلو توجَّه إلى الحاكم وأقرَّ لم يمتنع ذلك، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضَتْ، والإنكار في معصية قد حصل التلبُّس بها، فيجب الإنكار عليه، وإلا رفَعَه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة" [1].

وتتصور أمانته أيضاً في هذه المهمة الشريفة فيما لم يظهر من المحظورات، كما قال الإمام أبو يعلى الحنبلي -رحمه الله-بشأن هذا النوع من المحظورات:" فليس للمحتسِب أن يتجسس عنها ولا يهتك الأستار حذراً من الاستسرار بها"[2] وأن يقتصر على صلاحياته المأذون له فيها، ويلتزم بما يوكل إليه من اختصاصات في ضوء ما حدده له النظام الرسمي الذي يهدف إلى تحقيق المصلحة.

- أمانة الداعية في مجال الأوقاف العامة والخاصة:

الأوقاف جمع وقف وهي تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة وهي أنواع متعددة تطورت آلياتها ووسائلها إلا أن مدارها أنه يجب العمل بشرط

---

(١) فتح الباري ٥/ ١١٧.

(٢) الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، ص/ ٢٩٥.

وذكر العلماء أنه إذا غلب على الظن استسرار قوم بالمحظورات لأمارات دلت وآثار ظهرت فذلك ضربان:

أحدها: أن يكون في ذلك انتهاك حرمة يفوت استدراكها فيجوز له في هذه الحالة أن يقدم على الكشف والبحث.

والثاني ماكان دون ذلك في الريبة فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه. انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، ص/ ٢٩٦.

الواقف من قبل الناظر الذي يفترض أنه أمين في التصرف لإيصال المنفعة للمستحقين.

وقد ذكر الفقهاء لو أن الواقف أطلق ولم يشترط النظر لأحد ومات فالنظر للموقوف عليه المعين وإن كان فاسقاً لكن يضم إليه أمين [1].

وتتصور أمانته -الناظر الأمين- في هذا المجال بأن يقصد مصلحة الوقف ومصلحة الموقِف ومصلحة الموقف عليه ولا اعتبار لمصلحته الخاصة هنا وهواه المجرد ولهذا قال شيخ الإسلام: "فمن تصرَّف لغيره فإنه يقصد مصلحة من تصرَّف له لا يقصد هواه، فإن هذا من الأمانة التي أمر الله أن تؤدى إلى أهلها فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [2] [3].

- أمانة الداعية في مجال أموال اليتامى:

جاءت الآيات القرآنية تؤكد أهمية الأمانة في ولاية أموال اليتامى نحو قوله الله -عز وجل-: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [4].

ويقول: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾ [5].

---

(١) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط الرابعة، ١٤١٠هـ، ٥/٥٥١.

(٢) النساء: ٥٨

(٣) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية الحراني، ط الأولى، ١٣٨٦هـ دار المعرفة، بيروت. تقديم: حسنين محمد مخلوف، ٣ / ٤٤٧.

(٤) الإسراء: ٣٤

(٥) النساء: ٢

والأصل في تولي مال اليتيم الوصيُّ الذي أوصى له الأب، وعليه أن يكون أميناً، قال شيخ الإسلام: " لا يجوز أن يُولَّى على مال اليتامى إلا من كان قوياً، خبيراً بما وُلِّي عليه، أميناً عليه، والواجب إذا لم يكن الولي بهذه الصفة أن يُستبدل به من يَصلح"(١).

ولهذا جاء نهي النبي ﷺ لبعض أصحابه عن ولاية مال اليتيم فعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ:« يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّهُ لِنَفْسِي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ عَلَى مَالِ يَتِيمٍ»(٢) ذكر السيوطي -رحمه الله- أن وجه الضعف كون الغالب على أبي ذر ﷺ الزهد واحتقار الدنيا، ومن هذا حاله لا يعتني بمصالح الدنيا ولا أموالها اللذين بمراعاتهما تتنظم مصالح الدين ويتم أمره (٣).

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله- مؤكداً أمانة من يتولى ذلك:" فلا يقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن وذلك بالتصرف فيه بالتجارة والتنمية وبالنصح وأداء الأمانة" (٤).

أما لو كان هذا الوصي خائناً فعبارة الفقهاء "جعل معه أمين" ومن العلماء من قالوا:لا يجوز تولية الخائن على يتيم في حياة الموصي ولا بعد موته، لأن الوصية ولاية وأمانة، والفاسق ليس من أهلهما. فعلى هذا إذا

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٠/٤٤.

(٢) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم ٤٧٢٠.

(٣) انظر: شرح سنن النسائي، للسيوطي المطبوع مع حاشية السندي، ط الأولى، عام: ب. ت، دار الريان للتراث، مصر ٦/٢٥٥.

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جمع وترتيب د. محمد الشويعر، ط الرابعة، ١٤٢٣هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ١٤/٣٣٠.

كان الوصيُّ فاسقاً، فحكمه حكم من لا وصي له، وينظر في ماله الحاكم[1].

فلا غرو أن الداعية الأمين في ولايته أموال اليتامى سواء أكانوا أفراداً أو على هيئة مؤسسات أن يجري أموالهم في مجراها النافع ويحوطها بكل استطاعته بما يحقق المصلحة ويجنبها الضرر.

(١) المغني لابن قدامة ٨/ ٥٥٥.

المبحث الثاني

أمانة الداعية المتعلقة بمضمون الدعوة

المبحث السابق تحدثنا فيه عن أمانة الداعية المتصلة بالمدعوين ومجالات دعوتهم، والتي منها أمانة التبليغ العامة، والخاصة المباشرة وغير المباشرة. وحيث إن الدعوة تشتمل على مضامين دعوية يسوقها الداعية للمدعوين تتطلب منه أن يكون أميناً عليها، وتُعَّرف المضامين في اللغة بأنها ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهن تضَمَّنَّه، وقيل: المضامين هي ما في أَصلاب الفحول، وهي جمع مَضْمُون وأَنشد بعضهم:

إنَّ المضامينَ التي في الصُّلْبِ ماءُ الفُحولِ في الظُّهورِ الحُدْبِ

ويقال: ضَمِنَ الشيءَ بمعنى تَضَمَّنَه، ومنه قولهم مَضْمُونُ الكتاب كذا وكذا[1] وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضَمَّنْتَهُ إياه، والمضَمَّنُ من الشعر ما ضَمَّنْتَهُ بيتا، وتقول: فهمت ما تضمنه كتابك أي ما اشتمل عليه وكان في ضمنه وأنفذته ضِمْنَ كتابي أي في طيه. وقال: " ضمن الشيء الشَيء إذا أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر وقد تضمنه"[2].

وبناء عليه فإن مضمون الدعوة هو ما احتواه كلام الداعية الموجه للمدعوين من قضايا وأفكار، وتتمثل أمانة الداعية تجاه المضمون بأمور يمكن إبراز أهمها من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: أمانة الداعية المتعلقة بأصل المضمون.

المطلب الثاني: أمانة الداعية المتعلقة بمآل المضمون.

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٣ /٢٥٧.

(٢) تاج العروس، للزبيدي، ت: عبدالكريم الغرباوي، ط الأولى، عام ١٣٩٢هـ، ص/ ٨٠٩٦.

المطلب الأول

أمانة الداعية المتعلقة بأصل المضمون

ويتبين ذلك في الفروع الآتية:

الفرع الأول: أمانة الداعية في البناء السليم للمضمون:

أ- من حيث قيامه على الأسس الصحيحة:

إن المضمون الدعوي السليم بأساليبه المتنوعة في ميادينه المختلفة ينطلق من مشكاة الوحي الكتاب والسنة بفهم السلف رضوان الله عليهم، ويسعى لتحقيق مقاصد الدعوة والتي من أبرزها هداية الناس والرحمة بهم في كل جانب سواء في الجانب العقدي أو الشرعي أو السلوكي كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] فالمهتدي منهم يزداد هدى ويتمسك به، و الكافر ليهتدي إلى دين الإسلام.

ومن أمانة الداعية في البناء السليم للمضمون ارتكازه على مبدأ الإصلاح العام كما قال تعالى: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ ﴾[2] وهو مستفاد من سيرة الحبيب ﷺ إذ تناولت أصول مضامينها إصلاح حياة الفرد والأسرة والمجتمع بجوانبها المختلفة وتحقيق المصالح ودفع المفاسد وحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ومن ثم كانت أحكام الشريعة من حل وحرمة واستحباب وكراهة وإباحة مدارها على تحقيق مصالح العباد.

---

(١) الأنبياء: ١٠٧

(٢) هود: ٨٨

وايضاً تميزه بمعالم وأسس مهمة تنبثق في الأصل من الأمانة من أهمها الصدق والوضوح والتفاعل مع واقع الناس، والنصح، والتعميم المنافي للتعيين، والعفة المنافية للتجريح، والإحسان المنافي للغة الاستعداء [1].

ومن أمانة الداعية في أصل المضمون أيضاً تجنبه إيراد غرائب المسائل والأحاديث الموضوعة والضعيفة وإيثارها على النص الشرعي الصحيح، وترك المبالغات التي فيها إلهاب عواطف المدعوين وإرضاء أذواق بعضهم [2].

ب- من حيث شمول الخطاب لقضايا الدعوة:

إن الخطاب الدعوي صِيغ في الأصل ليشتمل على إقامة الدين وسياسة الدنيا وهو دعوة لجعل الحياة كلها تقوم أركانها على أهداف الإسلام وغاياته ومقاصده، لذا لم يتخلف في الأصل شأن عن مضمون الخطاب الدعوي ومقصوده فجاء دعوةَ أخلاق وسلوك وتربية، كما هو عبادة وذكر، ودعوةَ صدق وإخلاص وتوكل وأمانة كما كان دعوةَ توحيد في الاعتقاد والتعبد، وهو دعوةُ علم ووعظ ومعاملات مدنية وعلاقات اجتماعية وسياسية ودولية، وهو بالجملة دعوةٌ إلى ما يحيي البشرية ويسعدها وبهذا جاء النداء الإلهي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [3] [4].

---

(١) انظر: معالم الخطاب الدعوي عند النبي ﷺ، د. طالب حماد بحث مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر الجامعة الإسلامية بغزة من ٧-٨ ربيع الأول عام ١٤٢٦هـ ص/ ١١.

(٢) انظر: العلاقة بين الفقه والدعوة، مفيد خالد عيد، ص/ ٢٣٠.

(٣) الأنفال جزء من: ٢٤.

(٤) انظر: دعوة الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد، د. عبدالله الزبير عبدالرحمن، ط الأولى، ١٤٢١هـ، سلسلة كتاب الأمة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ٨٠.

ولهذا فإنه من التجافي عن الأمانة في المضمون الدعوي قيام الداعية باختزال الدعوة في قضية معينة وتضخيمها ولا يلتفت إلى ما سواها في كل الظروف والأحوال في حين أن مضمون الدعوة ينساب بشمول تام إلى ما يحتاجه البشر وتتطلبه جوانب حياتهم المتنوعة وهذا أحد خصائص دعوة النبي ﷺ ما لم يكن لذلك مقتضاه الصحيح قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–:" وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره فما قام به غيره سقط عنه وما عجز لم يُطالَب به، وأما ما لم يقم به غيره وهو قادر عليه فعليه أن يقوم به، ولهذا يجب على هذا أن يقوم بما لا يجب على هذا، وقد تقسّطت الدعوة على الأمة بحسب ذلك تارة وبحسب غيره أخرى فقد يدعو هذا إلى اعتقاد الواجب وهذا إلى عمل ظاهر واجب وهذا إلى عمل باطن واجب، فتنوع الدعوة يكون في الوجوب تارة وفي الوقوع أخرى"[1].

الفرع الثاني: أمانة الداعية في تحري الحق وقوله:

من الواضح أن أمانة الداعية في مضمون الدعوة أن يتحرى الحق في كل المسائل ويبرزه في مظانه قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[3] قال ابن عاشور:

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥ /١٦٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٩

(٣) النساء: جزء من آية: ٥٨.

"والخطاب لكل من يصلح لتلقي هذا الخطاب والعمل به من كل مؤتمن على شيء.. ويطلق أداء الأمانة على قول الحق والاعتراف به وتبليغ العلم والشريعة على حقها" [1].

فيجب على الداعية أن يؤدي أمانة قول الحق لهداية الخلق كما قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [2] وإن قول غير الحق هو مداهنة تضاد الأمانة في أصل المضمون قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وهذا الدين لا يُنسخ أبداً، لكن يكون فيه من يُدخل من التحريف والتبديل والكذب والكتمان، ما يلبس به الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة، خلفا عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيحق الله الحق ويبطل الباطل، ولو كره المشركون "[3].

ولا ريب أن أمانة العلم جعَلت العلماء والدعاة من سلف الأمة يصدَعُون بالحقِّ لقوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [4] في نماذج متنوعة سطرها التاريخ لا يتسع المقام لبيانها هنا [5].

---

(١) التحرير والتنوير ٣/١٦٠.

(٢) الأعراف: ١٨١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/٥٣.

(٤) آل عمران: ١٨٧.

(٥) ولهم مواقف مشهودة مع جبابرة ومبتدعة وملاحدة وأمثلة ذلك ما أوردته المصادر في سير الإمام مالك وأحمد والأوزاعي والعز بن عبدالسلام وابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ سعيد النورسي وغيرهم.

المطلب الثاني

أمانة الداعية المتعلقة بمآل المضمون

الداعية عليه النظر إلى مآلات مضمون خطابه الدعوي، فمهمته لا تنحصر في التبليغ وبيان الحق بل كذلك أن يستحضر مآلات حديثه وأن يقدِّر له عواقبه المترتبة عليه.

وهي مآلات متغيرة بحسب الناس تارة والأزمنة والأمكنة تارة أخرى قال الإمام الشاطبي -رحمه الله تعالى- في الموافقات في هذا المعنى: "إنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحَّت في ميزانها، فانظرْ إلى مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يُؤدِ ذكرُها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتْها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم. وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغُ، فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية" [1].

ويمكن تصور الأمانة في هذا الجانب بأن مآلات مضمون خطاب الداعية ربما تخفى على كثير من الناس فتحري الداعية لها واستبصارها وإمعان النظر في تصورها واستشراف ذلك ببذل الأسباب الممكنة وإعمال الرأي قبل تبليغ المضمون يتطلب قدراً كبيراً من الأمانة.

---

(١) الموافقات، للإمام الشاطبي، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، ط الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن عفان.

ومن ذلك أن ليس كل ما يعلم يقال – وإن كان حقاً– فقد يكون لبعض الناس فتنة، وفي الحديث عن ابن مسعود ﷺ: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا، لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً "[1] وترجم الإمام البخاري في كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا[2] قال ابن حجر: وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمدُ في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين وأن المراد ما يقع من الفتن[3].

ومن ذلك اطِّراح الداعية القضايا التي مآلها تفريقٌ لوحدة المسلمين وتمزيقٌ لصفهم، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة والبعد عن التنازع والاختلاف، ومنها ما يكون مآلها إعانة للمغرضين ممن اشتهر عنهم الطعن في الدعاة والعلماء والتحريض ضدهم والكذب عليهم، ومنها ما يكون سبباً في فتح أبواب الشر على مصاريعها لضعاف النفوس في التقليل من شأن بعض المحرمات أو التسهيل فيها وقد كان بابها موصداً من قبل، ومنها ما يكون فيه إفساد لقلوب العامة والخاصة على ولاة أمرهم وسبباً في ترويج الأكاذيب والإشاعات الباطلة ضدهم، لاسيما إذا كانت الأمة في حال تعصف بها عاديات الأعداء بوسائلهم الظاهرة والخفية كحالنا اليوم، فذلك

(١) أخرجه الإمام مسلم باب النهي عن الحديث بكل ما سمع رقم: ٩.

(٢) كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٢٧٢/١.

كله من أعظم الخيانة لها ومن أعظم الجنايات على المسلمين، وهو مسلك لا يمت للأمانة ولا للحكمة والبصيرة بصلة.

فمن هنا يتضح أن الداعية الأمين على دعوته هو الذي يراعي مآلات المضمون في خطابه وفقاً للظرف المحيط بدعوته ومجتمعه وزمانه، وهو أصل أصيل في فقه الدعوة إلى الله، والشريعة الإسلامية راعت ذلك في تشريعها الأحكام، وفي الحكم على الأشياء واستيعاب الأمور والقضايا.

والفقهاء باستقرائهم لطريقة الشارع في التشريع بينوا قاعدة مآلات القول، وبنوا عليها قواعدهم الفقهية، واحتكموا إليها [1].

(١) انظر: دعوة الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد.. د. عبدالله الزبير عبدالرحمن مركز البحوث والدراسات، بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر.

المبحث الثالث

أمانة الداعية المتعلقة بوسائل الدعوة وتأثيرها

الوسيلة في اللغة هي الوصلى والقربى، وجمعها وسائل، والوسيلة ما يتقرب به الشخص إلى غيره [1]، وفي الاصطلاح الدعوي: ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة على نحو نافع مثمر [2].

وتتمثل أمانة الداعية تجاه وسائل الدعوة بأمور يمكن إبراز أهمها من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: أمانة الداعية في جانب استخدامات وسائل الدعوة.

المطلب الثاني: أمانة الداعية في جانب تأثيرها في نجاح الدعوة.

---

(١) انظر: التعريفات، للجرجاني، ت: د. عبد المنعم الحفني، ط الأولى، عام: ب. ت، دار الرشاد، القاهرة ص/ ٢٨٠. ولسان العرب ١١/٧٢٤.

(٢) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٦هـ، ص/ ٤٤٧.

المطلب الأول

أمانة الداعية في جانب استخدامات وسائل الدعوة

لعل من أهم ما يجلي أمانة الداعية في استخدامات وسائل الدعوة ما يلي:

أولاً: استثمار الداعية أفضل الوسائل المشروعة في عصره لتبليغ الدعوة:

إن تبليغ الدعوة إلى الله بمضامينها المتعددة لا يحصل إلا بوسائل ولا يتحقق إلا بأسباب كما هو متقرر، ولهذا لما كلف الله تبارك وتعالى هذه الأمة بالدعوة أمرها من جملة ما أمرها به الأخذ بوسائل الدعوة[1]، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[2] وهي آية مطلقة لم تحدد مصادر القوة وطرقها، إشارة لأهمية الأخذ بوسائل الدعوة التي تمكن من تبليغ الخير للناس في مشارق الأرض ومغاربها [3].

وإن اقتصار الداعية على وسيلة معينة بداعي الإلفْ لها والاقتناع بكفايتها دون سواها رغم تجدد الزمان والمكان والحال بالنسبة للدعوة أمر لا يتسق مع الأمانة التي تحملها الداعية في إيصال الرسالة إلى الناس كافة، ولهذا بين ابن عاشور أن من ترك استخدام طرق العصر في التعليم فهو لم يؤدِ أمانة العلم بقوله: " ويتوقف أداء أمانة العلم على تعرف الطرق التي

---

(١) انظر: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، دار إشبيليا، الرياض، ص/ ٣١٧.

(٢) سورة: الأنفال. جزء من آية: ٦٠.

(٣) انظر: أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، فواز بن هليل السحيمي، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار ابن القيم، الدمام، ص/ ١٢٤.

توصل إلى ذلك، فيجب أن تعرف هذه الطرق لأجل السير فيها، وهذه الطرق تختلف باختلاف الزمان والمكان كما تختلف الطرق التي تؤدى بها أمانة المال، ففي هذا العصر تؤدى الأموالُ إلى أصحابها بطرق لم تكن معروفة في العصور السابقة، كالمصارف وغير ذلك، وكذلك توجد طرق لنشر العلم بين الناس أسهل من الطرق السابقة، فمن أبى سلوكها لا يعذر بعدم تأديته لأمانة العلم النافع. وإعراض العلماء عن معرفة الطرق التي تتأدى بها هذه الأمانة بالفعل هو ابتعاد عن الواجب الذي أمروا به، وإخفاء الحق بإخفاء وسائله هو عين الإضاعة للحق، ويمكننا أن نجزم بأن هؤلاء العلماء لا يؤدون الأمانة، وهي ما استحفظوا عليه من كتاب الله، ولا عذر لهم في ترك استبانة الطريق الموصل إلى ذلك بسهولة وقرب، فهم خونة الناس وليسوا بالأمناء" [1].

ثانياً: اقتصار الداعية على استخدام وسائل الدعوة المشروعة:

إن حرص الداعية على أن تنفذ دعوته إلى الآفاق ويقبلها المتلقون من مسلمين وغير مسلمين لا يجعله ينساق إلى استخدام وسائل غير مشروعة في الدعوة، فأمانته تقتضي منه أن يوصد الباب أمام كل وسيلة غير مشروعة حتى وإن كانت توصله إلى غايته، فالغايات على الصحيح لا تبرر الوسائل عند الداعي الأمين، وبقدر الحرص على تبليغ الدين يبلغ الحرص شأنه أيضاً في الوقوف عند حدود المشروع والتعبد لله به، فلا يجوز الكذب لأجل

(١) تفسير المنار٥/١٤٥.

الـدعوة، ولا التلـبس بمعصـية للتقـرب مـن العاصـي، ولا الانقلابـات ولا الاغتيالات ونحو ذلك مما يدخل في تطبيق قاعدة الغاية تبرر الوسيلة [1] قال محمود شلتوت -رحمه الله-:"إن التقرب إلى الله لا يُنال إلا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذي شرع"[2].

ولهـذا لـو فـتح بـاب النظـر والإحـداث في وسـائل الـدعوة غـير المشروعة لصار الدين غير الدين والشريعة غير الشريعة [3].

(١) وهي قاعدة نظّر لها وقرّر صوابها الفيلسوف الإيطالي "نقولا مكيافلي" المتوفى عام ١٥٢٧م. انظر للتوسع في القاعدة والرد عليها: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم ص/ ٢٩١.

(٢) أسـاب البـدع ومضـارها، الشيخ محمود شـلتوت، ت: عبدالآخر حماد، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الجيـل، بيروت، ص/ ٦١.

(٣) انظر أساب البدع ومضارها، الشيخ محمود شلتوت، ٦٥.

المطلب الثاني

أمانة الداعية في جانب تأثيرها في نجاح الدعوة

لقد بات واضحاً أن أمانة الداعية أحد مقومات نجاح الدعوة ودافع مهم من دوافع الاستجابة فهي — أعني أمانة الداعية – ذات أبعاد في إحداث التأثير العميق على المدعوين، ويتضح ذلك من خلال أمرين:

الأول: كونها مما اسْتُدِلَ بها على صدق الأنبياء في دعواتهم:

إن الداعية إذا حقّق الأمانة في المجالات التي يباشرها العامة منها والخاصة وما كان مباشراً في الدعوة أو غير مباشر فإن حاله هذه حينئذ تنم عن رجل متجرد لدعوته حريص على هداية الناس، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [1] قال ابن عاشور: "فاستدل عليهم بتجربة أمانته قبل تبليغ رسالته، فإن الأمانة دليل على صدقه فيما بلغهم من رسالة الله..، وجملة ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ عطف على جملة: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: علمتم أني أمين لكم وتعلمون أني لا أطلب من دعوتكم إلى الإيمان نفعاً لنفسي. وضمير بم عائد إلى معلوم من مقام الدعوة" [2].

---

(١) الشعراء: ١٠٦ — ١٠٩.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦٧/١٩.

ومما يدل على أهمية السيرة الحسنة للداعي – والأمانة منها– وأثرها في نجاح الدعوة أن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها عندما أخبرها رسول الله ﷺ بما حدث له في غار حراء قالت له:"ابشر والله لا يخزيك أبداً انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر — في أوصاف أخر جميلة عدتها من أخلاقه تصديقاً منها له وإعانة على الحق".

قال العلامة محمد الخضر حسين رحمه الله: " يأخذ بعض أهل العلم في وصف الداعي أن يكون صالحاً في نفسه، مستقيماً في سيرته وهو شرط صحيح بالنظر إلى انتفاع الناس بإرشاده وتسابقهم في إجابته فإنهم –على ما نرى ونسمع — لا تلين قلوبهم لموعظة، ولا يقتدون برأي مرشد إلا إذا وثقوا بأمانته وأبصروا في حالته الظاهرة مثالاً لما ينصحهم به"[1].

وحينما تتجلى أمانة الداعية للناس في سلوكه الشخصي ومجالات الدعوة العامة والخاصة ونفعه المتعدي في أبهى صورها فإن هذا من جملة ما يؤكد أن الداعية لا يريد من جرّاء دعوته مصلحة خاصة ولا هوى يتبعه ولا يغرض يطلبه وإنما هو تبليغ دين الله لا غير كما كان الأنبياء كلٌ منهم يقول: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[2].وبهذا يكون الداعية أكثر نجاحاً وأكثر تأثيراً في نفوس المدعوين.

---

(١) الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة، الشيخ محمد الخضر حسين، ت: علي حسن عبدالحميد، ط الأولى ١٤١٧هـ، دار الراية، الرياض، ص/ ٥٥.

(٢) الشعراء: ١٠٧.

الثاني: كون أمانة الداعية مؤثرة في غير المسلمين:

إن المدعوين يتأثرون بأمانة الداعية ويستدلون بها على صحة الدعوة الإسلامية وكانت الأمانة منفذاً لكثير من غير المسلمين لدخول الإسلام.

ولهذا كان للتجار المسلمين الأمناء الذين انتشروا في قارة أفريقيا وقارة آسيا أثر واضح في دخول كثير من شعوب تلك الدول الإسلام، وذلك بسبب ما كان يتمتع به أولئك التجار من الأمانة ومقتضياتها كحسن المعاملة والبعد عن الغش والتزوير متمسكين في ذلك بهدي نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام. فأمانة الداعية مع غير المسلمين من دوافع استجابتهم للدين الحق.

يقول صاحب كتاب (أمة التجارة): "وقد كان للتجار المسلمين صفات تدعو للإعجاب والإكبار، حيث جذبت الأهالي إليهم، لسمو أخلاقهم، وحسن معاملتهم الطيبة، وشخصيتهم المؤثرة، وفيهم كرم وإيثار، كان الصدق دينهم والأمانة دستورهم" [1].

وقال أيضاً: "ويمكن في هذا المقام أن نقول كلمة حق بأنه كان من حصاد أخلاق هؤلاء التجار؛ تلك الإمارات والدول والإمبراطوريات الإسلامية". وقال أيضاً: ".. يمكن القول بأن الجهد الذي بذله التجار العرب والبربر الذين جابوا الديار الأفريقية حيث كانوا خير دعاة للإسلام بعملهم وسلوكهم ونشرهم للدين الحنيف؛ فأسلم على أيديهم خلق كثير،

(١) أمة التجارة ودور التجار في نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا، أحمد محمد العقيلي، ط الأولى، ١٤١٩هـ، المؤتمن، الرياض، ص٢٥٦.

كما قاموا ببث العلوم الإسلامية، ونبغ على أيديهم جيل من أبناء أفريقيا حملوا أمانة الدعوة، فأضافوا إلى شعوبهم الإسلامية شعوباً، ولأمتهم العربية الإسلامية مسلمين" [1].

ومما يشير إلى تأثير الأمانة في مدى استجابة غير المسلمين للدعوة؛ معرفة الضد والأشياء تعرف بأضدادها، إذ كثير من المسلمين كان بعدهم عن أخلاق الإسلام سبب في عدم استجابة غير المسلمين قال ابن قيم الجوزية عن ذلك في زمنه: " ولقد دعونا نحن وغيرنا كثيراً من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبروا أن المانع لهم ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام، ممن يعظّمهم الجهال من البدع والظلم والفجور والمكر والاحتيال، ونسبة ذلك إلى الشرع ولمن جاء به، فساء ظنهم بالشرع وبمن جاء به. فالله طليب قطاع طريق الله وحسيبهم "[2]. فهؤلاء المعظَّمون هم دعاة بين ظهراني الجهال من قومهم وما كانوا عليه من الظلم والفجور والمكر والاحتيال كان السبب الرئيس في صد غير المسلمين عن سبيل الله.

وبهذا يعلم عظم تأثير أمانة الداعية في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام من خلال سلوكه وتعاملاته مع المدعوين وتحمله مسؤولية الأمانة فيما يوكل إليه من مهام وواجبات.

---

(١)أمة التجار، أحمد محمد العقيلي، ص٢٦٨.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، ط الثانية، ١٣٩٥هـ، دار المعرفة، بيروت ٢/٤١٦.

الخاتمة

وبعد، فأسأل الله ﷻ أن يجعل هذا البحث: "الداعية الأمين في ضوء الكتاب والسنة" خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله عنده وأن ينفع به عموم المسلمين، وأستعرض في ختامه أبرز النتائج والتوصيات:

النتائج: أسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

- خلصت الدراسة إلى تعريف الداعية الأمين بأنه "الذي يبلغ الإسلام للناس ويعلمهم إياه ويطبقه في واقع حياتهم متجرداً من الأهواء مع أدائه كل حق لزمه من الأقوال والأعمال مما هو مؤتمن عليه ".
- أبانت الدراسة ضرورة الأمانة للداعية وأنها لازمة لدعوته لا تنفك عنها بحالٍ ابتداء من علاقته بربه وانتهاء بمهام عمله مروراً بتعاملاته مع المدعوين بأصنافهم المتنوعة.
- كشفت الدراسة عن سعة مفهوم الأمانة في الدعوة وأن مدارها على الداعية نفسه حيث تكون صلاته بالمدعوين وبمجالات دعوتهم.
- اتضحت أمانة الداعية المتعلقة بمجالات الدعوة وكونها تشمل المجال الوظيفي في الولايات المتنوعة العامة من جانب، ومن جانب آخر مجالات الدعوة الخاصة وهي مباشرة كالتبليغ والأذان والمشورة والتعليم والتأليف، وغير المباشرة كالقضاء والفتيا والحسبة وولاية الأوقاف والأيتام.

- بينت الدراسة أمانة الداعية في المضمون الدعوي حيث حددتها في أصل المضمون من حيث بنائه البناء السليم بقيامه على أسس صحيحة وشموله لقضايا الدعوة، وفي مآلات المضمون بإدراكه بوعي ثاقب وبعد نظر ما يحقق المصالح العليا وفق المنهج الشرعي.
- كما أسفرت الدراسة عن ارتباط الأمانة بوسائل الدعوة من خلال استخدام أفضل وسائل العصر للدعوة والاقتصار على المشروع دون الممنوع منها.
- أوضحت الدراسة عمق تأثير أمانة الداعية في نفوس المدعوين وأن ذلك دليل صدقه فيما يدعوهم إليه، وأنها من أبرز أسباب دخول الأمم المتنوعة في الإسلام.

التوصيات:

- يوصي الباحث الدعاة إلى الله بتعظيم قدر الأمانة في أنفسهم وإعمالها في ضوء مفهومها الواسع في كل ما يُناط بالدعاة من عمل والتي منها أمانة الدعوة والتبليغ على النحو الذي أبانت الدراسة جانباً منه.
- كما يوصي الباحث في هذا السياق مؤسسات الدعوة بأهمية عقد مؤتمرات عالمية حول أمانة الداعية في تبليغ الدعوة والجوانب المتصلة بها وانعكاسات ذلك على أمتنا الإسلامية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي الماوردي، ط ب.ر، ب.ت، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢. الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، ط ب.ر، عام: ب.ت دار الوطن، الرياض.

٣. أحكام القرآن، ابن العربي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. سنن الإمام أبي داود، ت: عزة دعاس، ط الأولى، ١٣٩٤هـ، دار الحديث، سوريا.

٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، ط الأولى، ب.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦. أساب البدع ومضارها، الشيخ محمود شلتوت، ت: عبدالآخر حماد، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الجيل، بيروت.

٧. أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، فواز بن هليل السحيمي، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار ابن القيم، الدمام.

٨. أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٩. إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، ط الأولى، ١٤١٤هـ، دار الحديث، القاهرة.

١٠. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، ط الثانية، ١٣٩٥هـ، دار المعرفة، بيروت.

١١. الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع إعداد عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف الحسين رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٣هـ.

١٢. أمة التجارة ودور التجار في نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا، أحمد محمد العقيلي، ط الأولى، ١٤١٩هـ، المؤتمن، الرياض

١٣. الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين، لابن السيد البطليوسي ت: الدكتور محمد رضوان الداية ط الثالثة، دار الفكر، ١٤٠٧هـ، دمشق.

١٤. تاج العروس، للزبيدي، ت: عبدالكريم الغرباوي، ط الأولى، عام ١٣٩٢هـ.

١٥. تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي، ت: عمر عبدالسلام تدمري، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون المالكي، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار عالم الكتب، الرياض.

١٧. تحرير الأحكام في تبرير أهل الإسلام، للإمام بدر الدين، ت: فؤاد عبدالمنعم أحمد، ط الثانية، ١٤١١ هـ، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر.

١٨. التحرير والتنوير، لابن عاشور، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ، مؤسسة التاريخ، بيروت.

١٩. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ط الأولى، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠. التعريفات، للجرجاني، ت: د. عبد المنعم الحفني، ط الأولى، عام: ب. ت، دار الرشاد، القاهرة.
٢١. تفسير القرآن العظيم (المنار) للشيخ محمد رشيد رضا، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٢. تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ط الثانية، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٣. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ط الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري، ت: الدكتور عبدالله التركي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، دار هجر، القاهرة.
٢٥. الجامع الصحيح، للإمام الترمذيّ، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦. الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط ب. ر، ب. ت، دار الريان، القاهرة.
٢٧. حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين ط الأولى ١٤٢٣هـ، دار عالم الكتب، الرياض.
٢٨. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط الرابعة، ١٤١٠هـ.

٢٩. الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي، ط الثانية، عام: ١٤١٢هـ، دار ترجمان الإسلام، باكستان.
٣٠. دعوة الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد، د. عبدالله الزبير عبدالرحمن، ط الأولى، ١٤٢١هـ، سلسلة كتاب الأمة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
٣١. الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة، الشيخ محمد الخضر حسين، ت: علي حسن عبدالحميد، ط الأولى ١٤١٧هـ، دار الراية، الرياض.
٣٢. الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز، ط الرابعة، عام: ١٤١٩هـ، دار الدعوة، مصر.
٣٣. روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، ط الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، ط الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٥. زهرة التفاسير، للشيخ محمد أبو زهرة ط دار الفكر العربي.
٣٦. السياسة الشرعية، لابن تيمية، ط الثالثة ١٩٥٥م، دار الكتاب العربي، مصر.
٣٧. سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، ط السابعة، ١٤١٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٨. شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط الأولى، ١٤٢٥هـ، مدار الوطن للنشر، الرياض.

٣٩. شرح سنن النسائي، للسيوطي المطبوع مع حاشية السندي، ط الأولى، عام: ب. ت، دار الريان للتراث، مصر.

٤٠. شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، دار عالم الكتب، الرياض.

٤١. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، ت: د.يوسف علي طويل، ط الأولى، ١٩٨٧، دار الفكر، دمشق.

٤٢. صحيح الإمام البخاري ط الأولى، ١٤١٧هـ، دار السلام، الرياض.

٤٣. صحيح الإمام مسلم، ط الأولى، ١٤١٩هـ، دار السلام، الرياض.

٤٤. صحيح الجامع الصغير وزيادته، الإمام الألباني، ط الثالثة ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٥. صفات القاضي في المجتمع الإسلامي، د. حسين نصار بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي.

٤٦. الطبقات الكبرى ابن سعد في الطبقات انظر الطبقات الكبرى، ط ب.ر، عام: ب.ت، دار صادر، بيروت.

٤٧. العلاقة بين الفقه والدعوة، مفيد خالد عيد، ط الأولى عام ١٤١٦هـ، دار البيان، الكويت.

٤٨. الفارق بين المصنف والسارق، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: هلال ناجي، ط الأول ١٤١٩هـ، الناشر: عالم الكتب، بيروت.

٤٩. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية الحراني، ط الأولى، ١٣٨٦هـ دار المعرفة، بيروت. تقديم: حسنين محمد مخلوف.

٥٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الريان للتراث، القاهرة.

٥١. فتح القدير للإمام الشوكاني، ط الأولى، عام: ب. ر، الناشر: عالم الكتب، بيروت.

٥٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط السادسة عشرة، ١٤١٠هـ دار الشروق، القاهرة.

٥٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ط الأولى، ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٥٤. قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، دار إشبيليا، الرياض.

٥٥. لسان العرب، لابن منظور، ط ب. ر، ١٤١٢هـ، دار صادر، بيروت.

٥٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وابنه، ط الأولى، ١٤١٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٥٧. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جمع وترتيب د. محمد الشويعر، ط الرابعة، ١٤٢٣هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٥٨. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ط ب. ر، ب. ت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٥٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، ط الأولى، ١٤٢١هـ، دار المعرفة، بيروت.
٦٠. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط الرابعة، ١٤١٨هـ، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر.
٦١. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد الرحماني المباركفوري، ط الثالثة، ١٤٠٥ هـ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية، بنارس الهند.
٦٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط الثانية، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٦٣. معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين البغوي، ت: محمد عبدالله النمر وآخرون، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، دار طيبة، الرياض.
٦٤. معالم الخطاب الدعوي عند النبي ﷺ، د. طالب حماد بحث مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر الجامعة الإسلامية بغزة من ٧-٨ ربيع الأول عام ١٤٢٦هـ.
٦٥. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، ط الأولى، ١٤١٦هـ، دار النفائس، بيروت.
٦٦. المغني، لابن قدامة، ت الدكتور عبدالله التركي، ط الثالثة، ١٤١٧هـ، دار عالم الكتب، الرياض.

٦٧. موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز بن محمد السلمان، ط الثلاثون، ١٤٢٤هـ، الرياض.

٦٨. الموافقات، للإمام الشاطبي، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، ط الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن عفان.

٦٩. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، للإمام ابن الجوزي، ط الثانية، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ط الثانية، ١٤١٣هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٧١. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير، ط الثانية، ١٣٩٩هـ، دار الفكر، بيروت.

البحث رقم (٣)

التطبيقات النبوية
في تنمية المهارات الدعوية

إعداد

د. لمياء بنت سليمان الطويل

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فللدعوة أهمية بالغة في دين الله، وأثر كبير في إصلاح البشرية، جعل الله لأصحابها شرفاً عظيماً، ومقاماً رفيعاً، وإمامة للناس في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1]، والدعاة هم خير هذه الأمة على الإطلاق قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2]، وإن من أعظم وسائل الدعوة إلى الله السلوك العملي للداعية وثبات المسلم على مبادئه وأخلاقه التي هذبه بها دينه الإسلامي الحنيف، والدعوة كغيرها من الأعمال تحتاج إلى تدريب وخبرة، وما من عمل أتقنه صاحبه بالفطرة، والدعاة أحد أبرز الوسائل المؤثرة والفعالة، لذا بات لزاما عليهم مضاعفة جهودهم، وابتكار أساليب جديدة لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، فهم بحاجة إلى بذل المزيد من الوقت والمال لتحقيق النجاح في أداء هذه الرسالة النبيلة، ولما كان هدي رسول الله ﷺ خير الهدي، وتطبيقاته وأساليبه في تنمية المهارات خير تطبيق،

(١) سورة السجدة: ٢٤.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

وبرهان ذلك ما أثمرته من صياغة جيل من الصحابة له قدْرُه ومكانتُه وأثرُه في الحضارة الإسلامية خاصة، والإنسانية على وجه العموم.

ولأن الحديث النبوي عن رسول الله ﷺ فيه الهدي الأمثل، ومنه تُستنبط تنمية المهارات من خلال تطبيق ذلك في حياته ﷺ مع الصحابة الكرام، وضرورة إعداد جيل من الدعاة إلى الله تعالى يستطيعون النهوض بمهام الدعوة ومجابهة العقبات التي تعترضهم، فلا بد من استدعاء الخصائص والسمات التي كانت في جيل الصحابة والحرص على توافرها في الدعاة إلى الله تعالى حتى يتسنى لهم النجاح في دعوتهم. لذا توجهَت عناية الباحثة للبحث في هذا الموضوع والمعنون بـ(التطبيقات النبوية في تنمية المهارات الدعوية).

مشكلة البحث:

لقد عنيت السنة النبوية المطهرة بالعنصر البشري روحاً وفكراً وعقيدة وسلوكاً، فكانت سامية بروحه، موجهة لفكره وعقيدته، ومهذبة لأخلاقه وسلوكه، كما عنيت بتنمية الإنسان تنمية شاملة ليقوم بالعبء المناط به من استخلاف الأرض وعمارتها، مدركة ما به من مواهب وطاقات، وتنمية المهارات البشرية من المواضيع الحديثة التي اهتم بها المعاصرون لتطوير الأداء و تحقيق الإنجاز على أعلى المستويات، وهدي النبي محمد ﷺ فيه من المهارات التي امتلكها هذا النبي الكريم، واستخدمها في خدمة الدعوة الإسلامية وهي تعتبر إحدى جوانب عظمة وتميز الشخصية مالا يوجد في غيره، وإذا نظرنا لهذا الهدي، فكل ما فيه يُنَمّي المهارات، إذا أحسن الداعي فهمُه والالتزامُ به ظاهراً وباطناً.

منهج البحث:

تستخدم الباحثة المنهج التحليلي الاستنباطي وفيه يربط العقل بين المقدمات والنتائج، أو بين الأشياء وعللها، على أساس المنطق العقلي، والتأمل الذهني، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات[1]، وذلك بتتبع أحاديث الرسول ﷺ وسنّته في تنمية المهارات، وإيراد الشواهد اللازمة، وتصنيفها موضوعيا وفق تقسيمات البحث، ثم استنباط قواعد المنهج وأساليب تنميته.

أهداف البحث:

١) تطوير كفاءات الدعاة المهارية من خلال عرض النصوص النبوية وترجمتها إلى واقع سلوكي.

٢) إبراز حاجة الدعاة إلى مهارة التخطيط في الدعوة إلى الله.

٣) التعرف على مهارة الاستماع، وأهميتها في نجاح التفاهم والحوار والتواصل مع المدعوين.

٤) الحاجة إلى إكساب الدعاة مهارات تفكيرية تساعدهم على تحقيق أهدافهم وطموحاتهم.

٥) بيان أن التعامل مع المدعوين من أهم المهارات الدعوية التي تميز الدعاة.

٦) بيان أن الإبداع في وسائل الدعوة ضرورة ملحة للداعية.

---

(١) انظر: البحث العلمي، مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، ص ٤٩، ٤٨.

خطة البحث:

المقدمة: وتشتمل على:

- مشكلة البحث.
- منهج البحث.
- أهداف البحث.
- تقسيمات البحث، وتشتمل على المباحث التالية:

التمهيد وفيه:

مقدمه: في تنمية المهارات في الدعوة إلى الله:

أولاً: تعريف المهارات.

ثانياً: أهمية تنمية المهارات في الدعوة إلى الله.

ثالثا: ثمرات تنمية المهارات الدعوية.

المبحث الأول: تنمية مهارة التخطيط وتطبيقاتها في السنة النبوية.

أولا: المراد بالتخطيط للدعوة.

ثانيا: أهمية التخطيط في مجال الدعوة

ثالثا: ضوابط مهارة التخطيط الدعوي.

رابعا: التخطيط الإسلامي في السنة النبوية.

المبحث الثاني: تنمية مهارة الاستماع والإنصات للمدعوين وتطبيقاتها في السنة النبوية.

أولا: تعريف الاستماع والإنصات.

ثانيا: أهمية مهارة الاستماع والإنصات لدى الداعية.

ثالثا: تنمية مهارات الاستماع للدعاة.

رابعا: نماذج مهارة الاستماع والإنصات في السنة النبوية.

المبحث الثالث: تنمية مهارة التفكير الناقد وتطبيقاتها في السنة النبوية.

أولا: تعريف التفكير الناقد.

ثانيا: أهمية تنمية مهارة التفكير الناقد لدى الداعية والمدعو.

ثالثا: سمات التفكير الناقد.

رابعا: التطبيقي النبوي لتنمية مهارة التفكير الناقد.

المبحث الرابع: مهارات التعامل مع المدعوين والاتصال بهم وتطبيقاتها في السنة النبوية.

أولا: تعريف الاتصال.

ثانياً: أسس وقواعد تعامل الداعي مع المدعوين.

ثالثاً:حاجة الداعي للتعامل مع المدعوين والاتصال بهم.

رابعاً: من صور التواصل والتعامل مع المدعوين في السنة النبوية.

المبحث الخامس: تنمية المهارات الإبداعية في وسائل الدعوة وتطبيقاتها في السنة النبوية.

أولا: تنمية المهارات الإبداعية في وسائل الدعوة.

ثانياً: حاجة الداعي لتنمية المهارات الإبداعية.

ثالثاً: تنمية المهارات الإبداعية في السنة النبوية.

الخاتمة:

النتائج والتوصيات:

أَسأَلُ الله تعالى أَن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأَن يتقبله مني، وينفع به الإسلام والمسلمين، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أَجمعين.

التمهيد

مقدمة في تنمية المهارات في الدعوة إلى الله

إن الوصول للمهارة والإتقان، ليس سهلا بل صعب محفوف بالعديد من العقبات والتحديات، وأصعبها تحدي الذات وتحويلها إلى كيان مبدع، والصعوبة الحقيقية في المحافظة على هذا الإبداع، والتي تدفع بصاحبها نحو المضي قدماً للعلا والمجد، وتحقيق الهدف المرجو ارتقاءً بالأداء وتميزه.

والمهارات ليست مقتصرةً على العمل المؤدَّى بشكلٍ مهني فقط، بل إنَّها تشمل أيضًا الكفاءة التي يمتلكها أيشخص في أي مجال، سواء كانت كفاءة عقلية، أو بدنية، أو اجتماعية، فعلى سبيل المثال نجدُ أنبعض الأشخاص يتميز عن غيره بمهارات القيادة، والآخر بمهارات التفكير، وثالث بمهارات العلاقات الحسنة مع الآخرين، بينما تقل فيمن عداهم نسبة التقدير.

أولاً: تعريف المهارات:

لغة: جمع مهارة، والمهارة هي الحذق في الشيء والإحكام له والأداء المتقن له، يقال: مهر الشيء مهارة أي" أحكمه و صار به حاذقا، فهو ماهر، ويقال: مهر في العلم وفي الصناعة و غيرهما" ويقال: تمهر في كذا أي "حذق فيه فهو متمهر"، والمهارة الإحاطة بالشيء من كل جوانبه والإجادة التامة له، يقال الماهر:"الحاذق لكل عمل والسابح المجيد"، و مهر الشيء وفيه وبه مهارة: أحكمه وصار به حاذقا، فهو ماهر[1].

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣/٥٤١.

كما ورد في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق فله أجران)[1].

اصطلاحاً: القدرة على أداء وظيفة معينة، أو تحقيق هدف معين، وعرفت بأنَّها أداء يكون على أشكال (لفظية، عقلية، حسية، اجتماعية)، وهذه المهارة تحتاج إلى وقت وجهد وتدريب مقصود[2].

ولا بد أن يتمتع الداعية بالمهارات الدعوية التي تساعده على أداء مهمته في الدعوة إلى الله، وفي عصرنا الحديث- عصر التنمية البشرية- كان لا بد من تنمية مهارات الدعاة، وتطويرها بما يتلاءم مع الدور المنوط بهم في المجتمع، والسنة النبوية هي الأقوم في هذا الميدان؛ فهي تحمل للإنسانية منظومة متكاملة في صناعة الإبداع وتنمية المهارات، بها بدأت وعليها اكتملت، فمنطلقها هو الوحي، ومنهجها الواقع الأمثل للبشر.

ومعلوم أن نمو الحضارات ورقي المجتمعات إنما يقاس على أساسٍ من التميز والإبداع، لفرض الذات للتأثير، ولتمكين القدرات للتغيير، ولايتم ذلك إلا بأسلوب تقديم النموذج الأمثل والأجود إنساناً وعملاً وإدارة وسلوكاً، والسعي لتنمية المهارات أمر مقبول، بل واجب ومطلب تفرضه التطورات المتسارعة التي يشهدها العالم في مختلف المجالات العلمية والصناعية والاقتصادية.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة عبس، ١٦٦/٦، حديثرقم ٤٩٣٧، ومسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه، ٥٤٩/١، حديث رقم ٧٩٨.

(٢) انظر: المهارات الحياتية، أحمد حسين عبدالمعطي، ودعاء محمد مصطفى، ص٧.

ثانياً: أهمية تنمية المهارات في الدعوة إلى الله

إن وصول الداعية إلى درجة التأثير في المجتمع، وتحقيق المقاصد الشرعية من دعوته يتطلب العمل بإخلاص وفق المنهج الصحيح والإعداد المتقن للمهارة، فمهمة الداعية مهمة شاقة تحتم عليه أن يستعد الاستعداد الكافي في صواب الفكر، وحسن التعبير، وطلاقة اللسان، وجودة الإلقاء، وتكمن الأهمية في تنمية مهارات الداعي في عدد من النقاط.

١. أن تأهيل الدعاة وإكسابهم المهارات اللازمة جزء أساس في الدعوة وإيصال الهداية إلى الناس، وهو ما يتطلب الوقوف على الأساليب المشروعة والبرامج المتاحة وتقويمها وتصميم المناسب منها للدعاة، وإيجاد السبل الكفيلة بإنجاحها[1].

٢. تمثل تنمية المهارات في الدعوة إلى الله فيما يتعلق بالدعاة أنها طريقة تعينهم على التغلب على المشاكل الدعوية التي تواجههم، فتأهيل الداعية وإعداده إعداداً خاصاً يأتي من أهمية العمل الذي يقوم به وهو الدعوة إلى الله تعالى وهداية الخلق إلى الحق ذلك العمل العظيم الذي هو أشرف الأعمال وأجلها؛ لأنه عمل الأنبياء والمرسلين، ومهمة تابعيهم من الدعاة والمصلحين، وهذا العمل الجليل يقتضي أن يكون القائم به ذا صفات ومواصفات خاصة تؤهله للقيام بهذه المهمة الجسيمة، فيكون مدركاً لقيمة ما يدعو إليه، عالماً بأساليب الدعوة التي

---

(١) انظر : - أزمة تطوير الدعاة.. نقص في المهارات أم ضحالة في المعرفة؟!، مؤسسة الدعوة الصحفية الخميس ٠٩ محرم ١٤٣١ www.aldaawah.com.

تحقق له هدفه من دعوته، ملماً بمدعويه ونفسياتهم، وأفضل الطرق التي توصل الحق إلى قلوبهم.

٣. إدراك الدعاة أن مجال الدعوة واسع الأرجاء، وأنه يحتاج إلى جهود متضافرة، وطاقات هائلة، والواقع يشهد بأن المهارات الدعوية صارت تتطلب تخصصات مختلفة ومعقدة لا يسد احتياجاتها المتخصصون في الفقه والحديث، وأن الساحة مليئة بالأعداء الذين أتقنوا كل المهارات الممكنة للمواجهة مع الإسلام، وأنهم متفقون على تسخير كل تقنية متاحة في نصرة باطلهم.

إذا فالدعوة تحتاج إلى جهود جبارة، وسواعد متضافرة وفي نفس الوقت إلى مهارات مكتسبة تتناسب مع وظائف الدعاة، إذ لم يعد من المقبول أن يقوم داعية واحد بكل الأنشطة والبرامج فناسب حينئذ أن تتوزع اختصاصات الدعوة على الدعاة، مع ضرورة أن يقوم كل داعية بإتقان الدور الذي أسند إليه وأن يتخصص فيه بتنمية مهارته، ويعد نفسه أن يكون مرجعا لغيره من الدعاة فيما أسند إليه.

٤. إن الدعوة إلى الله ﷻ يجب أن تنطلق حسب احتياجات الناس بوسائله الحديثة التي تنطلق بسرعة عجيبة، فالعالم يعيش متغيرات متسارعة وفتناً متتالية، في ظل المتغيرات المعاصرة والتيارات الفكرية المعادية التي تواجه الأمة الإسلامية، والمجتمعاتتشهد تطورات سريعة، فلا بد من تأهيل الدعاة علمياً وتدريبياً تأهيلاً عالياً يتناسب مع فقه الواقع ومع ثقافة الحوار على أساس متين من العقيدة الإسلامية، وتزويدهم

بالمهارات اللازمة التي تناسب العصر، ونشير إلى أن من أهم ما يجب على أن يتنبه له عند تأهيل الدعاة مراعاة أحوال السامعين، فلكل مقام مقال[1].

٥. ضرورة التوافق بين ثقافة الداعية ومعطيات الواقع الذي يعيشه، والظروف التي يحياها الناس في كل زمان ومكان، وذلك حتى يتلاءم الدعاة وينسجموا مع حقيقة الواقع المعاصر وتغيراته، حتى يكونوا دعاة يمتلكون المستويات الرفيعة والقوة بمفاهيمها الشاملة، قوة الإيمان، قوة الإخلاص، قوة العلم إدراك الوسائل الأساليب في توصيل رسالة الإسلام.

ولذا فقد جاء كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ يحددان منهج الدعوة وإعداد الدعاة، مما يقتضي من الدعاة تبني الطرق المنهجية التي ستلبي احتياجات الواقع، وذلك من خلال المهارات التي تحقق عنصر الكفاءة للدعاة.

٦. أن العالم اليوم بحاجة ماسة إلى أن تصل إليه دعوة الإسلام بصورة واضحة ونقية، من خلال الوسائل والأساليب المشروعة، وهذا يتطلب أن يكون الأئمة والدعاة والمثقفون والنساء والشباب المتدينون النشطون في مجالات الدعوة إلى الله تعالى على قدر كبير من التأهيل العلمي والعملي.

ثالثا: ثمرات تنمية المهارات الدعوية

١. لابد للداعية من امتلاك المهارات لاستخدام الوسيلة التي يختارها لتوصيل المعلومة للمدعوين.

٢. تساعد في تحقيق الأهداف الدعوية، وذلك عن طريق فهم وإدراك المعلومات المراد إيصالها للمدعوين، وتحصل بها الاستجابة، ولا شك

(١) انظر: الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة، د/ علي النملة، http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/showthread .

أن الاستجابة للداعية ثمرة عظيمة؛ لأنه مبلّغ عن الله ﷻ، وعن رسوله ﷺ، ومقرر لأحكام الإسلام، ومؤدّى ذلك تحقق الاستجابة لله وللرسول، والالتزام بالإسلام.

٣. تساعد على رفع مستوى كفاءة الداعية أمام المدعوين وتحافظ على بقاء وأثر المعلومات الدعوية مدة طويلة.

٤. تساعد على رفع كفاءة العملية الدعوية باستخدام المهارات الدعوية.

٥. إن استخدام الداعية للمهارات المتنوعة المتعددة، يجلب اهتمام المدعوين من(المسلمين وغير المسلمين) لهذا الدين العظيم.

٦. إن إكساب المهارات اللازمة للدعاة تُعِينهم على حُسن العرض للمبادئ التي يحملونها، وكذلك توفير الأسباب المعينة لهم على أداء دعوتهم.

٧. يُساهم تطوير مهارات الدعاة في تجديد خطابهم الدعوي بما يتماشى مع سنة التغيير، وهذا يتطلب الوقوف على الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله ﷻ، واكتساب المهارات من خلال البرامج الدعوية والتنموية والعلمية المتاحة، وتزويدهم بالمهارات اللازمة التي تناسب العصر حتى تتحقق الغاية والهدف من دعوتهم.

المبحث الأول

تنمية مهارة التخطيط وتطبيقاتها في السنة النبوية

إن الدعوة الإسلامية أحوج ما تكون للتخطيط، وبخاصة في زماننا هذا، الذي بات يعنى بالتخطيط، ويوليه أهمية قصوى، لما لمسه المجتمع من أهمية التخطيط، في الوصول إلى الأهداف والغايات، بل إن نجاح الدعوة في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية قائمة أولاً على التخطيط السليم والتنظيم للدعوة، ومعرفة من تُوجه له الدعوة، وكيف يمكن توجيهها، ولما كانت مهارة التخطيط بهذه الدرجة من الأهمية كان لا بد من التعريف لها.

أولا: المراد بالتخطيط للدعوة:

(هو التدبير الذي يرمي إلى مواجهة المستقبل بخطط منظمة سلفاً، لتحقيق أهداف محددة)[1].

وقد عرّف بعض الباحثين التخطيط الإسلامي بأنه: (التفكر والتدبر بشكل فردي أو جماعي في أداء عمل مستقبلي مشروع مع ربط ذلك بمشيئة الله تعالى، ثم بذل الأسباب المشروعة في تحقيقه مع كامل التوكل والإيمان بالغيب فيما قضى الله وقدّره على النتائج)[2].

ثانيا: أهمية التخطيط في مجال الدعوة:

إن التخطيط الواعي للدعوة هو الذي ينقل الدعوة إلى الإطار المنتج ويوصل إلى النتائج المثمرة بأقصر الطرق بعد توفيق الله ﷻ، بل أن بعض

(١) مبادئ الإدارة العامة، سليمان محمد الطماوى، ص ١٨٨.

(٢) الإدارة الإسلامية المنهج والممارسة، د/حزام بن ماطر المطيري، ص٧٦.

الدعاة يبذل جهوداً كثيرة في مجال الدعوة، ولكنها جهود لا تثمر لماذا ؟ لأنها جهود غير مركزة، وغير مخطط لها.

لذا كان من الواجب على الدعاة إلى الله التركيز على الأشخاص الأكثر قابلية للدعوة والذين يرجى منهم نصرة الدعوة وهداية غيرهم، كما فعل النبي ﷺ في دعوته في مكة، فلم تنته المرحلة السرية للدعوة إلا وقد انتشرت في جميع القبائل المشهورة في مكة[1]، ولقد سار على نهجه الدعاة إلى الله من الصحابة والتابعين، حتى توالت القرون، ثم أتى على الناس حين من الدهر، أغفل المسلمون فيه التخطيط، وغفلوا عن أهميته، فاضطربت دعوتهم، وتعثرت خطاهم، وتمكن منهم أعدائهم، فحاكوا لهم من الخطط ما أعجزهم، فقابلوا تخطيطهم بنوع من الفوضى وردود الأفعال، والارتجالية، فكثرت الأخطاء الدعوية، وتكررت في حياة الدعاة، مما جعل الحاجة كبيرة إلى التنبيه على أهمية هذه المهارة وضوابطها[2].

ثالثا: ضوابط مهارة التخطيط الدعوي:

حتى يؤدي التخطيط الدعوي وظيفته، لا بد من ذكر بعض الضوابط:

- أن يكون التخطيط من أهل الاختصاص والكفاءات العلمية والعملية في مختلف جوانب الحياة.

---

(١) انظر : الدعوة الفردية، صالح صواب، ص٢٣.

(٢) لمزيد من التفصيل : انظر التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي علي أبو السعود.

- أن يكون التخطيط صادراً عن جهات ومؤسسات دعوية منظمة، بأن يجتمع معظم الدعاة من علماء ومفكرين في مختلف المجالات الدعوية، ويختاروا نخبة منهم تتفرغ لهذه المهمة، ليضعوا الخطط اللازمة.
- أن يكون متوازناً يحقق انسجاماً بين الواجبات والإمكانات.
- أن يكون منضبطاً بالأحكام الشرعية، ومقتبساً من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية[1].

رابعا: التخطيط الإسلامي في السنة النبوية:

التخطيط في السنة النبوية هو امتداد للتخطيط في القرآن الكريم، ومُستمد منه، وقد اشتملت السنةُ النبوية على عددٍ كبير من صُور التخطيط القائمة على مَبدأ التوكُّل والاعتماد على الله ﷻ أولاً، ثم الأخذ بالأسباب، فكان رسول الله ﷺ قد خطط لكل الأمور ولم يتعجل، بل جاهَد، وصبر، واحتسب حتى تَحققت الأهداف بطريقة تدريجية، ونجد أن تفكيره وتخطيطه ﷺ له صفة التميز، إذ أن نجاحاته المتتالية حتى وفاته عليه الصلاة والسلام تدل دلالة واضحة أن هناك خطة واضحة المعالم بعناصرها و خطواتها، وقد كان رسولنا محمد ﷺ قدوة عظيمة لنا في مجال التخطيط حيث كان عليه أفضل الصلاة والسلام يمتلك الحكمة والفطنة والمنهج الفكري العقائدي المتمثل في الإيمان بالقدر والتوكل على الله والسعي لتحقيق الهدف الشرعي، فقد استطاع عليه الصلاة والسلام أن يقود به الأمة الإسلامية ويحقق الانتصارات العظيمة بفضل الله، ثم بفضل فطنته الإيمانية وسيرته العطرة سجل خالد لمن

(١) انظر : المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، ص٣٠٨.

أرد النجاح في الحياة، فقد قام بالقيام بتبليغ جميع ما أنزل الله عليه، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، وفي خطبة حجة الوداع سأل رسول الله ﷺ الناس: (ألا هل بلغت) فردوا: نعم فقال: اللهم فأشهد[2].

ومن التخطيط الذي تطالعنا به السيرة النبوية أنَّه ﷺ لم يترك فرصة، ولا مجالاً للدعوة إلا سلكه، فلمَّا قُوبِلَ من قومه بالتكذيب، والإعراض، والعناد، وتعذيب أصحابه، وإيذائه ﷺ حتى بلغ بِهِمُ الأمر أن يَهُمُّوا بقتله، ولما خرج رسول الله ﷺ وأصحابه من حصار الشعب، وأن كفار قريش لم يزالوا يحاربون الحق ودعوة الحق، يسومون المؤمنين بالعذاب أضعافًا لأهل الحق المتمسكين به، غدا ليعرض دعوته على بلاد أخرى، ورجال آخرين.

ففي شوال سنة عشر للنبوة، خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه الطاهرتين ومعه مولاه زيد بن حارثة ﷺ، كلما مرَّ على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام فلم يجبه أحد، ووصل إلى الطائف فعمد إلى ثلاثة أخوة من رؤساء ثقيف، وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله ونصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولاً لأنت

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة، أيام منى، ١٧٦/٢، حديث رقم ١٧٣٩، صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ١٣٠٥/٣-١٣٠٦، حديث رقم ١٦٧٩.

أعظم خطرًا من أن أرد عليك، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك، فقام عنهم رسول الله وقال: (إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني)[1].

وأقام في أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة، ويسبونه ورجموا عراقيبه، حتى احتضنت نعلاه بالدماء، وزيد بن حارثة ﷺ يقيه بنفسه، فأصابه شجاج في رأسه، ولم يزل أولئك السفهاء بالنبي ﷺ حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، على ثلاثة أميال من الطائف فرفع كفيه وقال: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)[2].

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له عداس، وقالا له: خذ قطفًا من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل، فلما وضعه بين يدي رسول الله مدّ يده إليه وهو يقول: ((بسم

(١) السيرة، لابن هشام، ٢/٤١٩.

(٢) السيرة، لابن هشام ٢/٤٢٠.

الله)) ثم أكل فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله: ((من أي البلاد أنت؟)) قال: أنا نصراني، من أهل نينوى، فقال رسول الله من قرية الرجل الصالح: يونس بن متى، قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال: ((ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي)) فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلهما[1].

روى البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير ﷺ أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: (لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، ذلك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[2]، وهما جبلا مكة يحيطان بها، قال النبي ﷺ، بل أرجو أن يخرج الله ﷻ من أصلابهم من يعبد الله ﷻ وحده لا يشرك به شيئًا)[3].

---

(١) السيرة، لابن هشام ٢/٤٢١.

(٢) الأخشبان: هما جبلا مكة، أبو قبيس والذي يقابله وهو قعيقعان، انظر : الرحيق المختوم، صفي الرحمن المبارك فوري، ص ١٢٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة وفي التوحيد، ٤/١١٥، حديث رقم ٣٠٥٩، ومسلم كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ٣/١٤٢٠، حديث رقم ١٧٩٥.

فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة، وقومه أشدّ ما كانوا عليه من العَدَاء، ومُفارقة دينه إلا قليلاً ممن آمن به من المستضعفين، فكان ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب في المواسم يدْعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبيٌّ مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه الله به. وما زال الرسول العظيمُ ﷺ يعمل وفق هذه الخُطَّة، ولا يداخله اليأْس على الرغم مما كان يلقى من الإعراض والصَّد، فعلى الداعية أن يَصْدر في أعماله كلِّها عن خُطَّة مَدْرُوسة؛ اقتداءً برسول الله ﷺ.(١)

ومن نماذج مهارة التخطيط أيضاً في السيرة العطرة (الهجرة النبوية)، والتي تُعَدُّ حدثاً مهماً في التاريخ الإنساني عامة، وفي تاريخ الإسلام خاصة، لأنها الفيصل بين عهدين، كفر وإيمان، وحرب وسلام، بل هي تفريق بين الحق والباطل، إنَّ حدثاً مثل الهجرة، لا بُدَّ أن يكون بتخطيط سليم، يقوم على أسس علمية واضحة، فالتخطيط كان واضحاً في فكر النبي ﷺ، وهو يترسم الخطى في جزيرة العرب بمكة المكرمة.

ومن أهم مظاهر التخطيط في الهجرة النبوية إلى المدينة:

يمكن أنْ نوجز أهم مظاهر التخطيط الإلهي والتنفيذ النبوي في الهجرة إلى المدينة في النقاط التالية، وهي مبسوطة في كتب السيرة، ولذا نكتفي إليها بإشارات فقط:

(١) انظر : السيرة النبويّة والدعوة إلى الله، د. محمد بن لطفي الصباغ، مجلة الرائد، العدد رقم ٢٦٦، ربيع الثاني ١٤٣٠، أبريل ٢٠٠٩.

١- أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة قبله سراً، وانتظر هو الإذن من الله تعالى، كما استبقى معه صاحبه أبا بكر الصديق ﷺ.

٢- بعد أنْ أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة ذهب إلى بيت أبي بكر الصديق ﷺ في وقت الهجيرة، وهو وقت لم يكن من عادة الرسول ﷺ أنْ يزوره فيه، وذلك لإبلاغه بالهجرة وإخطاره بصحبته فيها، وقد كان الصديق ينتظر هذا الإذن حيث كان قد اشترى راحلتين وأعلفهما.

٣- أمر الرسول ﷺ علياً بن أبي طالب ﷺ بالمبيت على فراشه ليوهم قريش بأنَّه ما يزال في بيته.

٤- خرج الرسول ﷺ وصاحبه إلى اتجاه عكس اتجاه المدينة، حتى لا تعرف قريش وجهته، واصطحب معه خبيراً بالطرق (عبد الله بن أريقط).

٥- أمر النبي ﷺ الراعي عامر بن فهيرة بأنْ يروح بأغنامه على إثرهما ليمحو آثارهما، لكي لا تتمكّن قريش من متابعتهما وملاحقتهما.

٦- اتخذ العيون التي تأتيه بالأخبار والزاد، ومن ذلك عبد الله بن أبي بكر الصديق ﷺ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها.

٧- التدبير الإلهي لحماية النبي ﷺ وصاحبه من نسج العنكبوت ومبيض الحمامة على باب الغار الذي دخلوا إليه.

٨- اكتساب المصادر والعيون كما حدث لسراقة بن مالك، حيث أمره الرسول ﷺ بأنْ يعمي خبرهم عن قريش، ففعل.

هذه جوانب من التخطيط الإلهي والنبوي الذي تم في مقابل تخطيط مشركي قريش ودأبهم على التخلُّص من رسول الله ﷺ، ومن هنا فإنه يمكن القول: إن النبي ﷺ قدَّم الأنموذج العملي في التخطيط، والأخذ بالأسباب مع التوكل على رب الأسباب ﷻ، وهو درس ما أحوجنا إليه في كل مجالات حياتنا [1].

بهذا التخطيط السليم، الذي تميز ببعد النظر، وبهذه الحكمة والحذاقة أرسى رسول الله ﷺ قواعد مجتمع جديد، هيأه تربية، وعلماً، وتزكية للنفوس، وحثاً على مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال.

إذاً. . لا يخفى على كل داعية نذر نفسه لتحمل هذه الأمانة العظيمة مدى الحاجة إلى دعوة راشدة تنهض بهذه الأمة، وتستند إلى قواعد صلبة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهدي السلف الصالح.

ولا ريب أن من أهم السمات المطلوبة في الداعية إلى الله هي البصيرة بمفهومها الواسع، والتي تشمل غير العلم بموضوع الدعوة معاني أخرى كثيرة من أهمها: وجود الفهم الشامل لدى الداعية بأهداف دعوته ومقاصدها، وإدراكه للوسائل الشرعية التي ينبغي أن يسلكها لتحقيق هذه الأهداف، والتنبؤ بما قد يعترضه من عوائق ومشكلات، وهذا الوعي والإدراك لمثل هذه الأمور هو ما نسميه بلغة الإدارة: (التخطيط)، فلا شك أن كل داعية إنما يهدف من وراء دعوته إلى تحقيق جملة من الأهداف، والتي تبرز الحاجة إلى

(١) لمزيد من التفصيل، انظر: التخطيط في الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة في ضوء العلم الحديث، د. محمد البشير محمد عبد الهادي، مجلة دراسات دعوية، ع١٤ - يوليو ٢٠٠٧.

مهارة التخطيط في برامجنا الدعوية، لأن ضعف جانب التخطيط أحيانًا وانعدامه في أحيان أخرى أسهم في إضاعة الكثير من جهود الدعاة، وأضعف ثمار أعمالهم الدعوية، وأضحى الكثير من البرامج تنفذ لمجرد التنفيذ فقط، أو لتكون أرقامًا تضاف إلى أعداد البرامج المنفذة.

فقيام الداعية بقياس أدائه الدعوي بشكل منتظم، وكيفية قيامه بالتعلم والتحسين المستمر على الخطط الموضوعة، إضافة إلى كيفية قيام الداعية بتقييم خبراته ومهاراته الدعوية السابقة والتعلم منها، والاطلاع على التجارب المحلية والدولية في مجال الدعوة، وكيفية التعلم من تلك الخبرات والمهارات الدعوية وتعليمها للآخرين، إلى جانب كيفية تطبيقها وتطويرها، سيسهم - بإذن الله- في تطوير مستوى الدعاة والدعوة.

المبحث الثاني

تنمية مهارة الاستماع والإنصات للمدعوين وتطبيقاتها في السنة النبوية

الداعية المربي الواعي كيّس فطن، لبق في وعظه وتعليمه، حكيم في دعوته الناس للحق، ومن أهم صفات المربي الحق أن يحسن التغلغل في القلوب، فيحبب إليها الإيمان والإقبال على الدين، ويعتمد المنطق الرصين على البيان والإفصاح للتخاطب مع الآخرين، كما ويتطلب مهارة الاستماع فهي مهارة مهمة، إذ إنه يبني نوعا من الثقة والمودة المتبادلة ويعزز التفاهم والتواصل، ومعظم المشاكل التي تحدث في العلاقات بين الناس يكون عدم الإلمام بهذه المهارة سبباً رئيساً فيها.

فالاستماع عملية من عمليتي الاتصال بين البشر، ووسيلة من بين وسيلتي الاتصال اللغوي الذي له جانبان جانب الإرسال وهو: إما أن يكون عن طريق الكلام أو الكتابة، وجانب آخر هو الاستقبال: إما أن يكون عن طريق القراءة أو الاستماع، وكلاهما يتطلب عملاً عقلياً هو الفهم.

أولا: تعريف الاستماع هو: (عملية عقلية تتطلب جهداً يبذله المستمع في متابعة المتكلم، وفهم معنى ما يقوله واختزان أفكاره واسترجاعها إذا لزم الأمر، وإجراء عمليات ربط بين الأفكار المتعددة)[1].

(١) طرق تعليم اللغة العربية، محمد عبد القادر أحمد، ص١٤٦.

ومن ذلك يتضح أن الاستماع هو عملية استقبال الأذن للكلمات المنطوقة وفهمها وتحليلها والحكم عليها، والسمع حاسة من حواس الإنسان تتم عن طريق سلامة الجهاز السمعي وقدرته على استقبال هذه الذبذبات الصوتية ولا تحتاج إلى أعمال للذهن أو انتباه لمصدر الصوت[1].

أما الإنصات: فيعرف بأنه(نوع أعلى في الاستماع تتوافر فيه النية والقصد مع الرغبة الشديدة في تحصيل المنصت إليه)[2].

ومما سبق يمكن القول أن هناك فرق بين الاستماع والإنصات (الإصغاء) وهذا الفرق في الدرجة وليس في طبيعة الأداء، فالاستماع قد يكون متقطعاً كاستماع التلميذ لشرح المعلم أو استماع الطلاب للمحاضرة في جو من الضوضاء والصخب وذلك لأن المستمع يتابع بعض الوقت ثم ينصرف عنه، أما الإصغاء (الإنصات) فهو استماع مستمر غير متقطع مع شدة الانتباه والتركيز لمصدر الاستماع مع مداومة الفهم لما يسمع.

وبهذا يمكن القول أن الإنصات يتضمن استماعاً، وليس كل استماعاً يتضمن إنصاتاً، وقد أمر الله ﷻ في كتابه بالاستماع غير ما مرة في سبيل بيان أهمية هذه الخطوة، فقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ ﴾[3]، وقال: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ ﴾[4]، وقد علم القرآن العظيم ذلك كأدب شريف من آداب تلقي الرسالة القرآنية، فأمر بالاستماع له والإنصات قال تعالى:

---

(١) انظر:القيادة أساسيات ونظريات ومفاهيم حسن، ماهر محمد، ص١٧.

(٢) استراتيجيات تعلم اللغة العربية في المرحلة الثانوية فتحي على يونس، ص ١٩٦.

(٣) سورة المائدة:١٠٨.

(٤) سورة التغابن: ١٦.

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾[1]، كما زجر كل نافرٍ عن الاستماع، لاهٍ عن الإنصات للنصح والإرشاد، قال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[2]، بل لقد بشر الله عباده الصالحين الذين يحسنون الاستماع والعمل بما سمعوا، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾[3]، يقول ابن القيم- رحمه الله-: (فالسماع أصل العقل وأساسه ورائده وجليسه ووزيره ولكن الشأن كل الشأن في المسموع. . . وحقيقة السماع تنبيه القلب على معاني المسموع وتحريكه طربا وهربا وحبا وبغضا)[4].

يقول أبو حامد الغزالي في صفات المنصتين الجيدين (أن يكون مصغياً إلى ما يقوله القائل، حاضر القلب، قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزاً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد، مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه، ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره، متحفظاً عن حركة تشوش على أصحابه، بل يكون ساكن الظاهر هادئ الأطراف، متحفظاً عن التنحنح والتثاؤب، ويجلس مطرقاً رأسه كجلوسه في فكر، ويدعو إلى الحذر من التصنع والتكلف والمراءة أثناء الإنصات و أن يكون

(١) سورة الأعراف: ٢٠٤.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) سورة الزمر: ١٧ - ١٨.

(٤) مدارج السالكين، لابن القيم، ٤٨١/١.

ساكتاً عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير مذموم داعياً إياه إلى الرجوع إلى هدوئه وهو ينصت)[1].

والإصغاء الجيد أبلغ ما يكون أثره في المقابلة الأولى، وفي اللقاءات العابرة؛ الأثر الطيب لمثل هذه اللقاءات في النفوس؛ ولأن الحوار فيها يكون عاماً لا يستدعي مداخلة في أكثر الأحيان، وفيها يتشكل انطباع كل فرد عن الآخر، ولا تقتصر براعة الحديث على أسلوب الكلام وجودة محتواه، بل إن حسن الإصغاء يُعد فناً من فنون الحوار، وبراعة الاستماع تكون بـ: الأذن، وطَرْف العين، وحضور القلب، وإشراقة الوجه.

ثانيا: أهمية مهارة الاستماع والإنصات لدى الداعية

حسن الإنصات وأدب الاستماع من أعظم ما يبني العلاقات ويرسم طريق النجاح للدعاة، وإذا صلح الاستماع صلحت الحياة واستقامت، وإن أفضلطريق لإقناع الآخرين، وأيسر سبيل للوصول إلى الحق، هو فقهحسن الاستماعوأدب الإنصاتِ، وعملية الاستماع هي المقدمة الطبيعية لغالب العمليات الفكرية والعقلية الموجهة للسلوك البشري التنموي سواء كان تعليمياً أو دعوياً أو توجيهيا، والسماع هو مفتاح الفهم والتأثر والإقناع والتشبع بالأفكار، لذا قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[2]، فما داموا لا يسمعون له فلن يتأثروا به، كما

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢/ ٤١٦.

(٢) سورة فصلت: ٢٦.

إنهم لما انقشع عنهم الغمام تمنوا لو أنهم كانوا قد أحسنوا الاستماع: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[1]، إننا نستمع أحيانا بدون وعي، فإذا اجتمع مع الاستماع وعي يكون الإصغاء وهو سماع الأذن بوعي وتفهم، والإصغاء الفعال هو الاستماع والإنصات المركز لمجموعة من المعلومات حول موضوع ما لغرض التفهم الكامل لذلك الموضوع.

إن عدم معرفة الداعي بأهمية مهارة الاستماع تؤدي بدورها لحدوث الكثير من سوء الفهم، الذي يؤدي بدوره إلى تضييع الأوقات والجهود والأموال والعلاقات في الدعوة إلى الله التي كنا نتمنى ازدهارها.

إن الاستماع ليس مهارة فحسب، بل هي صفة أخلاقية يجب أن يتعلمها الدعاة، فسماع الداعية لمدعويه لا لأنه يريد مصلحة منهم، لكن لكي يبني علاقات وطيدة معهم.

ثالثا: تنمية مهارات الاستماع للدعاة:

يمكن تنمية مهاراتالاستماع بثلاث طرق:

١. تنمية القدرة على التذكر، وذلك بتنظيم المعلومات وحفظها في شكل تتابعي أو مسلسل واستخدام الأساليب المختلفة لتقوية القدرة على التذكر والتخيل والصور الذهنية.
٢. الاستفادة من طيبة البناء المعرفي للفرد، وهي التعرف على طبيعة الثقافة السائدة بمكوناتها المختلفة.
٣. الالتزام بالقواعد المرشدة الاستماع الجيد، والتي منها – الانتباه للمتحدث – تلافي تأثير العوامل التي تؤثر على الانتباه مثل العوامل

(١) سورة الملك: ١٠.

النفسية – والطبيعية والفسيولوجية – والبيئة – مراعاة اللغة اللفظية – الصمت – الانتباه لتأثير عامل السن – الاهتمام بالتعبيرات غير اللفظية – المتابعة – التجاوب – التوافق– تجنب السرعة في الاستنتاج أو التقويم – تجنب تصنيف المتحدث أو إصدار الأحكام القطعية عليه – تجنب محاولة إيجاد أخطاء في طريقة إلغاء المتحدث[1].

رابعا: نماذج مهارة الاستماع والإنصات في السنة النبوية

كانت حوارات النبي ﷺ أعظم مثال لذلك الأدب، وهو حسن الإنصات، وإعطاء المحاور الفرصة الكافية، ومن ذلك حواره ﷺ مع عتبة بن ربيعة (المشرك):

جاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة (يعني المنزلة الرفيعة) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال رسول الله ﷺ (قل يا أبا الوليد أسمع) قال: إن كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا. حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يسمع منه قال: (قد فرغت يا أبا الوليد) ؟ قال: نعم، قال (فاستمع مني) قال: افعل، فقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا

(١) انظر: مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، محمد منير حجاب ص١٧.

لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[1] .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك)[2].

المستفاد من حوار النبي ﷺ مع عتبة بن ربيعة:

عند النظر إلى هذا الحوار نجد فيه كثير من الآداب التي يجب على الداعية التحلي بها عند حواره مع مخالفه منها:

١. حسن الاستماع حتى يفرغ المخالف من كلامه نهائيا، فلربما أجمل كلامه في بدايته وسوف يفصل في نهايته، أو ربما لم يصرح بمراده في بداية الكلام، وسيكون ذلك في آخره، فحسن الاستماع يسهل كثيرا من الرد على المخالف وتقريب وجهات النظر، وهذا واضح في إنصات النبي لعتبة حتى فرغ، ثم قال له: أفرغت يا أبا الوليد ؟

وهذا دلالة على عدم مقاطعة النبي ﷺ لعتبة في حديثه.

٢. حسن الأدب في المخاطبة ولو كان المتحدث كافرا، فحسن الأدب مخجلة للخصم عن أن يتطاول بالكلام، أو يعاند في قبول الرد، ولذلك قال النبي ﷺ لعتبة: (قل يا أبا الوليد أسمع).

---

(١) سورة فصلت: ١ - ٥.

(٢) السيرة، لابن هشام ١/٢٩٣.

وذلك علامة على الرفق به ولين الجانب له. وكانت العرب تحب المناداة بالكنية فجاءه النبي من الجانب الذي يحبه حتى ولو علم النبي ﷺ أن لن يؤوب ولن يرجع، لأن ذلك أصل في الدعوة إلى الله فقد أمر الله موسى وهارون – عليهما السلام– باللين مع فرعون وقومه رغم أنه لن يؤوب ولن يتوب.

٣. حسن الاستماع وحسن الكلام دلالة على بشاشة الوجه، وهذا مما يؤلف قلب المخالف، ويهون من ثورته على الإنسان، ويهدئ من حدته.

٤. وكل هذه الثلاثة خصال تمنع شر الخصم أن كان يريد إضمار الشر قبل أن يتكلم، فهو باب من أبواب درأ المفسدة وجلب المصلحة. فهذا الموقف العظيم يحمل في طياته دروساً وعبراً وهي أن يحسن المحاور الاستماع، ويصبر على صاحبه، ثم يجيب بلغة الواثق الهادئ، لا المتزعزع المضطرب[1].

فقد اختار ﷺ الكلام المناسب في الموضع المناسب، واختار أيضاً الصوت المناسب وحسن الإنصات مع الخصم، وذلك كله من جوامع خلقه ﷺ، والاستماع إلى الآخرين ؛ والانتباه إلى أحاديثهم ؛ والإنصات إليهم باهتمام، هو إحدى مهارات التعامل مع الآخرين، وكسب قلوبهم ؛ فكثير من الناس من تكسب قلبه عن طريق أذنك، وهكذا يجب أن يكون الداعية إلى الله ﷻ.

(١) انظر : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم الوزير، ٢/١٤٧.

لا شك أن حسن الاستماع إلى الآخرين (أو ما يسمى الإنصات) من المهارات الهامة جدًا في العلاقات الإنسانية، حيث تعمل على خلق علاقات إيجابية، وتحقق الاعتماد المتبادل والاستفادة الحياتية.

لقد أصبحت مراكز تنمية القدرات البشرية تسابق على التدريب على فن الاستماع لأنه من أقوى طرق التأثير، مع الأسف نجد أن من يجيد فن الاستماع نزر قليل من الناس، ولعل سبب ذلك يكمن في أننا ندرك العالم بطرق تعكس احتياجاتنا الخاصة، أو الانشغال المسبق بجدول أعمالنا الخاص. وأيًا كان سبب عدم الإنصات إلا أنه خلق سيئ.

فكل ما تقدم مما يلزم أن يؤهل به الداعية الذي يراد له أن يكون داعية بحق، داعية ناجحا مؤثرا قادرا على تحقيق النتائج الموجود من الدعوة، وعلى إقناع المدعوين بالإنصات إليه والاستماع لما يقول، ومن ثم الاقتناع بما يقول وبصحة ما يدعوهم إليه لامتلاكه قلوبهم واستحواذه على أسماعهم، لما يتصف به من إمكانات وقدرات، ولما يحسونه من حرارة كلماته وصدق لهجته وظهور إخلاصه وحرصه على نفعهم وإسعادهم، فهو طبيب القلوب الذي يعالج أدواءها وعللها بصدق واقتدار معا.

المبحث الثالث

تنمية مهارة التفكير الناقد وتطبيقاتها في السنة النبوية

التفكير نعمة عظيمة وهبها الله تعالى للإنسان ليتعرف عليه ويعبده حق العبادة؛ فمما لا شك فيه أن تنمية التفكير وتوجيهه هدف أساس، فعلى الداعية الاهتمام بجانب إحياء وتنمية التفكير في نفس المدعو ليدفعهإلى التحليل واكتشاف الخطأ الذي وقع فيه، ذلك أن التفكير الناقد يشجع روح التساؤل والبحث والاستفهام، ويؤدي إلى توسيع الآفاق العقلية، وحيث أن التفكير ينطلق من واقع الحدث والبيئة المحيطة به، فإن الداعية الناجح هو من يحسن استخدام الأساليب الدعوية وتوظيفها لتنمية التفكير الناقد لدى المدعو، والذي يعد من أكثر أشكال التفكير تعقيدا نظرا لارتباطه بسلوكيات عديدة كالمنطق وحل المشكلات وارتباطه الوثيق بالتفكير المجرد والتفكير التأملي من حيث تشابه العديد من الخصائص، والذي يحتم على الفرد امتلاك مهاراته ليكون قادرا على تميز وامتلاك المعرفة التي تحقق النفع له ولمجتمعه.

أولا: تعريف التفكير الناقد

التفكير الناقد مصطلح مركب من كلمتين فيعني في اللغة:

١- التفكير:

(فَكَرَ في الأمر، يفكر، فكراً: أعمل عقله فيه، والتفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها)[١].

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ٢/٧٠٥.

٢- الناقد:

للنقد في معاجم اللغة العربية، جملةُ معانٍ، ولعل أبرز هذه المعاني وأشْيَعها في لغة العرب تمييز الجيد من الرديء، والسمين من الغَث، والصحيح من الزائف[١].

المفهوم الاصطلاحي:

المتتبع للأدبيات المتعلقة بالتفكير الناقد يمكنه أن يلحظ أن الباحثين يختلفون في تحديد مفهوم التفكير الناقد، وقد يرجع ذلك إلى اختلاف مناحي الباحثين واهتماماتهم العلمية من ناحية، وإلى تعدد جوانب هذه الظاهرة وتعقدها من ناحية أخرى، من هذه التعريفات مايلي:

١- التفكير الناقد (عبارة عن الحكم الحذر والمتأني لما ينبغي علينا قبوله أو رفضه أو تأجيل البت فيه ولمطلب ما أو قضية معينة، مع توفر درجة من الثقة لما نقبله أو نرفضه)[٢].

٢- ويرى آخر بأن التفكير الناقد (نوع من التفكير المسؤول الذي ييسر عمليات الوصول للقرار، ويعتمد على معايير ومحكات خاصة، وكذلك على التقويم الذاتي والحساسية للمواقف المتنوعة)[٣].

إذاً التفكير الناقد الجيد هو تفكير ملتزم، معزز بالمهارات، تعالج به مشكلة ما من جميع النواحي، وتحكّم فيه عقلك للتوصل إلى أفضل

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣/٥٤١.

(٢) تدريس مهارات التفكير، جودت أحمد سعادة، ص١٠٣.

(٣) دراسات في أساليب التفكير، مجدى عبدالكريم حبيب، ص٢٢٨.

الاستنتاجات[1]، ويعد التفكير الناقد شكل من أشكال التفكير عالي الرتبة الذي يتطلب استخدام مهارات التفكير المتقدمة على غرار التفكير الإبداعي، وتجدر الإشارة إلى أن علماء النفس والتربية يظهرون اهتماما واضحا في التفكير الناقد نظرا لما له من انعكاسات في عملية التعليم والقدرة على حل المشكلات وبدأ هذا الاهتمام بهذا النوع من التفكير في السنوات الأخيرة واضحا في مجالات التعليم المختلفة.

ثانيا: أهمية تنمية مهارة التفكير الناقد لدى الداعية والمدعو

إن تعلم التفكير، هو حاجة طبيعية للإنسان تساعده على استمرار الحياة والعيش بمعقولية وتساعد الإنسان أيا كان على تحقيق أهدافه، فالداعية الذي يضع أهدافاً معينة في دعوته والداعية الذي يبحث عن أفكار جديدة وأساليب ووسائل جديدة متعلقة بتطوير أدائه وعمله، والداعية الذي يسعى إلى النجاح ويريد اتخاذ القرار، والداعية الذي تواجهه عقبات في دعوته كل هؤلاء يحتاجون إلى اكتساب مهارات تفكيرية تساعدهم على تحقيق أهدافهم وطموحاتهم، فالداعية عندما يستخدم هذه المهارات بشكل جيد تساعده على التقدم في مجال الدعوة وفق الأهداف التي يضعها في حياته[2].

إن التعلّم الفعال لمهارات التفكير حاجة تفرضها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في شتى مناحي حياة الإنسان، والنجاح في مواجهة هذه

(١) انظر مقالة " التفكير الناقد، نقاط للمناقشة " منشورة على شبكة الإنترنت:
http://otal.umd.edu/~vg/msf98/homework/critthink.htm

(٢) انظر: مهارات التفكير ومواجهة الحياة – عبد المعطي سويد، ص ١١-٣٢.

التحديات يعتمد على كيفية استخدام المعرفة وتطبيقها، كما أن عصر التغيرات المتسارعة يفرض على الدعاة التعامل مع التربية والتعليم على أنهما عمليتان مستمرتان، لأنهما تستمران مع الإنسان كحاجة ضرورية لتسهيل تكيفه مع المستجدات، والتكيف معها يستدعي تعلم مهاراتمن أجل إعداد المدعو إعداداً صالحاً لمواجهة ظروف الحياة العملية، بحيث يتاح له المجال اكتساب المهارات التي تجعله قادراً على اتخاذ القرارات أو إيجاد الحلول للمشكلات التي تطرأ على حياته، فالداعية له دورفي تنمية التفكير الناقد، وبيان ضرورة مخاطبة العقل ودعوته للتمييز بين الحق والباطل، فحينما يُفكر المدعو في المفاسد الأخلاقية فإنه غالباً سيبتعد عنها وسيسعى إلى تهذيب نفسه، وسيدعوه فكره إلى الاستقامة والصلاح، وتوجيه تفكيره التوجيه الصحيح لاسيما في هذا العصر الذي تعددت فيه وسائل الإعلام مع ثورة المعلومات، فنجد الحاجة مُلحِّه لإعداد جيل يتميز بمهارات عقلية تميز الصواب من الخطأ مع مواجهة التحديات والغزو الفكري الذي يحيط به بكفاءة عالية ويرسم طريقه الصحيح دون التأثر بما تبثه وسائل الإعلام من الثقافات المختلفة والشبه والأضاليل.

ثالثا: سمات التفكير الناقد

يتسم التفكير الناقد بما يلي[1]:

أ – التعمّق: أي أنه تفكير لا يكتفي بالنظرة السطحية العجلى، بل يسعى إلى دراسة المشكلة دراسة دقيقة متأنية، للوقوف على أسبابها وعوامل نشوئها، ورصد مظاهرها الواضحة والخفيّة، وتقديم الحلول الناجعة لحسمها ومعالجتها.

ب – العقلانية: أي أنه تفكير عقلاني منظم، يرتكزعلى معايير سليمة، واستدلالات منطقية، واستنتاجات صحيحة.

ج – الموضوعية: أي أنه تفكير ينأى عن العواطف والأهواء والأنانية والتعصب؛ ويقوم على العقل.

د– الانفتاح: أي أنه تفكير واسع، يلاحظ جميع الجوانب، ويهتم بكل الأسباب، ولا يتعامى عن شيء.

رابعا: التطبيقي النبوي لتنمية مهارة التفكير الناقد

كان الرسول ﷺ حريصاً على حثّ أصحابه – رضوان الله عليهم – على استخدام عقولهم، وإعطائهم الفرصة الكافية للتفكير، وذلك لإيقاظ واستثمار ما لديهم من طاقات وقدرات، واستغلالها لحلّ كل ما يعترض طريقهم من مشكلات ومواقف، ولم يكن تعليم الرسول ﷺ لصحابته – رضوان الله عليهم –يعتمد على التلقين دون فهم أو استيعاب، بل كان القرآن الكريم يربي الصحابة بالأحداث وينزل الحكم مع الوقائع، وكان

(١) تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات، فتحي جروان، ص ٧٢.

المصطفى ﷺ ينوع أساليبه للصحابة، فتارة عن طريق التساؤلات، كما في حديث (أتدرون من المفلس قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إنَّ المفلس من أمَّتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار)[1]، وتارة بالمناقشة والاستقصاء، كما حدث مع الشاب الذي جاء يستأذن الرسول ﷺ في الزنا فقال له الرسول ﷺ:(أترضاه لأمك.. أترضاه لأختك... الحديث إلى أن أقتنع الشاب ثم تاب)[2]، وأحيانا كان الرسول ﷺ يستخدم الرسوم التوضيحية كما في حديث خطوط الأمل ابن آدم وأجله، فعن بُرَيْدَةَ ﷺ قال: (خط النبي ﷺ خطوطًا، فقال: (هذا الأَمل، وهذا أَجله) فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب)[3] يعني الأجل، وأحيانا يترك الحكم للصحابة ليناقشوا في الأمر، وكثيرا ما كان ﷺ يترك للصحابة فرصة التفكير قبل إعطاء المعلومات ثم يحدد الرسول ﷺ القول الفصل، كما في حديث" السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب"، قال رسول الله ﷺ (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله،

(١) صحيح مسلم، كتاب البر وَالصِّلة وَالْآداب، باب تحريم الظلم، ١٩٩٧/٤، حديثرقم٢٥٨١، والترمذي كتاب أبواب صفة القيامة، وَالرّقائق والورع عن رسولالله ﷺ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ١٩١/٤، حديثرقم ٢٤٢٠، قال الترمذي : حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني : صحيح.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، ٥/ ٢٥٦، حديث رقم ٢٢٢١١، والحديث إسناده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، ٨٩/٨، حديث رقم ٦٤١٨.

فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لعلهم الذين صحبوا رسول الله، وقال: بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، فخرج عليهم الرسول ﷺ فقال: " هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون... الحديث)[1]، إلى غير ذلك من الأساليب المتنوعة (والتي في مجملها مهارات عليا للتفكير) التي كان يستخدمها المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام في تعليمه للصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ومما هدى إليه الرسول ﷺ في هذا الجانب، أنّ على الداعية أن يراعي الميول والمواهب التي يبرع فيها المدعوين، بل من يُتَولى أمره، سواء كان طفلاً أو شاباً أو متعلماً أو جندياً أو فرداً في جماعة.

لقد رعى رسول الله ﷺ إبداعات الصحابة وسعى إلى تنميتها، أخرج الشيخان عن أبي إدريس الخولاني سمع حذيفة ابن اليمان ﷺ يقول:((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم..... الحديث)[2].

وهنا نلفت إلى أن حذيفة بن اليمان ﷺ نظر إلى المألوف بصورة غير

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب بغير حساب، ١٠٠/٨، حديث رقم٦٥٤١، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ١٩٧/١، حديث رقم ٤٤٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٥١/٩، حديث رقم ٣٦٠٦، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ١٤٧٥/٣، حديث رقم ١٨٤٧.

مألوفة، وهداه الله تعالى إلى تفكير ابتكاري، فكرة جديدة لها ثمارها، فإذا كان الصحابة قد أَلِفُوا السؤال عن الخير والإيجابية، لينالوا الخير ويحرصوا عليه، فلماذا لا نقف من رسول الله ﷺ على مواقع الشر والغواية، ليحذر منها حذيفة، ويحذّر منها الصحابة، بل البشرية قاطبة إلى قيام الساعة، وهذا بحد ذاته إبداع من حذيفة ﷺ، ويؤخذ من حديث حذيفة هذا، أن كل من حُبب إليه شيء فإنه يفوق فيه غيره، ومن ثم كان حذيفة صاحب السر الذي لا يَعْلمه غيره حتى خُصّ بمعرفة أسماء المنافقين.

قال ابن أبي جمرة: "في الحديث حكمة الله في عباده، كيف أقام كلا منهم فيما شاء، فحُبّب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير وحبّب لحذيفة السؤال عن وجوه الشر ليتجنبه، ويكون سببا في دفعه".

وقد أكد علماء الحديث على ضرورة رعاية الميول الإبداعية في الناشئ استناداً إلى هذا الحديث، قال ابن حجر: "ومن أدب التعليم أن يُعَلّم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه من العلوم المباحة، فإنه أجدر أن يسرع إلى تفهّمه والقيام به"[1]، واستنباط ملكات الإبداع عنده.

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٣/٤١.

المبحث الرابع

مهارات التعامل مع المدعوين والاتصال بهم وتطبيقاتها في السنة النبوية

إنَّ مسألة التواصُل بين المسلمين أكبر وأشمل، ودائرة التعارف بينهم لا بدَّ وأن تكون أوسع، وقد بيَّن الله الحكمة من خلق الناس في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1]، وحيث إن الإنسان اجتماعي بطبعه يحب تكوين العلاقات وبناء الصداقات، فمن حاجات الإنسان الضرورية حاجته للانتماء، ومن الفطرة إن يكون الإنسان اجتماعيا، والفرد مهما كان انطوائيا فانه يسعى لتكوين علاقات مع الآخرين وإن كانت محدودة، ويصعب و ربما يستحيل عليه الانكفاء على الذات والاستغناء عن الآخرين[2]، ولذلك كانت مهارة التعامل مع الآخرين والاتصال بهم من أهم المهارات التي يجب أن يتعلمها الداعية في حياته ويتوقف عليها جزء كبير من فاعليته وتأثيره ونجاحه في الحياة، والدعوة إلى الله ﷻ قائمة على الاتصال بالآخرين وهو الأساس في التأثير فيهم، كما أن الاحتكاك بهم يعني كسب خبرات جديدة يضيفها الداعية إلى خبرتهوالتعامل مع الناس فن من أهم الفنون نظراً لاختلاف طباع المدعوين، ومن أنجح وسائل الكسب للدعوة.

---

(١) سورة الحجرات:١٣.

(٢) انظر:الخدمة الاجتماعية في مجال العلاقات العامة، محمد مصطفى أحمد، ص١٢.

أولا: تعريف الاتصال:

ظهرت تعريفات عديدة لا يمكن حصرها لمفهوم الاتصال من قبل الباحثين والمتخصصين في علوم الإعلام والاتصال، عكست في معظمها أهميته ودوره في الحياة الإنسانية، والمكونات أو العناصر الأساسية لعملية الاتصال، ومن هذه التعريفات على سبيل المثال لا الحصر.

١- هو (العملية التي بمقتضاها يتفاعل مرسل الرسالة ومستقبلها في مضامين معينة، أو هو تفاعل بين طرفين، وفي هذا التفاعل تنقل أفكار ومعلومات أو وقائع وعواطف وآراء، ومشاركة الصور الذهنية، والتوجيه والإقناع)[١].

٢- أو هو(العملية التي ينقل بمقتضاها الفرد - القائم بالاتصال - منبهات - عادة رموز لغوية - لكي يعدل سلوك الأفراد الآخرين - مستقبلي الرسالة)[٢].

٣- أو هو (سلوك أفضل السبل والوسائل لنقل المعلومات والمعاني والأحاسيس والآراء إلى أشخاص آخرين والتأثير في أفكارهم وإقناعهم بما تريد سواء كان ذلك بطريقة لغوية أو غير لغوية)[٣].

ثانيا: حاجة الداعي للتعامل مع المدعوين والاتصال بهم:

يحتاج الداعية إلى الله إلى إتقان مهارة إنشاء العلاقات العامة مع الآخرين واستغلالها استغلالاً إيجابياً في صالح دعوته وفكرته، حيث يدعو إلى

---

(١) الدعوة ووسائل الاتصال، د/ سيد محمد ساداتي، ص ١.

(٢) الأسس العلمية لنظريات الاتصال، جهان أحمد، ص ٥٠.

(٣) حتى لا تكون كلاً، د/ عوض القرني، ص١٧.

تعديل السلوك البشري نحو السلوك الإسلامي القويم، وكلما نشط الداعية في عمله الدعوى ووضع النجاح نصب عينيه، كلما أصبح من الضروري عليه أن يتعرف على الناس من حوله، ويوسع دائرة معارفه ويقوي علاقاته بالناس حتى يستطيع التأثير في أكبر عدد منهم، والداعية الأوسع أثرا هو الداعية الأقوى في الغالب، ولما كان الداعية يقوم بدور قيادي في مجتمعه فإن أفراد هذا المجتمع يتوقعون منه دائماً اهتماماً بأحوالهم وانشغالاً بشأنهم، فالدعوة وسيلة من وسائل التأثير على البشر، وأنماط الشخصية تقدم للداعية طرق مختصرة، وأكثر فعالية للتأثير، والدعاة إلى الله يتخذون الرسول ﷺ إماماً لهم وقدوة في علاقاتهم بالناس، إذ إن التعامل مع الناس فن من أهم الفنون الدعوية التي تميز الدعاة المصلحين نظراً لاختلاف طباع الناس وتباين أمزجتهم واهتماماتهم.

ثالثاً: أسس وقواعد تعامل الداعي مع المدعوين:

١- التحلي بالصبر والمثابرة عند التعامل مع المدعوين فقد يواجه الداعية كلمة جارحة، أو مكيدة، أو فظاظة منفرة.

٢- الرفق واللين من أفضل الطرق وأسهلها للوصول إلى الأهداف الكبيرة في الحياة، وأن يجعل الداعية اللين يغلب في تعامله الإيجابي مع التخلي عن الفظاظة والشدة والقسوة، وهو أحسن وسيلة لتحقيق النتائج الجيدة والحسنة في التعامل مع الآخرين.

٣- سعة الأفق، فلا يتعصب الداعي لرأيه، بل يكن على استعداد لتغييرها والتخلي عنه إذا دعت الحاجة لذلك، ولا يقبل أي شيء على أنه نتيجة نهائية وحتمية بل قابلة للمناقشة والتغيير.

٤- السيطرة على النفس وانفعالاتها، وإلا فستكون النتيجة التي لا تحمد عقباها، فالانفعال يمكن أن يهدم جسور الثقة والأمان والحب والود الذي بين الداعية ومدعويه.

٥- إتقان فن الحوار في الإقناع، فإقناع المدعوين بالأفكار شيء سهل يسير ولكنه يحتاج إلى فن وفكر ومهارة، فالناس يمكنهم أن يتخلوا عن أفكارهم إلى أفكارك بمحض إرادتهم، فتغيير القناعات لا يمكن حصوله بالضغط أو بالإلزام أبدا، بل تتغير القناعات بالرضا والقبول وبالإثبات والبرهان.

٦- انتقاء الكلمات فكل مصطلح يجد له الداعية الكثير من المرادفات، فيختار أجملها، كما عليه أن يبتعد عما ينفر المدعوين من المواضيع[١].

رابعاً: صور التواصل والتعامل مع المدعوين في السنة النبوية:

المتتبع للسنة النبوية يجد رسول الله ﷺ يقيم علاقات واتصالات مع كل الناس بجميع أصنافهم[٢]، فنجده في موقف جالس مع كفار قريش يناقشهم ويدعوهم إلى الإسلام، وفي موقف آخر مع أصحابه- رضوان الله عليهم - يعلمهم دينهم، وفي موقف ثالث يزور جاره اليهودي المريض، وفي

(١) للاستزادة انظر: فن التعامل مع الناس، د.عبد الله الخاطر، فن التعامل مع الناس، عبدالرحمن بن فؤاد الجار الله، www.saaid.net.

(٢) لمزيد من التفصيل، انظر: كيف تعامل الرسول ﷺ مع الناس؟ (مواقف عملية)، فاطمة محمد عبدالمقصود العزب، www.alukah.net.

موقف رابع مدعو إلى طعام من رجل يهودي، وفي موقف خامس مع أزواجه يداعبهم، وفي موقف سادس مع الجارية منطلقة معه حيث شاءت، وقد جاء الإسلام بالحثِّ على حُسن التعامل مع الآخرين، في وقتٍ فرَغت قلوب الناس فيه من معاني الرحمة والتعاون، كان يأكل قويهم ضعيفهم، ويستغل غنيهم فقيرَهم، فعمل على القضاء على منابع الشر، وإزالة الحواجز التي قطعت ما بين الناس من صلات التراحم والتعاون.

لقد كان الرسول ﷺ يقضي وقتًا كبيرًا في تقوية تلك الصلات الاجتماعية، فيعود من مرض من أصحابه- رضوان الله عليهم -، ويتبع جنازة من مات منهم، وإذا افتقد أحدهم في صلاة الصبح سأل عنه، ومن كان منهم في حاجة إلى المال ساعده بماله، وحث الصحابة على مساعدته، وكان حريصًا على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وعلى إفشاء روح الحب والتعاون والاحترام فيما بينهم.

بل حتى مع بسطاء الصحابة والنساء العجائز، كان ﷺ حريصًا على رعايتهم والسؤال عنهم، فعن أبي هريرة ﷺ أن امرأة سوداء كانت تقُمُّ [تجمع القمامة] المسجد - أو شابًّا -، ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها - أو عنه - فقالوا مات، قال (أفلا كنتم آذنتموني [أي أخبرتموني])، قال: فكأنهم صغروا أمرها أو أمره - فقال: (دلوني على قبره)، فدلوه فصلى عليها، ثم قال: (إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم)[1].

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان البخاري، ٩٩/١ حديث رقم ٤٣٨، مسلم كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر ٦٥٩/٢، حديث رقم، ١٥٨٨.

وكان ﷺ يُحسن التعامُل مع الناس، فكان إذا قام الليل لا يزعج النائم أثناء عبادته، وإنما كان يؤنس اليقظان، وكان الرسول ﷺ يَطرق باب بيته قبل الدخول إليه، و ضحَّاكا في بيته، وسيرته ﷺ العطرة فائضةٌ بحسن معاملته، شهد له بها العدوّ قبل الصديق، ومن ذلك أنه عندما كان في الطريق إلى فتح مكة، لقيه أبا سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية — وهما ابن عمه وابن عمّته — وكانا من أشد الناس إيذاءً له بمكة، فأعرض عنهما، فأشار علي بن أبي طالب ﷺ على أبي سفيان أن يأتي النبي ﷺ، ويقول له ما قال إخوة يوسف ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[1]، فإنه لا يرضى أن يكون أحداً أحسن جواباً منه، فلما قال ذلك أبو سفيان، أجابه: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2].

وموقفه المشهور في العفو عن أعدائه من المشركين بعد فتحه مكة، حين وقف أمام الكعبة شرفها الله، وقال:(ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا: أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)[3].

وكان هدي النبي ﷺ في معاملة اليهود، ويستفاد من قصة خدمة الغلام اليهودي للنبي ﷺ إظهار السماحة والعفو ولين الجانب الذي كان يحمله في قلبه الرحيم، فقد كان شفيقاً رحيماً بالناس كلهم، يرجو لهم الخير

(١) سورة يوسف:٩١.

(٢) سورة يوسف:٢٩٢.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام، ٤١/٢.

ويحذرهم من الشر، فلم يتردد في عيادة هذا الغلام اليهودي في منزله، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: (كان غلامٌ يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم)، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلَمَ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: (الحمدلله الذي أنقذه من النار)[1].

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ٢/٩٤، حديث، ١٢٩٠.

المبحث الخامس

تنمية المهارات الإبداعية في وسائل الدعوة وتطبيقاتها في السنة النبوية

فالإبداع في وسائل الدعوة ضرورة ملحة للداعية، فأصبحت الحاجة ملحة إلى تغيير وتفعيل طرق الدعوة إلى الله، وذلك بتوظيف وسائل عديدة في وقت أصبح العالم يعيش ثورة تقنية هائلة، مما أحدث عددا من القنوات الحديثة، والتي تبث عبرها رسائل رسختها ووجهتها إلى المجتمعات بكافة مشاربه وتنوع أفكاره، كما لابد من ضرورة فهم مبدأ الابتكار في الوسائل الدعوية، وأنها مشروطة بشروط شرعية حتى لا تدخل في دائرة الابتداع، والمعنيّ : أن الدعاة يجب أن يفرقوا بين ما هو مسموح وغير مسموح في وسائل الدعوة حتى يستطيعوا الإبداع دون الابتداع، فالإسلام بما فيه من كنوز العلم والمعرفة، دين منفتح على الثقافات والحضارات والعلوم، يواكب كل جديد ويسعى إلى إدماجه والإفادة منه مع الحفاظ على الثوابت، وهدي النبي محمد ﷺ فيه من مقومات الإبداع مالا يوجد في غيره، وهو إذْ يسعى إلى التربية الإبداعية، يهدف إلى خلق الإبداع في أكمل صوره ومواصفاته.

أولاً: تنمية المهارات الإبداعية في وسائل الدعوة

ويستطيع الداعية تنمية المهارات الإبداعية في وسائل الدعوة عن طريق:

أ. التعرف على المدعوين والتجمعات الدعوية والاحتكاك بهم.

ب. مطالعة المؤلفات الدعوية التي تعنى بهذه القضية.

ج. صقل الذوق الدعوي بالثقافة العامة ومطالعة الدوريات العالمية التي يستفيد الداعية منها في وسائل العرض ومتابعة كل جديد في عالم الإعلام .

د. إيجاد المتخصصين لابتكار وسائل دعوية تفيد الدعاة وتعينهم في مجهودهم الدعوي .

هـ. جمع تجارب الدعاة وخبراتهم ومهاراتهم لتعميم الاستفادة من تلك الخبرات .

ثانيا: حاجة الداعي لتنمية المهارات الإبداعية:

والداعية الناجح لا يترك وسيلة لعرض دعوته وكسب الأنصار لها إلا استعملها، وهو يستفيد من كلما أتيح له من وسائل حديثة، ومن مستجدات العصر في الدعوة إلي الله؛ فهو يدعو عبر القنوات الفضائية، وعن طريق شبكة المعلومات الدولية(الإنترنت)وكل ما يُستجد منوسائل وتقنيات حديثة، ولا يحصر نفسه في دائرة ضيقة من الوسائل، مع الحفاظ علىثوابت الدعوة وأصولها، ويأخذ بالتنوع في وسائله الدعوية، وبمايتناسب مع الزمان والمكان والأشخاص والأحوال.

ولنجاح الدعوة لابد أن يمتلك الداعية المهارات الشخصية والمهنية ذات العلاقة بمجالات الدعوة المختلفة، وتحديد الداعية لنقاط القوة، وفرص التحسين لديه، وحاجاته من تلك المهارات، ومدى سعيه للحصول عليها وتنميتها.

ثالثاً: تنمية المهارات الإبداعيةفي السنة النبوية:

وكان من هدي رسول الله ﷺ تشجيع الأفكار الإبداعية وتبنيها، وحين نتأمل بنظرة فاحصة الأحاديث والأحداث في عهد رسول الله ﷺ، نجد قدراً كبيراً من الأفكار الموصوفة بالابتكار والإبداع، وتفكيراً علمياً مَرِناً، فيه الجِدّة والتطوير، له القيمة العالية والمردود الإيجابي.

ومن أمثلة ذلك في التجهيز لمعركة بدر سبق الرسولُ ﷺ المشركين إلى ماء بدر، ليحول بينهم وبين الماء، وهنا أبدى الحباب بن المنذر ﷺ بتغيير الموقع، فقال رسول الله ﷺ: "لقد أشرت بالرأي"، وفعل ما أشار به الحباب بن المنذر ﷺ[1]، وفي غزوة الأحزاب التي كانت في شوال السنة الرابعة للهجرة، وسميت بغزوة الخندق لأجل الخندق الذي حُفر في المنطقة المكشوفة أمام الغزاة من المدينة، كانت فكرة الخندق فكرة إبداعية أشار بها سلمان ﷺ فيما ذكر أصحاب المغازي.

قال سلمان ﷺ للنبي ﷺ : إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه وهكذا يبادر الصحابةُ رسولَ الله ﷺ بأفكارهم الإبداعية مستعيناً بها في التخطيط الاستراتيجي[2].

لذلك حرص الرسول ﷺ على أن يكون قدوة لأصحابه في القول والعمل، فحينما يحدثهم عن القرآن الكريم والعمل به يكون أول متأثر

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، ٢/٦٢٠.

(٢) للاستزادة انظر :هدي النبي محمد ﷺ في التربية الإبداعية والابتكار، د/ موسى البسيط..wwwkenanaonline.com..

وعامل به، وحينما يعلمهم أمور دينهم يكون أول مطبق لها، وحينما يربيهم على الأخلاق الفاضلة والصبر على الأذى، يرون فيه القدوة والتسلية لحالهم.

وهذا ما جعل أصحابه ﷺ يضحون بالغالي والنفيس في سبيل هذا الدين الجديد بعدما وجدوا معاني التربية الحقيقية للعقيدة الصحيحة في قدوتهم ومعلمهم محمد ﷺ.

الخاتمة

الدعوة إلى الله هي مهمة الرسل والأنبياء الذين هم خيرة الناس من عباده، وهي مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العالمين، والربانيين الصادقين، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى؛ لأن ثمرتها هداية الناس، وتحبيبهم في الخير، وتنفيرهم من الشر والباطل، ووصول الداعية إلى درجة التأثير في المجتمع وتحقيق المقاصد الشرعية من دعوته يتطلب العمل بإخلاص وفق المنهج الصحيح والإعداد المتقن والمران، فمهمة الداعية مهمة شاقة ولا ريب، فإكسابه المهارات اللازمة جزء أساس في الدعوة وإيصال الهداية إلى الناس، وقد خلصت نتائج هذا البحث في عدد من النقاط من أهمها ما يلي:

- إن هدي النبي محمد ﷺ فيه من مقومات الإبداع وتنمية المهارات مالا يوجد في غيره.
- أن المهارات الدعوية صارت تتطلب تخصصات مختلفة ومعقدة لا يسد احتياجاتها المتخصصون في الفقه والحديث.
- إن من الآفات التي تصيب بعض الدعاة الجمود أمام الوسيلة والأسلوب في دعوة الآخرين، ولمعالجة ذلك لابد من تطوير الداعية لقدراته ومواهبه، بالاكتساب والاستفادة من خبرات الآخرين، وذلك في مختلف المجالات اللازمة لنجاح الدعوة وشيوعها.
- حرص الرسول ﷺ على تدريب صحابته على حل المشكلات التي تواجههم عن طريق توفير بيئة مشجعة للتفكير تسمح بإعطائهم فرصة

للتفكير والاستماع بإنصات لجميع وجهات النظر والحلول المحتملة للمشكلة.

- إن إحسان التعامل مع الآخرين مرآة يعكس أثر تمسك الداعية بهدي النبي ﷺ في تعامله مع الآخرين.

التوصيات:

١- نوصي الدعاة إلى ضرورة اكتساب مهارات التقويم الذاتي حتى يستطيعوا تطوير أدائهم في مجال الدعوة بصورة مستمرة.

٢- ونوصي الدعاة بالعودة إلى ميراث النبوة لاستلهام الهدي النبوي العظيم في التربية الإبداعية مع الإفادة من النظريات التربوية المعاصرة.

٣- تكوين مكاتب لتبادل الخبرات بين الدعاة مهمتها البحث عن كل جديد مما له مسيس صلة بواقع الدعوة وتسخيره في خدمة الدين.

٤- أن تتواصى همم الجماعات والهيئات الإسلامية على تدريب دعاتها مع توليد القناعة في نفوس الأفراد والجماعات بأهمية اكتساب الخبرات والتخصصات المناسبة التي تحتاجها الدعوة، وأن ذلك من صميم الإتقان والإحسان الذي أمر به الشرع المطهر.

المراجع والمصادر

١- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (بيروت، دار المعرفة).

٢- استراتيجيات تعلم اللغة العربية في المرحلة الثانوية، فتحي على يونس (القاهرة، مكتبة سفير).

٣- الإدارة الإسلامية المنهج والممارسة، د/ حزام بن ماطر المطيري، ط٣ (الرياض، شركة الرشد العالمية، ٢٠٠٨)

٤- الأسس العلمية لنظريات الاتصال، جيهان أحمد رشي (مصر، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م).

٥- البحث العلمي "مناهجه وتقنياته"، محمد زيان عمر (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢).

٦- التخطيط في الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة في ضوء العلم الحديث، د. محمد البشير محمد عبد الهادي، مجلة دراسات دعوية، ع١٤ – يوليو ٢٠٠٧.

٧- التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي علي أبو السعود، ط١(القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٨- تدريس مهارات التفكير، جودت أحمد سعادة (عمان، دار الشروق، ٢٠٠٣م).

٩- تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات، فتحي جروان، ط٢ (الأردن، دار الفكر، ٢٠٠٥).

١٠- الخدمة الاجتماعية في مجال العلاقات العامة، محمد مصطفى أحمد (القاهرة دار المعرفة الاجتماعية، ٢٠٠٣م)

١١- حتى لا تكون كلا طريقك إلى التفوق والنجاح، د/ عوض محمد القرني، ط٦ (جدة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع).

١٢- دراسات في أساليب التفكير، مجدى عبدالكريم حبيب، ط١ (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية' ١٩٩٥م).

١٣- الدعوة ووسائل الاتصال، من مذكرات د/ سيد محمد سادتي.

١٤- الدعوة الفردية، صالح بن يحيى صواب، ط١(الرياض، مطبعة سفير، ١٤١٢هـ -١٩٩١م)

١٥- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، (بيروت، مؤسسة الريان، ١٩٩٧).

١٦- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن ابراهيم الوزير، (الرياض، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع).

١٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، ط٢ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

١٨- السيرة النبوية، لابن هشام (بيروت، دار الجيل، ١٩٧٥م).

١٩- السيرة النبويَّة والدعوة إلى الله، د. محمد بن لطفي الصباغ، مجلة الرائد، العدد رقم ٢٦٦، ربيع الثاني ١٤٣٠، أبريل ٢٠٠٩.

٢٠- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق: د/ مصطفى البنا، ط٣ (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ).

٢١- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي (الرياض، نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م).

٢٢- طرق تعليم اللغة العربية، محمد عبد القادر أحمد، ط ٥(القاهرة، دار النهضة المصرية).

٢٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط٢ (مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ).

٢٤- فن التعامل مع الناس، د. عبد الله الخاطر، ط ٢ (الإسكندرية، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٩٤ م).

٢٥- القيادة أساسيات ونظريات ومفاهيم، ماهر محمد حسن (الأردن، دار الكندي، ٢٠٠٣م).

٢٦- لسان العرب، للعلامة ابن منظور، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م).

٢٧- مبادئ علم الإدارة العامة، سليمان محمد الطماوي (بيروت، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ١٩٧٩م).

٢٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ط١، (الرياض، دار النفائس، ١٤١٠هـ).

٢٩- المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني، ط٣ (بيروت، دار الرسالة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
٣٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، شرحه وضعفه ارسه: أحمد محمد شاكر، أحمد حمزة الزين، ط١ (القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م).
٣١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم أنيس وآخرون، ط٣(القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤).
٣٢- مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، أ. د. محمد منير حجاب، (القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ م).
٣٣- مهارات التفكير ومواجهة الحياة، عبد المعطي سويد، ط١(العين، دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).
٣٤- المهارات الحياتية، أحمد حسين عبدالمعطي، ودعاء محمد مصطفى (القاهرة، دار السحاب).

المواقع الإلكترونية

١- أزمة تطوير الدعاة. . نقص في المهارات أم ضحالة في المعرفة؟!، مؤسسة الدعوة الصحفية الخميس ٠٩ محرم ١٤٣١هـ www. aldaawah. com
٢- هدي النبي محمد ﷺ في التربية الإبداعية والابتكار، د/ موسى البسيط. wwwkenanaonline. com
٣- كيف تعامل الرسول ﷺ مع الناس؟ (مواقف عملية)، فاطمة محمد عبدالمقصود العزب، www. alukah. net

٤- فن التعامل مع الناس، عبدالرحمن بن فؤاد الجارالله www. saaid. net.

٥- "التفكير الناقد، نقاط للمناقشة" منشورة على شبكة الإنترنت: otal. umd. edu.

٦- الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة، د/ علي النملة، www. rabitat-alwaha. net

البحث رقم (٤)

زاد الدعاة في التحذير من الانشغال بعيوب الناس

إعداد

د. محمد بن عبدالعزيز الثويني

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

أما بعد:

فإن من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت لتحقيق مصالح العباد والبلاد؛ المحافظة على الكليات والضروريات الخمس، من خلال تقرير أصول كلية وترسيخ قواعد مرعية، وتثبيت أسس قوية، منها الأصل الشرعي؛ تحريم النيل أو الانتقاص من عرض المسلم.

ونتيجة للابتعاد عن الفقه في الدين، وضعف التأصيل الشرعي، والعدول عن الآداب الإسلامية؛ انتشرت ظاهرة خطيرة بين الناس في

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٧٠، ٧١).

مجالسهم، فضلاً عن وجود هذا الداء بين بعض ممن هم من أهل الصلاح والعلم والدعوة وممن يُعرفون بالخير في الأمة، وهي الانشغال بعيوب الناس عن عيوب النفس، فتجد الواحد منهم يطلق لنفسه العنان في انتقاد النَّاس والهجوم عليهم، تاركاً عيوب نفسه غافلاً عنها، رغم أنَّ كلَّ إنسان لا يخلو من نقص، ولذا فإن العاقل الموفق والحريص على سلامة دينه له في نفسه شغل عن الآخرين إطلاعاً وإصلاحاً ؛لأن المسلم مأمور بحفظ لسانه وصيانة أعراض إخوانه المؤمنين.

ومن خلال هذا البحث وضعت زاداً لعل أفيد منه الغير، وأستفيد، يتبين من خلاله سبب الانشغال بعيوب الناس وآثاره، والأسباب العاصمة منه بإذن الله لأشارك مع إخواني في هذا الهم الذي يجب أن يصاحبه اهتمام، وهو من أهم الأمور التي جعلتني أكتب في هذا الموضوع بحثاً سميته: (زاد الدعاة في التحذير من الانشغال بعيوب الناس)، دعوة لانشغال الدعاة بعيوب النفس لتشخيصها فضلاً عن غيرهم، والعمل على معالجة مكامن الخلل في ذات الإنسان، لعلّ الله أن ينفعني به أولاً، وينفع به من قرأه، أو أطلع عليه؛ وهو ولي ذلك والقادر عليه .

١) أسباب اختيار الموضوع:

١- القيام بواجب التذكير والنصيحة في هذا الشأن لبعض من وقع في هذا الأمر من الدعاة وغيرهم من العامة.

٢- المشاركة في معالجة واقع لا يمكن تجاهله.

٣- الآثار السيئة المترتبة على الانشغال بعيوب الآخرين، من غيبة، ونميمة، وإحن، وتقاطع، وتهاجر بين المسلمين.

٤- الدعوة إلى الانشغال بالأهم وهي النفس قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[1].

٥- حث الدعاة على تحذير الناس من الانشغال بعيوب الناس.

٢) الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود علمي واطلاعي على دراسة مستقلة تناولت هذا الموضوع بمؤلف مستقل، فعامة ما وجدته مشاركات في مواقع الانترنت أو خطب جمعة، أو مُضمَّنٌ لمؤلفات تتحدث عن الأخلاق، وداخل في عناوين النهي عن التجسس أو الغيبة، وهو ما حداني إلى إفراد هذا الموضوع ببحث مستقل إسهاماً في معالجة هذه الظاهرة.

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأما المباحث ففيها عدد من المطالب وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: العيب وملازمة الخطأ لبني آدم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العيب لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الخطأ صفة ملازمة لبني آدم.

المبحث الثاني: الانشغال بالعيوب، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الانشغال بعيوب النفس.

---

(١) سورة فصلت الآية (٤٦).

المطلب الثاني: الانشغال بعيوب الآخرين.

المطلب الثالث: انشغال السلف بعيوبهم عن عيوب الآخرين.

المطلب الرابع: أقسام الانشغال بعيوب الناس.

المبحث الثالث: أسباب الانشغال بعيوب الناس.

المبحث الرابع: آثار الانشغال بعيوب الناس.

المبحث الخامس: الأسباب العاصمة من الوقوع في الانشغال بعيوب الناس.

ويلي ذلك خاتمة البحث وفيها أهم النتائج، وثبت بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث، وفهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما شابه من نقص أو قصور، إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

العيب وملازمة الخطأ لبني آدم

المطلب الأول

تعريف العيب

العيب لغة: مصدر عاب يعيب عيباً، ويساويه: العاب، والعيبة، والمعيب، والعاب والعيب، والعيبة: الوصمة والنقيصة، وجمعها أعياب وعيوب، وهو الخلل والنقص، وفي التنزيل ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: بخرقها، والخرق في السفينة نقصان ويخرجها عن كونها صالحة.

قال الراغب: العيب الأمر الذي يصير به الشيء عيبة أي: مقراً للنقص، وعبته: جعلته معيباً بالفعل، أو القول إذا ذممته[1].

ومما يرادف العيب في المعنى: الوصمة، والعار، والشين، والسبة، والثلب، والقدح، والطعن، والتشنيع، والتعريض[2].

والعيب اصطلاحاً: هو ما يخلو عنه أصل الفطرة السليمة مما يعد به ناقصاً[3].

من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يتضح أن العيب هو ما يشين الإنسان ولا يزينه.

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة(٤/١٨٩)، والمفردات في غريب القرآن (٣٢٢)، ولسان العرب (١/٦٣٣).

(٢) انظر الإفصاح في اللغة (١٨٨).

(٣) انظر درر الحكام شرح غرر الأحكام(٢/١٦٠)، والبحر الرائق (٦/٣٨)،وفتح القدير (٦/٣٥٥).

المطلب الثاني

الخطأ صفة ملازمة لبني آدم إلا من عصمه الله

الخطأ صفة ملازمة للبشر لا يسلم منه أحد إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم على خلاف في ذلك في مسائل حياتهم الاعتيادية، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [1]، فلا يمكن أن يسلم البشر من الوقوع في الخطأ، ومهما بلغ الإنسان من العلم والتقوى والورع فهو عرضة للجهل والهوى والزلل؛ فالبحث عمن لا يزل ويقصِّر من البشر بحث عن محال.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)) [2] .

و عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)) [3].

وعن سعيد بن المسيب: قال: «ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه؛ فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله» [4].

---

(١) سورة يوسف الآية (٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، (٤/٢٤٠) رقم (٢٤٩٩) وقال: حديث غريب، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، (٥/٣٢١) رقم (٤٢١٥)، والدارمي، كتاب الرقائق، باب التوبة،(٢/٣٩٢) رقم (٢٧٢٧)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/٧٢٤) رقم(٢٣٤١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، (٨/٩٤)رقم (٧١٤١) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/٤٠).

وقال الإمام مالك: « ومن ذا الذي لا يخطئ »[1] .

وقال ابن القيم: « وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوماً جهولاً»[2].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: « من يبرئ نفسه من الخطأ فهو مجنون»[3].

(١) المصدر السابق (٢/ ١٤٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/٥٢٢).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٤٢).

المبحث الثاني

الانشغال بالعيوب

المطلب الأول

الانشغال بعيوب النفس

إذا تقرر بأن الخطأ صفة ملازمة للبشر فالانشغال بالعيوب المتعلقة بذات الشخص ونفسه من أوجب الواجبات، ولازم المهمات لدى المسلم التي يجب عليه أن يعنى بها، وذلك بأن يعرف عُيوب نفسه ونَقائصها، فيسعى في تخليصها من ذلك كله، ويزكيها ويترك الانشغال بعيوب الأخرين؛ بناء لذاته وحفظاً لدينه؛ لأن حقوق العباد كبيرة، ولأن الإنسان مطالب بإصلاح عيوب نفسه، وسيسأل عن عيوبها أولاً، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[3].

قال الإمام أبو حاتم ابن حبان[4]: « الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب

---

(١) سورة الشمس الآية(٩،١٠).

(٢) سورة المدثر الآية (٣٨).

(٣) سورة الاسراء الآية (١٥).

(٤) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي البستي، المعروف بابن حبان. كان من =

نفسه؛ فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه، ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من عيب أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه، وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه، ومن عاب الناس عابوه »[1].

إن الإعراض عن معرفة عيوبِ النفس وإصلاحها علامة ضعف ونقص، ولن يهذب الفرد ذاته وينمي شخصيته ويسد الخلل حتى يقر بعيوبه فيصلحها.

قال الشافعي:

المرء إن كان عاقلاً ورعاً أشغله عن عيوب غيره ورعه
كما العليل السقيم أشغله عن وجع الناس كلهم وجعه[2]

والدعاة إلى الله هم أولى من يلتفت إلى ذواتهم ويسعون إلى إصلاحها، إذ هم في موضع القدوة والتأثير، وعدم انشغالهم بالنظر في عيوب أنفسهم، قد يؤدي إلى دعوى الكمال، التي هي داء العجب الذي وصفه ابن المبارك: بقوله: « أن ترى أن عندك شيئا ليس عند غيرك »[3].

= أوعية العلم في الحديث والفقه واللغة والوعظ . ولد في مدينة (بست) من بلاد سجستان (أفغانستان) وتنقل في الأقطار، فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة وتولى قضاء سمرقند مدة ثم عاد إلى نيسابور ومنها إلى بلده (بست) حيث توفي في الثمانين من عمره سنة (٣٥٤هـ). هو أحد المكثرين من التصنيف. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٨٩/٣)، سير أعلام النبلاء (٩٢/١٦-١٠٤).

(١) انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص١٢٥).

(٢) ديوان الإمام الشافعي ص (٧٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٠٨/٨).

وإن معرفة الداعية لعيوب نفسه، والسعي لإصلاحها من توفيق الله له، قال محمد بن كعب القرظي: «إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خلال: فقه في الدين، وزهادة في الدنيا، وبصر بعيوبه»[1].

وما دام الداعية رزق فهماً في العلوم، وفُتح له باب في الدعوة إلى الله فإن تزكية النفس وتحليتها بالصالحات وإبعاد السلبيات والسيئات من أجلِ تحقيق الكمالات التي هي من أقوى المؤثرات في المدعوين مع ما تجنيه النفس من خير عظيم في الحال والمآل، يحكى عن علي بن أبي طالب ﷺ قوله: «من نصّب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم»[2].

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢١٣).

(٢) شرح نهج البلاغة (١٨/ ٢٢٠).

المطلب الثاني

الانشغال بعيوب الآخرين

إن ديننا الإسلام يتشوّف إلى الستر، ويتطلّع إلى إخفاء الزلات، وكتمان العيوب، وأما الانشغال بعيوب الآخرين وتتبع عوراتهم فهو ممّا حرمَهُ الله وحرمه رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لا يستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة))[2].

وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال رسول الله ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته))[3].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: ((من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته))[4].

---

(١) سورة النور الآية (١٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب والبر والصلة والآدب، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة،(٨/٢١) رقم (٦٧٦٠).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الغيبة،(٧/٢٤١) رقم(٤٨٨٠)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب تعظيم المؤمن،(٣/٤٤٦)رقم(٢٠٣٢)، وأحمد، (٣/٢٠) رقم(١٩٧٧٦)، والبيهقي، كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته (١٠/٢٤٧) رقم (٢٠٩٥٣)، وصححه الألباني في المشكاة رقم(٥٠٤٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات، (٣/٥٨٠) رقم (٢٥٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب،(٢/٢٩٢) رقم(٢٣٣٨) .

قال ابن مفلح: « يستحب الكف عن مساوئ الناس وعيوبهم كذا قالوا،والأولى يجب »[1].

وكذلك مما يمكن الاستشهاد به للنهي عن تتبع العورات النصوص الواردة في النهي عن التجسس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، وقال القرطبي: « معنى الآية: خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله»[2].

وذكر السيوطي: في معنى التجسس:« هو أن تتبع عين أخيك فتطلع على سره »[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تَحسسوا ولا تجسَّسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً))[4] .

قال ابن الأثير: التجسس: « التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر»[5].

ولا يعني السترُ ترك الإنكار بل لابد من النصيحة، وينبغي أن تكون النَّصيحة سرًّا ولا تكون أمام الملأ .

---

(١) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/٣٧٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٣).

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١٣/٥٦٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (٨/٢٣) رقم (٦٠٦٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش، (٨/١٠) رقم (٦٧٠١).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٢٧٢) .

وقد فرَّق ابن حجر: بين مَحَلِّ السَّتر والإنكار، فقال: « والذي يظهر أنَّ الستر محلُّه في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حَصل التَّلبُّس بها، فيجب الإنكار عليه، وإلَّا رفعه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرَّمة، بل من النَّصيحة الواجبة» (١).

وإذا كان الانشغال بعيوب الناس بين العامة قبيح، فهو بين الدعاة أقبح، فالدعوة إلى الله وخاصة في هذا العصر بحاجة إلى ما يجمع لا ما يفرق، والداعية إلى الله بقدر ما يتغافل عن عيب في أخيه فلاشك أنه ناصحٌ له فيما بينه وبينه.

فالأمر إما أن يكون عيباً حقيقة أو ظناً أو توهماً، إذ الجرأة بإعلان عيب رآه ذاك الدعية بأخيه سبيل إلى التناحر، وسببٌ لجعل المدعوين في حيرة من أمرهم تجاه من يثقون به من هؤلاء الدعاة، فبدلاً من التسديد والمقاربة كانت الفرقة والمناحرة، وهذا على خلاف الهدي النبوي الذي تربى عليه الصحابة ﷺ، ومن شواهد هذا لديهم:

قال القرطبي: «من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الإنصاف، عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة،وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحياناً، لكن الديانة ترد ذلك والله الموفق»(٢).

(١) فتح الباري لابن حجر (٥/٩٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/٤٩٥).

وعن هشام بن عروة عن أبيه، أن حسان بن ثابت ﷺ كان ممن كَثَّرَ على عائشة ب فسببته، فقالت: ((يا ابن أختي دعه فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ)) [1].

وعن ابن أبي مليكة عن ابن عباس ك أنه قال -حين وقع بينه وبين ابن الزبير خلاف بسبب امتناع ابن عباس من مبايعة ابن الزبير بالخلافة-: ((فغدوت على ابن عباس، فقلت: أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحل حرم الله؟ فقال: معاذ الله! إن الله كتب ابن الزبير وبنى أمية محلين، وإني والله لا أحله أبداً. قال: قال الناس: بايع لابن الزبير. فقلت: وأين بهذا الأمر عنه - أمر الخلافة -، أما أبوه فحواري النبي ﷺ يريد: الزبير- وأما جده فصاحب الغار -يريد: أبا بكر- وأما أمه فذات النطاق -يريد: أسماء- وأما خالته فأم المؤمنين -يريد: عائشة- وأما عمته فزوج النبي ﷺ يريد خديجة ـ وأما عمة النبي ﷺ فجدته ـ يريد صفية ـ ثم عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن)) [2].

بهذا يتضح أن الدعاة ليسوا كغيرهم من الناس حال انشغالهم بعيوب غيرهم، وذلك لتلك الآثار السلبية المترتبة على الدعوة، وعلى أثر الدعاة في المجتمع، فإن كان الستر والتناصح لازم بين العامة فهو بين الدعاة ألزم، مع ما في ذلك الانشغال من إعانة للمتربصين والمغرضين الذين يتربصون بالأمة الدوائر، ومتى ما وجدوا هذا من الدعاة كان نصيبهم من تحقيق مرادهم أكبر، وناهيك عن أولئك الشباب المحبين للخير وأهله، فبدلاً من أن يكونوا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، (١٦٣/٧) رقم (٦٥٤٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله: {ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا}، (٦٦/٦)رقم (٤٦٦٥).

منشغلين بالعلم والتحصيل، انشغلوا بالقيل والقال، تحزباً لشيخهم، ومعاداة لمن خالفهم، وما هكذا أراد الله لهذه الأمة بعمومها فكيف بدعاتها!

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [1].

(١) سورة آل عمران الآية(١٠٢-١٠٣)

المطلب الثالث

انشغال السلف بعيوبهم عن عيوب الآخرين

لقد كان السلف الصالح ﷺ يشتغلون بعيوب أنفسهم ومحاسبتها، واتهامها بالتقصير، ويتركون الاشتغال بعيوب الآخرين، بل كانوا يخافون إن تكلموا في الناس بما فيهم أن يبتلوا بما ابتلي به الناس من هذه العيوب.

وكان عمر ﷺ يقول:« رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي »[1] .

وقال ابن عباس ﷺ: «إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك »[2].

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: « كان بالمدينة أقوام لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فأسكت الله الناس عنهم عيوبهم، فماتوا ولا عيوب لهم، وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم، فتكلموا في عيوب الناس، فأظهر الله عيوباً لهم، فلم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا »[3].

قال الحسن: في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[4]:« إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قدمًا ما يعاتب نفسه »[5] .

---

(١) أخرجه الدارمي في مقدمة سننه،(١/١٦٦) رقم (٦٤٩).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٩/ ١١٠) برقم (٦٣٣٤).

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٢٧٦) رقم(٤٨٣٠).

(٤) سورة القيامة الآية (٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٥).

وقال أيضًا: « إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همه »[1].

قيل للربيع بن خثيم: « ما نراك تغتاب أحداً، فقال: ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ منها إلى ذم غيرها »[2].

وعن عون بن عبد الله: قال: «ما أحسب أحداً تفرغ بعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه »[3].

قال الأعمش: « سمعت إبراهيم يقول: إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلّم فيه إلا مخافة أن أُبتلى بمثله »[4].

وقال بعضهم: «أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس»[5].

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ١٤٦).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٢٢٠).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/٢٤٩).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي، (٩/١١٨) رقم (٦٣٥٣).

(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٢) .

المطلب الرابع

أقسام الانشغال بعيوب الناس

الأصل في الانشغال بعيوب الناس أنَّه محرم شرعًا، منهيٌّ عنه للأدلة السابقة، غير أنَّ هناك بعض الصور قد تقتضي المصلحة جوازها، وعليه فيمكننا أن نقسم الانشغال بعيوب الناس إلى قسمين:

القسم الأول: الممنوع من الانشغال بعيوب الناس:

ويُقصد به تتبع عورات الناس وأسرارهم، والكشف عن معائبهم، وهذا النوع هو الذي نصَّت الأدلة الواضحة على تحريمه، ولما فيه من انتهاك لحرمة المسلم، وكشف ستره.

القسم الثاني: الممدوح من الانشغال بعيوب الناس:

ويقصد به ما كان فيه مصلحة يعود نفعها على المجتمع، من ذلك: تطهير المجتمع من أهل الشرِّ والفساد، وملاحقتهم والتضييق عليهم.

وهذا القسم قد يجب إذا اقتضته المصلحة والضرورة، كما لو كان طريقًا إلى إنقاذ نفس من الهلاك، أو القضاء على الفساد الظاهر؛ كاستدراك فوات حرمة من حرمات الله... ووجه وجوبه أنَّ ذلك من ضمن وسيلة النهي عن المنكر[1].

(١) أحكام السماع والاستماع ص(٣٥٣).

المبحث الثالث

أسباب الانشغال بعيوب الناس

الحديث في هذا المبحث وما بعده من المباحث هو امتداد لما سبقها من المباحث التي سعيت فيها أن يكون مادة من مجموعة مواد دعوية يفيد منها الداعية في بيان الأسباب وكذا الآثار ومن ثم العلاج، وذلك حرصاً على أن تكون قريبة منه، مع سهولة في الأسلوب المؤدي إلى سرعة الفهم من المدعوين، ومن ثم الأهم وهو الامتثال والتطبيق، يسر الله ذلك بمنه وكرمه.

الانشغال بعيوب الناس دون عيوب النفس له أسبابه التي تجعل المبتلى به منشغل البال بما عليه حال الناس، رغبة في الحديث عنها واستحضارها في كل مناسبة تعرض، تهكماً وتقليلاً من شأن من قيلت فيه حقيقة كانت أو افتراءً، أو تضخيماً لما هو موجود فعلاً.

ولو بحث الإنسان عن أسباب شغف البعض بهذا لوجد أن الأسباب تتفاوت بحسب حال المولع بها، وقد حاولت أن أذكر أسباباً ليست على سبيل الحصر، لكنها في نظري من أظهرها، وقد يكون غيرها مما لم يذكر ضمناً فيها ومن تلك الأسباب:

١ – ضعف الإيمان:

كلما ضعف إيمان العبد زاد انشغاله بما لا ينفع عما ينفع وهو من أقوى الأسباب الداعية لهذا الانشغال، فعن أبي برزة الأسلمي ﷺ: قال رسول الله ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا

المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته))[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « إذا نقصَت الأعمال الظاهرةُ والباطنة كان ذلك لنقصٍ ما في القلب من الإيمان، فلا يُتصوَّر مع كمال الإيمانِ الواجبِ الذي في القلب أن تُعدَم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجودِ هذا كاملاً وجودُ هذا كاملاً، كما يلزم من نقصِ هذا نقصُ هذا...»[2].

قال الشاطبي:« الأعمال الظاهرة في الشرع دليل على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منخرماً، حكم على الباطن بذلك، أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك أيضاً»[3].

ولهذا المعنى المهم يشير الحسن البصري: بقوله:« يا ابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله تعالى من كان كذلك»[4].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الغيبة،(٧/٢٤١) رقم(٤٨٨٠)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب تعظيم المؤمن،(٣/٤٤٦)رقم(٢٠٣٢)، وأحمد، (٣٣/٢٠) رقم(١٩٧٧٦)، والبيهقي، كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته (١٠/٢٤٧) رقم (٢٠٩٥٣)، وصححه الألباني في المشكاة رقم(٥٠٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٥٨٢).

(٣) الموافقات للشاطبي (١/٢٣٣).

(٤) صفوة الصفوة (٢/١٣٨).

٢- الرضا عن النفس «العُجب»:

دعوى الكمال من الأمراض التي من مكنوناتها احتقار الآخرين، والبحث عن عيوبهم ليكون هذا المبتلى هو الأصح والأسلم من كل ما يكون لدى الآخرين من معايب، وما العُجب إلا نظرة كمال سلبية في نفس ذلك المعجب بنفسه، ولذا فهو محرم، وهو كبيرة من كبائر الذنوب التي تستحق غضب الله، ومقته، وعذابه في الدنيا والآخرة[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((بينما رجلٌ يمشي في حلة تعجبه نفسُه، مُرجلٌ رأسه، يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة))[٢].

وعن عبد الله بن عمر ب قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه))[٣].

وقد فسر ابن حجر: إعجاب المرء بنفسه في الفتح فقال: « قال القرطبي[٤]: إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال، مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم »[٥].

---

(١) الكبائر للذهبي (ص: ٧٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء،(١٤١/٧) رقم (٥٧٨٩)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي،(١٤٨/٦) رقم (٥٥٨٦).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط،(٣٢٨/٥) رقم(٥٤٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان، (٢٠٣/٢) رقم(٧٣١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٤٣/٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب،(١٠٨/١) رقم (٤٥٣).

(٤) المراد بالقرطبي هنا هو: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري.

(٥) فتح الباري لابن حجر (٢٦١/١٠).

وتتابع السلف في التحذير من هذا المرض الذي يعيق صاحبه ويقلل الإفادة من الآخرين.

قال بكر بن عبد الله المزني: «إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس، ناسياً لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكِرَ بِهِ»[1].

قال أبو عثمان الحيري: « الخوف من الله يوصلك إلى الله، والكبر والعجب في نفسك؛ يقطعك عن الله، واحتقار الناس في نفسك مرض لا يداوى»[2].

قال الماوردي: «وأما الإعجاب فيخفي المحاسن ويظهر المساوئ ويكسب المذام ويصد عن الفضائل، وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حد، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من المحاسن ما انتشر، ويسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة، وبمذمة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنق ويكسبه من حقد»[3]. وما كان هذا شأنه فحري بالمسلم أن يحذر منه.

٣- الكبر:

الكبر داء خطير، وهو من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى نسيان الإنسان نفسه والانشغال عنها ادعاءً للكمال، باحتقار الآخرين، وانتقاصهم بالبحث عن عيوبهم ومكامن النقص فيهم إن وجدت، وهذه حال المتكبر كما قال تعالى عن حال فرعون وقومه: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ

(١) صفة الصفوة (٣/٢٤٩).

(٢) المصدر السابق (٤/١٠٥).

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي ص(٢٣٧).

وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾[1].

وهذا الداء وصفه ﷺ بقوله فيما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ: قال رسول الله ﷺ:((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذَرَّة من كِبْر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال: إن الله جميلٌ يحب الجمال، الكبْر بَطْر الحق و غَمْط الناس))[2].

قال النووي: « فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق »[3].

٤- ستر عيوب النفس بذكر عيوب الآخرين:

يسعى غير الموفقين إلى ستر عيوبهم بدلاً من الانشغال بالسعي لإصلاحها وذلك بذكرهم لعيوب الآخرين، جاعلين ذلك حيلاً دفاعية، وقد يزيدون على ذلك بحيلة الإسقاط،وذلك بإسقاط أخطائهم على الآخرين، وكلما كثرت عيوب أولئك الغير الموفقين كثر تتبعهم لعيوب الناس.

وقد عاب رجل رجلاً عند بعض الأشراف فقال: « استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس؛ لأن طالب العيوب يطلبها بقدر ما فيه منها »[4].

---

(١) سورة المؤمنون الآية:(٤٥-٤٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (٦٥/١) رقم (٢٧٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (٩١/٢).

(٤) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (٢٠٣/٥).

ولذلك فإن من الشين في حق الإنسان هذه الصفة الذميمة التي تدل على نقص في العقل كما قال الشاعر ابن الإفرنجية:

قبيح من الإنسان ينسى عيوبه ... ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره ... و فيه عيوب لو رآها بها اكتفى[1]

وقال الشاعر:

شر الورى من بعيوب الناس ... مثل الذباب يراعي موضع العلل[2]

(١) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار ص (٦٠).

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/٣٧٧).

المبحث الرابع

آثار الانشغال بعيوب الناس

الانشغال بعيوب الناس له آثار خطيرة وجسيمة على الفرد والمجتمع، ومن هذه الآثار:

١ – العداوة والبغضاء:

وهو أمر عظيم وخطير، حيث إن الانشغال بعيوب الآخرين وتتبع عوراتهم يوجب البغض والعداوة، والمسلم مأمور بالولاية والمحبة للمؤمنين.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «نهى الله عن كثير من الظن السيئ بالمؤمنين حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1] وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكالانشغال بعيوب الناس الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة، فإن بقاء الانشغال بعيوب الناس بالقلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي ويفعل ما لا ينبغي وفي ذلك أيضاً إساءة ظن بالمسلم وبغضه وعداوته المأمور بخلافها منه»[2].

٢ – القطيعة:

فالانشغال بعيوب الناس يؤدي إلى الشقاق والخلاف والقطيعة في صفوف المسلمين، وقد حذرنا الله من ذلك فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟

(١) سورة الحجرات الآية (١٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١٣٧/٧).

بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]، فلا ينبغي أن يجعل ذلك سبيلاً للتفرقة بين أفراد الأمة.

وقد حذرنا من ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء))[2].

وهذا الأمر تكبر خطورته إذا كان بين ذوي الأرحام والأقارب، وقد أمرنا الله بصلة الأرحام فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[3] وحذرنا من قطيعتها فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾[4].

وقال الرسول ﷺ كما في حديث جبير بن مطعم ﷺ: ((لا يدخل الجنة قاطع))[5] أي قاطع رحم.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء، (١١/٨) رقم (٦٧٠٩).

(٣) سورة النساء الآية (١).

(٤) سورة محمد الآية (٢٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، بابإثم القاطع، (٥/٨) رقم(٥٩٨٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بابصلة الرحم وتحريم قطيعتها، (٧/٨)رقم (٦٦٨٤).

فمن قطع رحمه وأقاربه وهجرهم ولم يصلهم فهو داخل في هذا الوعيد محروم دخول الجنة إلا أن يتوب إلى الله عز وجل.

٣- الغيبة والنميمة:

والغيبة أمر يترتب على الاشتغال بالعيوب، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

وفي هذه الآية يقول ابن القيم: «هذا من أحسن القياس التمثيلي فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه عن نفسه بكونه غائباً عن مجلس ذمه، كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر، فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن: كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه، ولما كان المغتاب متمتعاً بعرض أخيه متفكهاً بغيبته وذمه، متحلياً بذلك شبه بآكل لحم أخيه بعد تقطيعه...» (٢).

و عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، فقيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته))(٣).

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٢).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/١٧٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة،(٨/٢١) رقم (٦٧٥٨).

وكذا الانشغال بعيوب الناس يؤدي إلى نشر النميمة بينهم، وخطر النميمة عظيم، وقد حذرنا الله منها فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾[1].

وعن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة نمام))[2].

٤- التحقير والسخرية:

التنبيه على العيوب والنقائص، على وجه التحقير والسخرية، نهى الله عنه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم))[4].

٥- الجزاء من جنس العمل:

إن الانشغال بالناس مدعاة لأن يصاب المنشغل بمثلها، فعن ابن عمر ب أنه قال: « كان بالمدينة أقوام لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فأسكت الله الناس عنهم عيوبهم، فماتوا ولا عيوب لهم، وكان بالمدينة أقوام

---

(١) سورة القلم الآية (١٠،١١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، (١/٧٠) رقم(٣٠٣).

(٣) سورة الحجرات الآية(١١).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، (٨/١٠) رقم (٦٧٠٦).

لا عيوب لهم، فتكلموا في عيوب الناس، فأظهر الله عيوباً لهم، فلم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا »[1].

فهؤلاء الذين سكتوا لهم عيوب سترها الله، وهؤلاء الذين تكلموا كانت لهم عيوب مستورة بستر الله لها، فلما نالوا من إخوانهم أظهر الله من سريرتهم ما أظهر.

وهذا مما كان سلف الأمة يتخوفون منه، قال الأعمش: «سمعت إبراهيم يقول: إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلّم فيه إلا مخافة أن أُبتلى بمثله»[2].

قال الشاعر المنتصر بن بلال الأنصاري:

لا تلتمس مساوي الناس ما ستروا فيهتك الناس ستراً من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا[3]

٦- الاستدراج بنسيان عيوب النفس:

إذا انشغل الإنسان بعيوب الآخرين فهذا مدعاة لأن يكون مستدرجاً فينسى عيوب نفسه، قال السري القسطي: « من علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس»[4].

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٢٧٦) رقم(٤٨٣٠).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، (٩/١١٨) رقم (٦٣٥٣).

(٣) انظر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص (١٢٨) .

(٤) صفة الصفوة (٢/٣٧٦).

المبحث الخامس

الأسباب العاصمة من الوقوع في الانشغال بعيوب الناس

هذه بعض الأسباب التي أراها بإذن الله عاصمة من أيقع المسلم في هذا الداء الذي يضر المسلم في دينه ودنياه، وهذه الأسباب ليست على سبيل الحصر، ولكن لعل فيها جمعاً لأسباب متفرقة لأن التفصيل في هذا يخرج البحث عن طبيعته، ومن تلك الأسباب:

١- السعي لتزكية النفس:

تزكية النفس بتطهيرها من الذنوب والمعاصي وتحليتها بالأعمال الصالحة لتسعد بالدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[١].

قال السعدي: «وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها»[٢].

---

(١) سورة الشمس الآية (٩-١٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧/٦٣٤،٦٣٣).

وتزكية النفس مطلب نبوي فكيف بغيره من البشر فقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام كما في حديث زيد بن أرقم ﷺ:((اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها))[1].

بهذا يتضح أن الانشغال بتزكية النفس شاغل عن النظر في عيوب الآخرين، إذ من وسائل التزكية إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى، وحسن المتابعة لسيد المرسلين ﷺ، والبعد عن فضول اللسان والكلام والنظر وغيرها مما يتعارض مع تزكية النفس، والسعي للوصول للكمال في طاعة الله سبحانه وتعالى.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: « عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء»[2].

والساعون لتزكية نفوسهم تجدهم ما إن يمسهم طائف من الشيطان يزين لهم ذكر عيوب الآخرين إلا ويرجعون متذكرين حالهم وتقصيرهم فيلجموا ألسنتهم عن الخوض في عيوب الآخرين.

قال ابن عباس ب:«إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك»[3].

وهذا المعنى المهم هو الذي وعاه سلف الأمة فوجدوا في أنفسهم عن الآخرين شغلاً.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ بالله من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، (٨/٨١) رقم (٧٠٨١).

(٢) أخرجه بن أبي الدنيا في الصمت، (١/١٣٣) رقم(٢٠٣) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٩/١١٠) برقم (٦٣٣٤).

قيل للربيع بن خيثم:« ألا تذكر الناس؟ فقال: ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ من ذمها إلى أن أذم الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس و أمنوه على ذنوبهم»[1] .

٢- الانشغال بإصلاح القلب:

عندما يسعى المسلم لتزكية نفسه، سيبدأ أولاً بإصلاح قلبه؛ إذ هو الملك المؤثر على سائر الأعضاء، وكما روى النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:((ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))[2].

قال ابن حجر: «وخص القلب بذلك؛ لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه»[3].

وهذه الأهمية للقلب هي الدافعة إلى إفراده بالذكر، فعن سفيان بن دينار: قال:« قلت لأبي بشر: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً قلت: ولم ذاك ؟ قال: لسلامة صدورهم»[4].

---

(١) الورع للإمام أحمد (٧٤)، شعب الإيمان للبيهقي (١٠٠/١٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (٢٠/١) رقم (٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (٥٠/٥)رقم (٤١٧٨).

(٣) فتح الباري (١٢٨/١).

(٤) انظر كتاب الزهد لهناد بن السري (٢/ ٦٠٠).

يقول ابن القيم: «فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها، وبأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابّه، متجنبة لمناهيه ومساخطه»[1].

إن المنشغلين بإصلاح قلوبهم من صفاتهم ما ذكره الله بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾[2] ويدركون حقيقة قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[3].

٣- إشغال النفس بالطاعات:

قد امتدح الله عز وجل أولي الألباب الذين يشغلون أنفسهم بالطاعات في كل أحوالهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[6]، فأولوا الألباب في شغل دائم بالطاعات، مستغلين أوقات

---

(١) زاد المعاد(٤/٧).

(٢) سورة الفرقان الآية (٧٢).

(٣) سورة الإسراء الآية (٣٦).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٩١).

(٥) سورة آل عمران الآية (٤١).

(٦) سورة الحجر الآية (٩٩).

فراغهم بالاجتهاد في الطاعة والنصب والتعب فيما يقرب إلى الله تعالى، ممتثلين قول الله جل وعلا: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾[1]، فليس عندهم من فراغ ينشغلون به في تتبع عورات غيرهم.

٤ - إدراك خطورة اللسان:

جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تحذر من خطر اللسان، منها قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4].

وعن بلال بن الحارث المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه))[5].

وقد قال النبي ﷺ لمعاذ ﷺ: ((وهل يَكُبُّ الناس على مناخرهم في

---

(١) سورة الشرح الآية (٧-٨).

(٢) سورة ق الآية (١٨).

(٣) سورة الاسراء الآية (٣٦).

(٤) سورة النور الآية (٢٤).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، (١٣٧/٤)رقم (٢٣١٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

النار إلا حصائدُ ألسنتهم))[1].

فاللسان خطره عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت ولهذا قال النبي ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت))[2] .

٥- النصيحة في السر دون العلن:

ومما يعين على تجنب الانشغال بعيوب الناس بذل النصيحة في السر دون العلن؛ لأن الناصح غرضه إصلاح العيب وليس إشاعة عيوب من ينصح له لكي يَحُطَّ من قدره، أو لكي يُطْلِع الناس على عيوب خفيَت عن الآخرين.

كما قال الإمام الشافعي:

تعمَّدني بنصحك في انفرادٍ ... وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوعٌ ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني وعصيت أمري ... فلا تجزع إذا لم تلق طاعة[3]

٦- تحقيق معنى الأخوة الصادقة:

الأخوة الإسلامية هدف سعى الإسلام إلى تحقيقه بين أتباعه حتى يشعروا بروح الجسد الواحد الذي يفرح جميعاً، ويتألم جميعاً، ولن يتمكن كل عضو أن يعيش الضراء والسراء منفرداً، تلك حقيقة الأخوة في الإسلام كما روى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:((مثل المؤمنين في

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة،(٤/٣٠٨) رقم (٢٦١٦)وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان، (٨/١٠٠)رقم (٦٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت، (١/٤٩) رقم(١٨٢).

(٣) ديوان الإمام الشافعي ص (٧٤).

توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى))[1].

وإن من مقتضيات هذه الأخوة ما رواه أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[2].

وإن من محبة الإنسان لنفسه أن لا يرى فيها عيوباً، فكان حرياً به أن يكون لأخيه كما روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:((المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه))[3].

قال الشاعر كثير عزة:

ومن لا يُغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتبٌ

ومن يتتبع جاهداً كل عثرةٍ يجدها ولا يسلم له الدهر

بهذه المعاني الجميلة تكون حقيقة الأخوة، وإن بعض الإخوة على إخوانهم ظلمة يبحثون عن زلاتهم ويجعلونها عورات يفرحون بنشرها بين الملأ متناسين حقيقة قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (٨/١٠) رقم (٦٠١١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٨/٢٠) رقم(٦٧٥١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه،(١/١٢) رقم(١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه،(١/٤٩) رقم (١٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب المسلم مرآة أخيه، (١/٩٣)رقم (٢٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع،(٢/١١٣٠)رقم (٦٦٥٦).

(٤) انظر غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/٢٠٥).

(٥) سورة الحجرات الآية (١٠).

فهؤلاء يصدق فيهم قول الشاعر قعنب بن أم صاحب:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا مني وما سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا[1]

وعلى هذا فإن من لوازم الأخوة المحبة والنصح والذب عن عرضهم في الغيبة، وعدم البحث عن زلاتهم ومعايبهم، ومنشأ ذلك كله الاعتدال في المحبة مع الاخلاص فيها.

وكما أقر الإسلام كل المعاني المحققة للأخوة فإنه نهى عما يضادها من البحث الدقيق عن عورات المسلمين، والتجسس قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

قال الطبري: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ «ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره»[3].

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١٠١٣/١).

(٢) سورة الحجرات الآية (١٢).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٤٧/٢١).

وقال البغوي: «قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ التجسس: هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها»[1].

وقال القرطبي: ومعنى الآية: خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله[2].

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٧/٣٤٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٣٣).

الخاتمة

بعد حمد الله وتوفيقه خلصت في هذا البحث إلى النتائج التالية:

١- أهمية الحديث والكتابة في موضوع الانشغال بعيوب الناس نظراً لانتشار هذه الظاهرة بين الناس في مجالسهم .

٢- أن من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت لتحقيق مصالح العباد والبلاد؛ تحريم النيل أو الانتقاص من أعراض المسلمين، وتتبع عوراتهم.

٣- أن الخطأ صفة ملازمة للبشر.

٤- الانشغال بعيوب النفس وإصلاحها شاغلٌ عن الانشغال بعيوب الناس.

٥- الدعاة إلى الله هم أولى من ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره، إذ هم موضع القدوة والتأثير.

٦- أن الأصل في الانشغال بعيوب الناس أنَّه محرم شرعًا، ومنهيٌّ عنه.

٧- انشغال الدعاة بنشر عيوب بعضهم مدعاة إلى عدم القبول منهم جميعاً، أو تحويل المجتمع المدعو إلى فسطاطين، وهذا مما نهى الله عنه ونهى عنه ورسوله ﷺ.

٨- أن السلف الصالح ﷺ التزموا منهج الانشغال بعيوب النفس، وحذروا من الانشغال بعيوب الناس .

٩- الآثار السلبية للانشغال بعيوب الناس كثيرة وخطيرة على المجتمع.

١٠- علاج هذه الظاهرة باستشعار مراقبة الله عز وجل وتحقيق معنى الأخوة الصادقة والتي من لوازمها ستر عيوب الآخرين مع التوجيه والإرشاد وإسداء النصح لهم.

والحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على أفضل المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

المصادر والمراجع

١. أحكام السماع والاستماع، لمحمد معين الدين بن بصري، الطبعة الأولى، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ .

٣. الآداب الشرعية والمنح المرعية، لعبد الله محمد بن مفلح المقدسي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ،١٩٩٩م.

٤. أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٥. الأدب المفرد الأدب، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٧. الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف موسى، الطبعة الثانية، مصر.

٨. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٩. البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٠. تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١١. تفسير القرآن العظيم،لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.
١٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر، مصر،١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
١٤. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣ م.
١٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
١٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م .
١٧. درر الحكام شرح غرر الأحكام، لمحمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا خسرو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

١٨. ديوان الإمام الشافعي، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي،الطبعة الخامسة، دار المعرفة بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

١٩. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لمحمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.

٢٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الطبعة السابعة والعشرون، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٥هـ -١٩٩٤م

٢١. الزهد، لأبي السَّرِي هناد بن السري، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الطبعة الأولى، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ.

٢٢. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٣. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، الطبعة: الأولى، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٤. سنن البيهقي، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٥. سنن الترمذي، لأبي محمد بن عيسى بن سَوْرة، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م .

٢٦. سنن الدارمي، لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧م.

٢٧. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق:شعيب الأرناؤوط، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٢٨. شرح ديوان الحماسة للتبريزي، لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، تحقق: غريد الشيخ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٩. شرح نهج البلاغة، لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٠. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِردي البيهقي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣١. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٣٢. صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٣. صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٤. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، دار الجيل، بيروت .

٣٥. صفة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٣٦. الصمت وآداب اللسان، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠ هـ.
٣٧. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٣٩. فتح القدير، لمحمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.
٤٠. الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، الديلميّ، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٤١. كتاب الكبائر، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت.
٤٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.
٤٣. مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٤٤. مدارج السالكين، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣ م.

٤٥. مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٤٦. المشكاة لألباني مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي،تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ،١٩٨٥م.

٤٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة،دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٤٨. معجم الأوسط المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الناشر، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٤٩. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٠. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية،دمشق بيروت،١٤١٢ هـ.

٥١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الطبعة الثانية دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ .

٥٢. موارد الظمآن لدروس الزمان، لعبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان الطبعة الثلاثون، ١٤٢٤ هـ

٥٣. الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٤. نفح الأزهار في منتخبات الأشعار، لشاكر بن مغامس بن محفوظ بن صالح شقير البتلوني، تحقيق إبراهيم اليازجي، الطبعة الثالثة، المطبعة الأدبية، بيروت،١٨٨٦م.

٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٦. الورع، لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.

البحث رقم (٥)

آثار رعاية حقوق الحيوان في الإسلام على دعوة غير المسلمين

إعداد

د. خولة بنت يوسف المقبل

مقدمة

إن الحمد لله،نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُالله ورسوله....أما بعد

فإن الكثير من آيات القرآن تعرّضت لذكر الحيوانات، إما مذكّراً ببديع خلقه سبحانه، أو منوهاً بواسع منّه وكرمه على الإنسان بتسخير هذه الحيوانات له، أو مشيراً إلى سابغ نعمه وآلائه عليه بجعلها غذاءً له وكساءً ومالاً ومتاعاً، إلى غير ذلك، ويكفي أن نشير إلى أن هناك سوراً في القرآن سميت بأسماء بعض الحيوانات، كسورة البقرة والأنعام والعنكبوت والفيل والنحل والنمل، ثم إن لهذه الحيوانات حظّها في سكنى الأرض والتنقل فيها والتمتع بخيراتها من ماء ومرعى كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾[1] ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[2]، ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾[3]، إذن للحيوان الحق في سكنى الأرض والتمتع بنعم الله وخيراته، فلا يجوز التضييق عليه ولا يجوز كذلك حرمانه من نعم الله في أرضه.

---

(١) سورة النازعات، الآية : ٣٠ - ٣٣.

(٢) سورة عبس، الآية: ٣١ - ٣٢.

(٣) سورة يونس ، الآية: ٢٤.

إن حماية الحيوان ليست قاعدة ولا نهجا من صنع الغرب ولا هي دليل على شديد رحمتهم ومزيد عنايتهم بمن حولهم من حيوان وبيئة ونبات بل سبقهم بذلك الدين الإسلامي بالدعوة لحماية الحيوان ورعايته وعدم إيذاءة بل والإحسان إليه وكان من أسباب محو الذنوب عن بعض من اقترف خطايا عظاما العناية بالحيوان.

أهمية الموضوع:

يمكن القول إن أهمية هذا الموضوع تزداد مع زيادة صدور اللوائح والقوانين المقننة لحقوق الحيوان في الغرب مع وجود هذا التقنين في الدين الإسلامي والحاجة إلى جمعه وإبرازه فحقوق الحيوان مستقاة من القرآن الكريم وهدي المصطفى ولهذا فالعمل بها عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه فقد أهتم الإسلام بحقوق الحيوان وحث عليها .

من أجل ذلك ولأهمية حقوق الحيوان لدى غير المسلمين وكون هذا النهج مما اعتنى به الدين الإسلامي عقدت هذه الدراسة والتي تهدف إلى:

التعرف على أثر رعاية حقوق الحيوان على دعوة غير المسلمين من خلال:

١. إبراز أهمية رعاية حقوق الحيوان في الإسلام.
٢. معرفة تأثير دعوة الإسلام إلى العناية بالحيوان على غير المسلمين .
٣. التعرف على أهم الشبه التي يثيرها بعض الجهلة حول جهل المسلمين بالعناية بالحيوان.

٤. التوصل إلى آثار رعاية حقوق الحيوان في الإسلام على غير المسلمين من خلال تقصي بعض ما يكتب حول هذه القضية.

أسباب اختيار الموضوع:

١- عدم وجود دراسة علمية متخصصة في حقوق الحيوان واثرها في دعوة غير المسلمين .

٢- اعتقاد كثير من الناس أن للغرب السبق في رعاية حقوق الحيوان

٣- تفنيد الأقاويل التي تصف المجتمع المسلم بالعنف مع الحيوان.

منهج الدراسة:

سوف أستخدم في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي؛ وهو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها [(١)]. والمنهج التاريخي وهو إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها وأخيراً تأليفها ليتم عرض الحقائق أولاً عرضا صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة[(٢)].

(١) انظر: البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها، محمد الحيزان(ط١، ١٤١٩هـ)، ص١٦. وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن الميداني، (دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ)، ص١٨٨.

(٢) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح العساف، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ)، ص٢٨٢.

تساؤلات الدراسة:

يتضح مضمون هذه الدراسة من خلال إجابتها على التساؤلات التالية:

- ما المقصود بحقوق الحيوان.
- من هم غير المسلمين.
- ما علاقة حقوق الحيوان بالدعوة إلى الله.

تقسيمات الدراسة:

- المقدمة وتشتمل على:
- أهمية الدراسة
- أسباب الاختيار
- أهداف الدراسة
- تساؤلات الدراسة
- منهج البحث
- تقسيم الدراسة

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات:

المطلب الأول: مفهوم حقوق الحيوان

المطلب الثاني: من هم غير المسلمين.

المبحث الثاني: حقوق الحيوان في الحضارات المختلفة:

المطلب الأول: حقوق الحيوان عند المسلمين

المطلب الثاني: حقوق الحيوان عند غير المسلمين

المطلب الثالث: منظمات حقوق الحيوان في العالم .

المبحث الثالث: تأثير حماية حقوق الحيوان على دعوة غير المسلمين .

المطلب الأول: الشبه المثارة حول غلظة المسلمين في التعامل مع الحيوان .

المطلب الثاني: أثر رعاية حقوق الحيوان على دعوة غير المسلمين.

الخاتمة : وتشمل أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول

مفاهيم ومصطلحات

المطلب الأول

مفهوم حقوق الحيوان

المفاهيم اللغوية لكلمة حقوق:

الحق نقيض الباطل وجمعه حقوق، وفي حديث التلبية: لبيك حقا حقا أي غير باطل، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾[1] .

قال أبو إسحق: الحق أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما أتى به القرآن وكذلك قال في قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾[2] .

وحق الأمر حقا وحُقوقا: صار حقا وثبت قال الأزهري: معناه وجب يجب وجوبا، وثبت، قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾[3] ،أي: ثبت.

وحقه وحققه: صدقه، ويقال أحققت الأمر إحقاقا: إذا أحكمته وصححته.

وحق الأمر يحقه حَقا وأحقه: كان منه على يقين.

والحق من أسماء الله الحسنى وقيل من صفاته قال ابن الأثير هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته. والحق ضد الباطل[1]. وقد ورد لفظ الحق

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية: ١٨.

(٣) سورة القصص ، الآية: ٦٣.

كثيرا في القرآن الكريم، فقد جاء في تسع وخمسين سورة وتكرر بصيغ مختلفة في سبعة وثمانين ومئتي موضع، غير أن المراد على سبيل التعيين في كل مرة يختلف باختلاف السياق الذي وردت فيه الآيات ولكنها لا تخلو من الدلالة على الثبوت والمطابقة للواقع [٢].

المفاهيم اللغوية لكلمة حيوان:

الحيوان: اسم يقع على كل شيء حيّ، وسمي الله عز وجل الآخرة حيوانا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[٣]

قال قتادة هي الحياة. وكل ذي روح حيوان والجمع والواحد فيه سواء. قال: والحيوان عين في الجنة، وقال: الحيوان ماء في الجنة لا يصيب شيئا إلا حيي بإذن الله عز وجل والحيوان أيضا جنس الحي وأصله حييان فقلبت الياء التي هي لام واوا استكراها لتوالي الياءين لتختلف الحركات، ويطلق على كل نفس أو دابة[٤].

ولفظ الحيوان المرادة في هذا البحث: الدواب من غير الإنسان.

المفاهيم الاصطلاحية لكلمة حقوق:

من الملاحظ أن فقهاء الشريعة الإسلامية مع كثرة استعمالهم لمصطلح الحق،إلا أنهم لم يقوموا بتحديد تعريف له ولم يعنوا بذكر حد أو رسم للحق وكأنهم رأوه واضح المعنى فاستغنوا عن تعريفه[٥].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور(دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ)، ص٢٥٧.

(٢) حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق والضياع، محمود إسماعيل، (دار مجدولاوي، عمان، ط١، ٢٠٠٢م)، ص١٩.

(٣) سورة العنكبوت ، الآية: ٦٤.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ٤٢٧/٣.

(٥) مفاهيم الحق والحرية في الإسلام والفقه الوضعي، عدي زيد الكيلاني، (دار البشير عمان، ط١، ١٩٧٧م)، ص١٠٠. وانظر الحق والذمة، علي الخفيف، (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٤٥م)، ص٣٦.

وقد عُرف الحق بأنه: اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفا[١].

يقول الجرجاني: الحق: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره والشيء الحق أي الثابت حقيقة[٢]. عرفه الدكتور محمد يوسف موسى بأنه: (مصلحة ثابتة للفرد أو المجتمع أو لهما، يقررها الشارع الحكيم)[٣].

وعرفه الشيخ علي الخفيف بأنه: "ما ثبت بإقرار الشارع وأضفى عليه حمايته"[٤].

والحق: هو الشيء الذي تعلق به مصلحة خاصة لفرد من الأفراد دون غيره أو تعلق به مصلحة عامة لعموم المجتمع، بحيث لا يختص بتلك المصلحة فرد بعينه[٥].

والحقوق في الإسلام ثلاثة أنواع:

- حقوق لله تعالى: وهي الحقوق المقررة من الشارع الأعلى لحماية ضروريات المجتمع فلا يجوز للعبد اسقاطها، كالحدود الشرعية.
- حقوق العباد: وهي الحقوق المقررة من الشارع لحماية حقوق المخلوق، وهذه الحقوق لايجوز لولي الأمر إسقاطها أو العفو عنها. ويدخل في هذه الحقوق حقوق الحيوان .
- حقوق مشتركة: وهي مافيها حق للخالق وفيها حق خاص لحماية حقوق المخلوق[٦].

---

(١) الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، مصطفى الزرقاء، (مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٤٨م)، ٢/١١.

(٢) التعريفات، الجرجاني، (دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ)، ص١٢٠.

(٣) الفقه الإسلامي، محمد يوسف، (دار الفكر العربي، ط١، ٢٠٠٩)، ص ٢١٠.

(٤) الملكية في الشريعة، علي الخفيف، (دارالفكر، ٢٠١٣، ط١) ص٦.

(٥) معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب مصطفى سانو (دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ)، ص١٧٩.

(٦) انظر: معايير حقوق الإنسان، دراسة مقارنة بين إعلان حقوق الإنسان في الإسلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، عيسى الشامخ، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ)، ص١٤.

المفاهيم الاصطلاحية لكلمة الحيوان:

مجموعة أساسية من الكائنات الحية تصنف باعتبارها مملكة حيوية مستقلة باسم مملكة الحيوانات. تتصف الحيوانات بشكل عام بأنها عديدة الخلايا، قادر على الحركة والاستجابة للمتغيرات البيئية، وتعتبر كائنات مستهلكة كونها تتغذى على الكائنات الأخرى من نباتات وحيوانات[١].

والحيوان: جنس الحيوان البري والبحري والماشي والزاحف والطائر، وغير ذلك[٢].

وقد عرف مصطلح حقوق الحيوان بأنه: جميع المصالح الاساسيه للحيوانات والتي يجب أن تأخذ نفس الاعتبار والأهمية التي تأخذها المصالح المماثلة في البشر[٣].

وبعد هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية للحقوق والحيوان وبعد التعرف على أن مصطلح (حقوق الحيوان) مصطلح إسلامي تداوله العلماء منذ فجر الرسالة، وليس مصطلحاً غربياً كما يدعيه البعض[٤] . نخرج بتعريف إجرائي لمصطلح حقوق الحيوان: وهي الحقوق المقررة من الشارع لحماية حقوق الحيوان وهذه الحقوق ثابته باقية لا يتم إسقاطها أو العفو عنها . ويدخل في هذه الحقوق حقوق الحيوان .

---

(١) http: //ar. wikipedia. org/wiki/.، حيوان، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ١٤ أكتوبر ٢٠١٤ الساعة ١٣: ٣٠.

(٢) امجد العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق عبدالجبارالزكار، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق – دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م)، ج٢، ص٢٥٩.

(٣) "Animal Rights. " Encyclopædia Britannica. 2007، حقوق الحيوان، ويكيبيديا، ٢٥ اغسطس ٢٠١٤، ١٥: ٢٣.

(٤) حقوق الحيوان في الإسلام دراسة فقهية مقارنة، توفيق العمري، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة ذمار، ٢٠٠٩م.

المطلب الثاني

من هم غير المسلمين

المسلم مسؤول عن تبليغ الإسلام إلى غير المسلمين ودعوتهم إليه بكل السبل المتاحة والمشروعة، ولرعاية حقوق الحيوان أثره البالغ في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام من ناحية أن غير المسلمين باتجاهاتهم وثقافاتهم وعاداتهم يؤثرون على المسلمين،وكذا من ناحية القناعة الذاتية لدى غير المسلم بأن منهج حقوق الحيوان ليس بأمر ممتدح من الغرب فقط بل هو أساس واضح من أساسيات الدين الإسلامي ويعد سببا في الثواب والعقاب الإلهي ولنا أن نتعرف على المراد بكلمة غير المسلمين وأنواعهم .

لفظ غير المسلم يصنف على عدة أساسيات[1] وسنعتمد في هذا البحث أصناف غير المسلمين بالنسبة لدياناتهم وهم على هذا الأساس ينقسمون إلى قسمين:

الأول: أهل الكتاب، والثاني: المشركون وهم كل من يدين بالشرك والكفر وليس لهم كتاب سماوي.

فأهل الكتاب هم من اعتقدوا دينا سماويا ولهم كتاب منزل كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وزبور داود[2].

---

(١) يمكن الرجوع إلى هذه التصنيفات في كتاب دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله اللحيدان.

(٢) حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة النعمان، محمد أمين، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ)، ٣/٢٧٠.

وبغض النظر عن أنواعهم إذ ليس هذا محور دراستنا فإن كل من يدين بدين غير دين الإسلام فهو من المدعوين في هذه الدراسة.

فلفظة غير المسلم تشمل كل من يعتقد بدين آخر غير دين الإسلام.

المبحث الثاني

حقوق الحيوان في الحضارات المختلفة

المطلب الأول

حقوق الحيوان عند المسلمين

منح الخالق للحيوان حق العيش والسكنى وأعطى الإسلام للحيوان حقوقه كافة بما يحقق المصلحة للحيوان، والإنسان، وكل ذلك بدون إفراط أو تفريط. فإن الحضارة الإسلامية هي أول حضارة بشرية تقر مبدأ حقوق الحيوان وتلزم الناس بهذا المبدأ.

إن مصادر حقوق الحيوان في الإسلام متعددة منها: الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة والتي تسعى دائما للصالح العام، والقياس فالحيوان حاله حال أي مخلوق له حقوق كما أن العرف العام يضمن للحيوان حقوقه كاملة[1].

لم تقتصر توجيهات الإسلام على حفظ حقوق الحيوان المادية، بل شملت الحفاظ على مشاعره، وهذا يظهر جلياً في تحريم لعن الدواب، وتحريم ذبح الحيوان أمام الآخر[2].

وفي هذا المطلب سنتحدث عن حقوق الحيوان في القرآن الكريم والسنة النبوية وطرق تعامل الصحابة مع الحيوان من خلال سيرهم وأقوال بعض العلماء في ذلك .

---

(١) للاستزادة: يمكن الرجوع إلى بحث أحمد القراله والذي تحدث عن هذه المصادر بالتفصيل.

(٢) انظر: حقوق الحيوان في الإسلام دراسة فقهية مقارنة، توفيق العمري، رسالة ماجستير، مرجع سابق.

ينظر الإسلام إلى عالم الحيوان إجمالاً باهتمام لأهميته في الحياة ونفعه للإنسان، ولكونه قبل ذلك آية من آيات عظمة الخالق وبديع صنعه؛ ولذلك كثر الحديث عن الحيوان وحقوقه في كثير من مجالات التشريع الإسلامي، حتى إن عددًا من السور في القرآن الكريم جاءت بأسماء الحيوانات، مثل: سورة البقرة، والأنعام، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والفيل[1].

وينص القرآن كثيرًا على تكريم الحيوان، وبيان مكانته، وتحديد موقعه لخدمة الإنسان؛ فبعد أن بيَّن الله في سورة النحل قدرته في خلق السموات والأرض، وقدرته في خلق الإنسان، أردف ذلك بقوله: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

كما بين الله تعالى في القرآن بديع صنعه وإعجازه في خلق الحيوان حيث قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

---

(١) من أسرار الحيوان في التعبير القرآني، طالب اسماعيل، (جمعية الدعوة، ليبيا).

(٢) سورة النحل ، الآية: ٥ – ٨.

(٣) سورة ، الآية النور: ٤٥.

وكذا من أعجازه في الخلق عموما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2].

كما جعل رزق الحيوان على الله حالها حال البشر قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3]

كما بين أن الحيوان حالها حال جميع المخلوقات تعبد الله وتتكلم كما لها فضل على بعض البشر حيث فضلها الله على كثير من الناس[4].

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[5].

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾[6].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة الشورى ، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الجاثية ، الآية: ٤.

(٣) سورة العنكبوت ، الآية: ٦٠.

(٤) انظر: خطبة حقوق الحيوان في الإسلام، ناصر محمد الأحمد، http: //www. islamdoor. com/k/147. htm.

(٥) سورة الأنعام ، الآية: ٣٨.

(٦) سورة النمل ، الآية: ١٦.

(٧) سورة الأعراف ، الآية: ١٧.

كما ذُكر الحيوان في أكثر من موضع دلالة على أهمية هذا المخلوق وعظم حقه وأن له من الحقوق ما لغيره من المخلوقات[1].

وقد دعى الرسول الكريم إلى الاحسان للحيوان في حال ذبحه فقد أجاز الإسلام ذبح الحيوان أو قتله لمنفعة مقصودة كمنفعة الأكل أو مصلحة دفع الأذى لكنه قيد ذلك بإحسان القتل أو الذبح فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته)[2].

كما كفل حقه في العيش والحياة وحرمة قتله بدون منفعة أو دفع مضرة وانهاء حياته بتعذيب أو حبس وقد إجاز العلماء ترك بعض الواجبات عند تعارضها مع الحفاظ على حياة الحيوان كمن وجد ماء لا يكفي إلا لوضوئه وكان هناك حيوان محترم مضطر لذلك الماء فإن الواجب على صاحب الماء التيمم وإيثار الحيوان بالماء، ولو كان صاحب الماء ميتا فإنه يتيمم كذلك ويدفع الماء إلى الحيوان ليشرب ويعلل الفقهاء ذلك بالمحافظة على حياة الحيوان. كذلك نص الفقهاء على وجوب الإفطار لإنقاذ حياة الحيوان كما يجوز التخلف عن صلاة الجمعة والجماعة لإنقاذ

(١) يمكن الرجوع إلى الآية رقم: ٢٦٠ من سورة البقرة، و ٤٩ من آل عمران، و١١٠ من المائدة، و٣٦من يوسف، و٤١ من يوسف، و٧٩من النحل، و٣١من الحج، و١٦ من النمل و٢٠ من النمل كلها ذكر فيها الحيوان والطير على سبيل المثل.

(٢) رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح وتحديد الشفرة، ٣٠٨٨/١٩٥٥.

الحيوان من الهلاك جاء في شرح البهجة في ما يباح فيه ترك الجمعة والجماعة:(حفظ الآدمي يحتمل أن الحيوان المحترم كالآدمي)[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار. قال فقالوا: لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض)[2].

فانظر هذه كيف دخلت النار بسبب تعذيبها لهذا الحيوان ومنع الماء والطعام حتى ماتت فكل من لديه شيئ منه وجب أن يحسن إليه ويرعاه كما يرعى كل صاحب روح[3].

وقد تواترت النصوص على فضل الإحسان إلى الحيوان والرفق به. نذكر من ذلك، حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم

(١) انظر: الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي، الدردير، (دار إحياء التراث، بيروت)، ١/١٦٥. و أسنى المطالب، الشربيني، ١/٤٢٩. و شرح البهجة، الأنصاري، ١/٤١١. وحقوق الحيوان وضماناتها في الفقه الإسلامي، أحمد القرالة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد ١، ١٤٣٠هـ.

(٢) رواه البخاري في صحيح البخاري، كِتَاب الشُّرْبِ والْمُسَاقَاةِ، دنت مني النار حتى قلت أي رب وأنا معهم فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة، ٢٢٣٦/٨٣٤.

(٣) حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة، يسري السيد، (دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ)ص٧١٨.

أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله إن لنا في البهائم أجرا ؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر»[1]

كما نهى عليه الصلاة والسلام عن صبر البهائم[2].فقد روى زيد بن أنس بن مالك قال: دخلت مع جدي أنس بن مالك دار الحكم بن أيوب فإذا قوم نصبوا دجاجة يرمونها قال: فقال أنس: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُصبر البهائم)[3].

فلا يجوز تعذيب الحيوان، أخرج الشيخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً. فلا يخفى ما تفتق عنه فكر الانسان المعاصر، المتسربل برداء المدنية المزيفة، المتحضر بحضارة القرن العشرين أن يتلذذ بمشاهدة مصارعة الثيران أو مصارعة الديكة، ومثله أكلة دماغ القردة في الفلبين، أو ما يقدم في بعض مطاعم اليابان من السمك المقلي أو المشوي وهو لايزال يتقلب حياً في الصحفة الى ذلك الزبون المفترس[4].

كما نهى الرسول الكريم عن إرهاق الحيوان في العمل وهذا من أعظم حقوق الحيوان والذي يجهله كثير من البشر فعن سهل بن معاذ عن أبيه

---

(١) رواه مسلم، في صحيح مسلم، كِتَاب السَّلَامِ، بَاب فَضْلِ سَقْيِ الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا، بَاب فَضْلِ سَقْيِ الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَ، ٤١٦٢ / ١٧٦١.

(٢) صبر البهائم: أن تحبس وهي حية لتقتل برمي ونحوه. والنهي هنا للتحريم.

(٣) رواه مسلم في صحيح مسلم - كِتَاب الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنْ الْحَيَوَانِ - بَاب النَّهْيِ عَنْ صَبْرِ الْبَهَائِمِ، باب النَّهْيِ عَنْ صَبْرِ الْبَهَائِمِ، ١٩٥٦/٣٦١٦.

(٤) انظر: خطبة ناصر الأحمد، حقوق الحيوان في الإسلام.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(اركبوا هذه الدواب سالمة وابتدعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي)[1].

فليست الدابة جمادا كالكرسي ونحوه يجلس عليه دائما أبدا وإنما نراعي أن لها إحساسا ولا بد لها من راحة واستجمام [2].

ومن الصور التي ذكرها الفقهاء في هذا المجال:

لو استأجر دابة فحملها المؤجر فوق طاقتها لا يجوز للمستأجر الرضا بذلك. وعدم جواز إجارة البهائم المريضة والزمنة –ذات المرض المزمن– لأن في هذه الإجارة تكليفا للحيوان فوق طاقته[3].

كما كفل الشارع الحفاظ على حق الحيوان من ناحية أسمى وأعلى إلا وهي الحفاظ على مشاعره من أن تخدش فقد نهى عليه أفضل الصلاة والتسليم عن لطم خدود الدواب كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يحد السكين بحضرة الحيوان الذي يذبح، فمرة مر على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: ((أفلا قبل هذا! أتريد أن تميتها موتتين؟))[4]. بل إن الإسلام راعى حق الأمومة عند الحيوان، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرةً معها فرخان، فأخذنا

---

(١) رواه أحمد في مسنده، مسند أحمد – مُسْنَدُ الْمَكِّيِّينَ – اركبوا هذه الدواب سالمة وابتدعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي، ١٥٢١٢.

(٢) حقوق الإنسان، يسري السيد، مرجع سابق، ص ٧١٨.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المرداوي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت،)، ٣٤/٦.

(٤) لِزَّوَاجِر عَنْ اقْتِرَاف الْكَبَائِر – كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ – المثلة بالحيوان كقطع شيء من نحو أنفه أو أذنه ووسمه في وجهه واتخاذه غرضا وقتله لغير الأكل وعدم إحسان القتلة والذبحة، ٣٤٧.

فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرّش، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها!))[1].

وذهب فقهاء المسلمين إلى اعتبار ظلم الدابة أشد من ظلم الإنسان لأن الإنسان قادر على الدفاع عن نفسه والمطالبة بحقه ومخاصمة من ظلمه بخلاف الدابة التي لا تقدر على شيئ من ذلك[2].

ولقد اهتم الإسلام ببقاء الجنس الحيواني والحرص على عدم فنائه وما وجود المحميات في وقتنا الحاضر إلا خير دلالة على حرص الدول الإسلامية على حماية بقاء النوع الحيواني ولعل منطلق ذلك أمر الله لنبيه نوح وقت الطوفان – الذي قضى على كل من في الأرض إلا من رحم الله– بحمل الحيوانات معه في السفينة، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[3] .

وقد أثبت الفقه الإسلامي للحيوان الحق في بقاء نوعه لذلك لا يجوز قتله إو ذبحه إذا كان ذلك يؤدي إلى انقراضه وفنائه وإن من مفاخر الإسلام العظيمة أن أول محمية طبيعية عرفتها البشرية كانت في الإسلام وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة إذ لا يجوز صيدها ولا يقطع شجرها ولا يروع آمنها

(١) رواه أبو داود في سنن أبي داود – كِتَاب الْجِهَادِ، من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه قلنا نحن، ٢٦٧٥.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين، (دار الكتب العلمية، بيروت،)، ٤٠٢/٦.

(٣) سورة هود ، الآية: ٤٠.

فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حرم الله مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي ...)[1] .

والتاريخ الإسلامي عامر بذكر قصص الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وعلماء الإسلام الذين راعوا حقوق الحيوان فلم يكلفوه فوق طاقته بل فاق الأمر إلى الحرص على رعايته وحمايته وتوفير المأكل والمشرب له فسمي أبو هريرة بذلك لهرة كان يحملها معه بل وصلت بهم الرعاية إلى الإحساس بالذنب حال الإساءة إليه .

يحدث الامام الزمخشري عن نفسه أن إحدى رجليه كانت ساقطة، وكان يمشي في جارن خشب، فلما دخل بغداد سئل عن سبب قطع رجله – وكان يظن أن ذلك بسبب برد خوارزم الشديد لكنه قال: دعاء الوالدة: وذلك أني كنت في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط من رجله، فأفلت من يدي، فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي لذلك وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، يقول فلما وصلت الى سن الطلب، رحلت الى بخارى أطلب العلم، فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي، وعملت عليّ عملاً أوجب قطعها.

ويذكر التاريخ كذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير يوما وهو يتفقد أحوال الرعية فرأى رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فهاله ما رأى من إساءة بالغة في حق شاة بكماء فقال له: ويلك قدها إلى الموت قودا جميلا .

---

(١) يمكن الاستزادة من ذلك من بحث حقوق الحيوان في المجلة الإسلامية العدد الخامس. والحديث رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الأذخر والحشيش في القبر، رقم ١٣٤٩.

ومما قرره الفقهاء من حقوق الحيوان أنه إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه إذ لم تقدر على الانصراف[1] .

كما يروي ابن حكيم في سيرة الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة وأنه كتب إلى صاحب السكك أن لا يحملوا احد بلجام ثقيل ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة وكتب إلى واليه بمصر بلغني أن بمصر إبلا نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل فإذا أتاك كتابي فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل[2] .

(١) حقوق الحيوان في الإسلام، عبدالواحد بوشداق، العدد٢٤، السنة الثامنة ٢٠١٣م، مجلة حوراء.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز على مارواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، محمد بن عبدالله عبدالحكيم، تحقيق أحمد عبيد، (عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٤٠٤) ١٤١/١. انظر الاخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، السرجاني، www. rasoulallah. net.

المطلب الثاني

حقوق الحيوان عند غير المسلمين

يظهر للعامة اهتمام غير المسلمين بحقوق الحيوان بشكل كبير والقيام بإنشاء المؤسسات والهيئات التى تعنى بحقوق الحيوان وكأن لهم السبق في هذا الامر، مما جعل البعض يغتر بهم ويتصور أن لهم السبق في هذا الامر ولكن بعد تتبع الأمر في أصول ديانتهم والنظر في أناجيلهم وتوراتهم تبين لنا السبب في هذه الهبة الإعلانية لحماية حقوق الحيوان عندهم فجميع الهيئات والمؤسسات حديثة الإنشاء وذلك أن كتبهم المقدسة(المحرفة) لم نجد فيها مايدعوا إلى حماية حقوق الحيوان باعتباره مخلوق من مخلوقات الله له من الحق مالغيره من المخلوقات ولعلنا نذكر بعضا مما ورد في كتبهم المقدسة للتعرف على أصول ديانتهم والتأكد أن الإسلام له السبق في تقنين حقوق الحيوان مما له الأثر الواسع على غير المسلمين عند معرفتهم لهذا الامر:

ورد في الكتاب المقدس في عهده القديم في القسم الأول المسمى بالخليقة والناموس سفر التكوين: (وقال الله: لتخُرج الأرض خلائق حية من كل صنف: بهائم ودواب ووحوش أرض من كل صنف، فكان كذلك: صنع الله وحوش الأرض من كل صنف والبهائم من كل صنف والدواب من كل صنف ..... وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا، وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع وحوش الأرض وكل ما يدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته... فقال لهم:أثمروا واكثروا

واملأوا الأرض، وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الذي يدب على الأرض) .

وورد ايضا: أما جميع وحوش الأرض وجميع طير السماء وجميع ما يدب على الأرض من الخلائق الحية فأعطيها كل عشب أخضر طعاما)[1].

وفي القسم السابق في التكوين في قصة السقوط ذكر قصة سقوط آدم وحواء بسبب الحية التي تعتبر أحيل جميع حيوانات البرية وفي عقاب الإله لهذه الحية (فقال الرب للحية لأنك فعلت هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحوش البر على بطنك تزحفين وترابا تأكلين طول أيام حياتك...)[2].

وفي ذات السفر في النظام الجديد للعالم:

(وسيخافكم ويرهبكم جميع حيوانات الأرض وطيور السماء وكل ما يدب على الأرض وجميع أسماك البحر فهذه كلها أجعلها بين أيديكم.....أما دماؤكم أنتم فأطلب عنها حسابا من كل حيوان أو إنسان سفكها...)[3].

وقد ورد سؤال حول هل يعاقب الكتاب المقدس الحيوان غير العاقل؟ في موقع حوار الأديان[4].

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، الاصدار الثاني للعهد القديم ط٤ والاصدار الرابع للعهد الجديد الطبعة الثلاثون (جمعية الكتاب المقدس، لبنان) سفر التكوين، ٢/٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠.

(٢) الكتاب المقدس، سفر التكوين، ص٤.

(٣) المرجع السابق، ص١٠.

(٤) http: //ejabat. google. com/ejabat/thread?tid=0361617e134ff58d، هل يعاقب الكتاب المقدس الحيوان.

فكانت الإجابة:

يوجد بالكتاب المقدس نصوص عديدة يعاقب فيها الحيوان الأعجم الغير عاقل بدون أي ذنب أو جريرة بل ويتحمل الحيوان الأعجم العقاب عن خطأ صاحبة ولا نعلم هل من الحكمة أن يعاقب حيوان غير عاقل على أخطائة أو أخطاء صاحبة الإنسان العاقل والأغرب طريقة العقاب دائما للحيوان الغير عاقل تكون بكسر عنقة ولا نعلم ماهي الحكمة من ذلك

١- الحمار الذي ليست لة فدية بشاة يكسر عنقة ولانعلم ماذنب الحمار إن لم تكن لة فدية ولماذا يتحمل الحمار الغير عاقل هذة لعقوبة الجائرة بكسر عنقة بدون ذنب أو جريرة والمفترض أن يقتص من صاحبة الذي لم يقدم لة هذة الفدية؟

{ الخروج إ ١٣} {ع ١٣ ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة. وان لم تفده فتكسر عنقه. وكل بكر انسان من اولادك تفديه}.

٢- الثور الذي ينطح إنسانا يرجم ولا نعلم ما الحكمة من القصاص من حيوان غير عاقل ؟ ٢٨ واذا نطح ثور رجلا او امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه. واما صاحب الثور فيكون بريئا.

٣- العجلة الموجودة بالقرب من قتيل لا يعلم قاتلة يكسر عنقها ولا نعلم ما ذنبها؟

إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الأَرْضِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَمْتَلِكَهَا وَاقِعاً فِي الحَقْلِ لا يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ ٢يَخْرُجُ شُيُوخُكَ وَقُضَاتُكَ وَيَقِيسُونَ إِلى المُدُنِ التِي حَوْل القَتِيلِ. ٣فَالمَدِينَةُ القُرْبَى مِنَ القَتِيلِ يَأْخُذُ شُيُوخُ تِلكَ المَدِينَةِ عِجْلَةً مِنَ

البَقَرِ لَمْ يُحْرَثْ عَلَيْهَا لَمْ تَجُرَّ بِالنِّيرِ. ٤وَيَنْحَدِرُ شُيُوخُ تِلكَ المَدِينَةِ بِالعِجْلَةِ إِلى وَادٍ دَائِمِ السَّيَلانِ لَمْ يُحْرَثْ فِيهِ وَلَمْ يُزْرَعْ وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ العِجْلَةِ فِي الوَادِي.

٤-الحمار والثور يعاقبان على خطأ صاحبهما ولا نعلم لماذا يتحمل الحيوان الغير عاقل وزر الإنسان العاقل؟

{ التثنية إ ٢٨} {ع ٣١ يذبح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه. يغتصب حمارك من أمام وجهك ولا يرجع إليك. تدفع غنمك إلى أعدائك وليس لك مخلص.

{ التثنية إ ٢٢} {ع ٣ وهكذا تفعل بحماره وهكذا تفعل بثيابه. وهكذا تفعل بكل مفقود لأخيك يفقد منه وتجده. لا يحل لك أن تتغاضى.

٥- إبادة الحيوان الغير عاقل بدون أي ذنب أو جريرة بحد السيف فما ذنب الحيوان الغير عاقل؟

{ صموئيل الأول إ ١٥} {ع ٣ فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، جملا وحمارا».

{ يشوع إ ٦} {ع ٢١ وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ - حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف }.

{ صموئيل الأول إ ٢٢} {ع ١٩ وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف: الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم }.

٦- حرمان الحيوان الأعجم من الماء يوم كامل بدون أي ذنب أو جريرة فما ذنبة أن يحرم من الماء يوم كامل؟

{ انجيل لوقا إ ١٣} {ع ١٥ فأجابه الرب: «يا مرائي ألا يحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه؟ }.

هذه بعض النماذج على عقيدة غير المسلمين في شأن الحيوانات فهم يرون أن للإنسان السيادة التامة عليها في أصل الخلق، فليس للحيوان أي حق يذكر، كما وجد في كتبهم المقدسة عقيدة العقاب للحيوان، بينما يمنع ذلك في الإسلام ولعل هذا هو السبب وراء انطلاق الجمعيات والمؤسسات الكفيلة بحماية حقوق الحيوان عبر العصور المختلفة عندهم.

فقد تأسست أول جمعية للرفق بالحيوان في انجلترا، سنة ١٨٢٤م، تحت اسم «الجمعية الملكية للرفق بالحيوان». ويرجع الفضل في نشأة هذه الجمعية إلى «ريتشارد مارتين» (١٧٥٤ - ١٨٣٤)، وكان عضو إيرلندي في البرلمان الإنجليزي. كذلك، كان هذا النائب البرلماني وراء صدور قانون في إنجلترا يجرم الاعتداء على الماشية، وهو القانون المعروف باسم «قانون مارتين». وفي سنة ١٨٤٩م، صدر قانون آخر شمل بالحماية كل الحيوانات. وفي سنة ١٨٦٦م، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، أسس «هنري برج» جمعية لرعاية الحيوانات الضالة ومساعدة المزارعين في رعاية الماشية بتوعيتهم صحياً. ثم انتشر هذا التقليد بعد ذلك في العديد من الأقطار. وكانت مصر أولى الدول العربية التي عرفت فكرة إنشاء جمعيات الرفق بالحيوان، وكان ذلك في سنة ١٨٩٤م. والهدف من وراء إنشاء هذه الجمعيات هو الرفق بالحيوان عند المصاحبة، والإحسان إليه في المعاملة، والتلطف معه في السلوك[1].

(١) الرفق بالحيوان. . واجب شرعي والتزام قانوني، مقال للدكتور أحمد عبد الظاهر أستاذ القانون الجنائي المساعد بجامعة القاهرة، http: //kenanaonline. com/users/law/posts/361285.

المطلب الثالث

منظمات حقوق الحيوان في العالم

ذكرنا في المبحث السابق أسباب انتشار الجمعيات والهيئات المختصة برعاية حقوق الحيوان عند الغرب غير المسلم وفي هذا المطلب سنتحدث عن منظمات حقوق الحيوان المنتشرة في العالم المسلم وغير المسلم، والقارئ لهذا المبحث سيلحظ أن معظم هذه المؤسسات مرجعها لجمعيات غربية، ولعلنا وضحنا السبب في ذلك بأن الدين الإسلامي يلزم المسلم برعاية حقوق الحيوان؛ من غير حاجة لإنشاء جمعيات وتقنين قواعد وأنظمة لحماية حقوق الحيوان،فهي محمية، ومقننه في الإسلام ولا حاجة لابتداع أنظمة جديدة ووضعية لحماية حقوق الحيوان فلو طُبق ما في الدين الإسلامي لعاش الحيوان في سلام من غير الحاجة لمثل هذه المؤسسات والهيئات.

فالدول الأوروبية أول من عرفت إنشاء جمعيات للرفق بالحيوان. فقد تأسست أول جمعية للرفق بالحيوان في انجلترا، سنة ١٨٢٤م، تحت اسم «الجمعية الملكية للرفق بالحيوان».

وخلال الأعوام القليلة الماضية اشتدت قوانين الحفاظ على الحيوان في دول الاتحاد الأوروبي، ومن المخطط له في أسبانيا أصدار قانون موحد للحفاظ على الحيوان إلا أنه لم يسري المفعول حتى الآن.

أما في الصين والهند فلا توجد قوانين لحماية الحيوان وإن وجدت توجد في حيز ضيق.

وقد أنشأت هذه المؤسسات ووضعت في أجندة إنشائها أهدافا أقرت ودونت ليتم الرجوع إليها عند الحاجة، ومن تلك الأهداف:

- الرفق بالحيوان عند المصاحبة.
- الإحسان إليه في المعاملة.
- التلطف معه في السلوك.

وبالطبع تحت هذه الأهداف العامة تندرج أهداف تفصيلية كثيرة منها:

- المحافظة على النوع الحيواني.
- دعم المنظمات الحقوقية للحيوان، والتطوع فيها.
- توظيف مجموعة من المبادئ التي تساعد في إحداث تغيير جوهري في معاملة الحيوان من السيئ إلى الحسن.
- عيش الحيوان بلا قيود.
- حماية الحيوان اليوم وغدا .
- التأكيد على أن حقوق الحيوان ليست وليدة اللحظة والحاجة بل قديمة قدم الإنسان[1].

---

(١) انظر: http: //www. adaptt. org/about. html الموقع للناشط في حقوق الحيوان: غاري يوروفسكيوهو ناشط أمريكي من اجل حقوق الحيوان. يوروفسكي عمل في منظمة PETA وتحدث عن النباتية في محاضرات منظمة مقابل أكثر من ٦٠، ٠٠٠ طالب في كل من المدارس الاعدادية والمدارس الثانوية والكليات في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية. عرف يوروفسكي بتصريحاته النارية ضد أولئك الذين يستخدمون الحيوانات – لأهداف مثل الغذاء، والصيد، أو الفراء. في الفترة ما بين ١٩٩٧-٢٠٠١ اعتقل يوروفسكي ١٣ مرة، في معظمها بتهمة الاخلال بالنظام العام في اطار أعمال الاحتجاج التي كان يقوم بها. في عام ١٩٩٧ اقتحم مزرعة لحيوانات ذوي الفراء في كندا وحرر منها ١٥٤٢ فيزون نتيجة لهذا العمل سجن لمدة ٧٧ يوما في سجن كندي. الأضرار الناجمة قدرت بنحو نصف مليون دولار كندي. بسبب نشاطه الكبير، وبسبب هذه الاعمال يعتبر يوروفسكي شخصا غير مرغوب فيه عند شرطة الحدود في انكلترا وكندا. يوروفسكي بدأ مسيرته كناشط لحقوق الحيوان في أعقاب لقائه مع فيل في سيرك حيث تطوع هناك زوج والدته كمهرج. في هذا اللقاء شاهد الفيل وكانت قد حزقت اذناه وأيضا كان مكبلا بالسلاسل الحديدية. ووصف يوروفسكي هذا الاجتماع بالفيل بأنه "مظهر للحزن واليأس" وفي عام ١٩٩٦ قام بتأسيس جمعية

ولمؤسسات حقوق الإنسان حول العالم أنشطة وفعاليات تزاولها على مستوى العالم منها ما هو ممدوح ومنها المذموم ومن تلك الأنشطة:

- المؤتمرات
- والمسيرات والمظاهرات السلمي والعدائي
- والمقالات والكتابات في شتى وسائل الإعلام القديم والحديث.

وللحديث عن الانشطة التي تقوم بها تلك المؤسسات بشيء من التفصيل والتأصيل التاريخي نقول:

يعد القرن التاسع عشر القرن الذهبي في مجال حقوق الحيوان، حيث شهد ملاحقات قضائية لبعض المسيئين لحقوق الحيوان، ومحاولة إدخال تشريعات حقوق الحيوان كنظام شرعي أساسي في القضاء، وانطلاق مشروع حماية الماشية، وتحولت المطالبات من الحماية، إلى الحقوق، وألفت الكتب في ذلك.

ثم بعد ذلك ظهرت نظرية داروين التي تساوي الإنسان بالحيوان، ثم أنشأت أول جمعية لحماية الحيوانات من استغلالها في التشريح والمعامل

ADAPTT (حيوانات يستحقون الحماية المطلقة اليوم وغدا)، وهي منظمة مؤيدة للنباتية ومعارضة لاستخدام الحيوانات في أي شيء. للإستزادة:

وهذا الناشط أنشأ موقعا ووضع به عدادا لقياس عدد الحيوانات التي تذبح وتقتل خلال اليوم وهو يدعو الجميع للاتجاه للأكل النباتي فهم بين إفراط وتفريط فلا يوجد وسطية بينهم. وهذا نموذج لكثر غيره ممن يدع لحماية حقوق الحيوان بلا اتزان منهم من يقوم بالمظاهرات والمسيرات والمداهمات لبعض المقار ومنهم من سجن بسبب ذلك مثل "جيني" و"مارك"و" لي"و" لي شارب" كلها أسماء بارزة في هذا المجال لكنهم. http: .//www. ahewar. org/DEBAT/show. art. asp?t=0&userID=614&aid=35414

الحيوانية، وبعد هذا توالت الأعمال والمؤتمرات والجمعيات والقوانين والأنظمة الداعمة لحقوق الحيوان[1] .

وللحديث عن جمعيات حقوق الحيوان في الدول العربية نقول أن منظمة حقوق الحيوان في الامارات أصدرت في الثاني والعشرين من شعبان سنة ١٤٢٨هـ الموافق الرابع من سبتمبر سنة ٢٠٠٧م، صدر القانون الاتحادي رقم ١٦ لسنة ٢٠٠٧م في شأن الرفق بالحيوان.

وسنفصل في الحديث عن ماورد في بنود إنشاء هذه الجمعية كونها في دولة مسلمة وكل ماورد بها من قوانين وأنظمة تظمن حقوق الحيوان هو ترجمة لفحوى ماورد في الكتاب والسنة وماعمله سلف الأمة ومنها:

احتوى هذا القانون على تسع عشرة مادة. ووفقا للمادة الثانية من هذا القانون، «يجب على ملاك الحيوانات أو القائمين على رعايتها حسب الأحوال اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لعدم إلحاق الأذى بها، وعلى وجه الخصوص مراعاة ما يأتي:

١- الأخذ في الاعتبار أنواع الحيوانات ودرجة نموها وتأقلمها وتدجينها، واحتياجاتها وفقا للخبرة والمعرفة العلمية.

٢- عدم إطلاق سراح أي حيوان تحت رعايتهم، يعتمد بقاؤه بشكل طبيعي عليهم، وفي حالة الرغبة في التخلي عنه يجب تسليمه للإدارة المختصة أو السلطة المختصة.

---

(١) للاستزادة انظر:

http://translate. google. com. sa/translate?hl=ar&langpair=en%7Car&u=http: //en. wikipedia. .org/wiki/Animal_rights&ei=syYRUaOrOMO20QXNooDQBg

٣- توفير عدد كاف من العاملين ذوي قدرة مناسبة ومعرفة وكفاية مهنية بالأمور المتعلقة بالحيوانات التي تحت إشرافهم ورعايتهم.

٤- معاينة الحيوانات التي تحت إشرافهم ورعايتهم مرة واحدة على الأقل في اليوم وتفقد أحوالها».

وتحت عنوان «حرية الحركة للحيوان»، تنص المادة الرابعة من ذات القانون على أن «يجب أن توفر للحيوانات مساحة كافية لتلبية احتياجاتها عندما تحد حركتها بصفة دائمة أو مؤقتة وفقاً لما هو وارد في اللوائح والقرارات الصادرة عن الوزارة». وتحت عنوان «المباني ووسائل الراحة للحيوان»، ووفقا للمادة الخامسة من نفس القانون:

١- يجب أن تكون المواد المستخدمة في بناء المنشآت وخاصة الحظائر والأقفاص والاصطبلات وكذلك المعدات التي يمكن أن تلامسها الحيوانات غير مؤذية وأن تكون خالية من مصادر التلوث ويسهل تنظيفها وتطهيرها بالكامل.

٢- يجب أن توفر للحيوانات التي لا تربى في مبان، حماية من أحوال الطقس المتقلبة والضواري وأية أخطار على صحتها وأن يتاح لها الوصول إلى مرقد مناسب وجيد التصريف للفضلات». وفيما يتعلق بتغذية الحيوانات، تنص المادة السادسة من القانون المشار إليه على أنه «مع مراعاة ما تحدده اللائحة التنفيذية لهذا القانون بشأن المواد المسموح بإضافتها لغذاء الحيوانات، يجب أن يتم إطعام الحيوانات بالعلف الكامل الذي يتناسب مع عمرها ونوعها وبكميات كافية تبقيها

بصحة جيدة وتفي باحتياجاتها الغذائية، مع تمكينها من الوصول بشكل مستمر لمصادر المياه المناسبة أو تزويدها بكفايتها من الماء النقي يومياً». وتحت عنوان «نقل الحيوانات»، تنص المادة السابعة من القانون على أن «يجب أن يتم نقل الحيوانات بطريقة تضمن سلامتها، وعدم تعريضها للإصابات أو الضرر، وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون الشروط والمواصفات الواجب تحققها في تحميل الحيوانات ونقلها وإنزالها وتغذيتها أثناء النقل وأية شروط أخرى خاصة بوسائل النقل». ويتناول القانون أيضا بالتنظيم موضوع «علاج الحيوانات»، وذلك في المادة الثامنة منه، بنصها على أنه

١- إذا كان من شأن التدخل العلاجي للحيوان أن يسبب له ألماً أو فزعاً أو مضايقة، فيجب أن يتم هذا التدخل بواسطة طبيب بيطري أو أخصائي.

٢- يجب أن تتم جميع التدخلات الجراحية للحيوانات تحت تخدير عام أو موضعي وفي مكان مجهز طبياً لنوع الجراحة».

وطبقا للمادة التاسعة من القانون، وتحت عنوان «إعادة الحيوان لمالكه»، «لا يجوز إعادة حيوان تم التحفظ عليه ونقله للعلاج إلى مالكه إلا بتمام شفائه وبعد توافر أحد الشرطين التاليين:

١- ثبوت عدم تكرار الإهمال من قبل المالك.

٢- تدفع تكاليف النقل والعلاج حال تكرار الإهمال».

ويقرر المشرع بعض المحظورات الماسة بالحيوانات، وذلك في المادة العاشرة من القانون، والتي تنص على أن «يحظر القيام بأي من الأفعال التالية:

١- التعدي الجنسي على الحيوان.

٢- خلط أنواع الحيوانات ببعضها أثناء العرض أو البيع.

٣- عرض أو بيع أو الاتجار بأي حيوان مريض أو مصاب أو في حالة جسمانية هزيلة ما لم يشف تماماً». وبمقتضى المادة الحادية عشرة من القانون، يحظر المشرع بوجه خاص «تنظيم عامة أو منافسات أو عروض للحيوانات لأغراض تجارية أو أية أغراض أخرى بما في ذلك الإعلانات أو أغراض الديكور، دون تصريح خطي من الإدارة المختصة أو السلطة المختصة».

وتحت عنوان «استخدام الحيوانات للأغراض العلمية»، تنص المادة الثانية عشرة على أن:

١- يحظر استخدام الحيوانات لأغراض التجارب العلمية إلا بعد الحصول على ترخيص من الإدارة المختصة أو السلطة المختصة.

٢- تجمع الوزارة قاعدة بيانات بشأن استخدام الحيوانات للأغراض العلمية داخل الدولة». ولكفالة الالتزام بأحكام القانون، قرر المشرع بعض العقوبات لمن يخالف الواجبات أو لم يلتزم بالمحظورات الواردة فيه.

إذ تنص المادة الرابعة عشرة من القانون على أن:

١- يعاقب بالحبس الذي لا يقل عن شهر وبالغرامة التي لا تقل عن خمسة آلاف درهم كل من تعدى جنسياً على الحيوان.

٢- يعاقب بالحبس الذي لا يزيد على سنة وبالغرامة التي لا تقل عن خمسة آلاف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من أطلق سراح حيوان موبوء مع علمه بذلك.

٣- يعاقب بالغرامة التي لا تزيد على عشرين ألف درهم كل من يخالف الالتزامات الأخرى المقررة بموجب أحكام هذا القانون وتلك المقررة باللوائح والقرارات الصادرة تنفيذاً له». وتؤكد النصوص آنفة الذكر بوضوح حرص المشرع الاتحادي لدولة الإمارات العربية المتحدة على الرفق بالحيوان[1].

(١) انظر: الرفق بالحيوان. . واجب شرعي والتزام قانوني، مقال للدكتور أحمد عبد الظاهر، مرجع سابق.

المبحث الثالث

تأثير حماية حقوق الحيوان على دعوة غير المسلمين

المطلب الأول

الشبه المثارة حول غلظة المسلمين في التعامل مع الحيوان

الشبه التي يثيرها الجهال في الدين الإسلامي واهية لا أساس لها من الصحة وتدل دلالة واضحة على عمق جهلهم في الدين وسطحيتهم في التعرف على احاطة الدين الإسلامي للحياة بكافة شؤنها وسوف نعرض الشبهات التي يثيرها أعداء الدين بين كل فينة وأخري ونرد عليها من الكتاب والسنة بل ومن دينهم أيضا:

ولعل شبهة: مجازر حقوق الحيوان في عيد الأضحى. وما يتبعها من شبهات في طريقة النحر ومكان الذبح وطرق جمعها هي أكبر وأعظم شبهة يدندن حولها الجهال في الدين.

حيث نقلت وكالة قدس برس الإخبارية عن منظمة؛ حيوانات أستراليا؛ المتخصصة في الدفاع عن حقوق الحيوانات، في بيان لها: إن الخراف الأسترالية تعرضت لمعاملة وحشية خلال عيد الأضحى في دول شرق أوسطية، فيما ركز البيان على؛ الانتهاكات التي وقعت في الكويت، ونشرت المنظمة، صوراً عبر موقعها الإلكتروني، تم التقاطها في شوارع الكويت والبحرين خلال الساعات القليلة التي أعقبت أداء صلاة العيد.. وشدد البيان على أن الصور المعروضة "تبين أشكالاً من إساءة المعاملة التي

تعرضت إليها الأغنام، بما في ذلك حشرها في الصناديق الخلفية للسيارات، وتقييدها بطرق مؤذية وذبحها على الأرصفة".

وحمّلت منظمة "حيوانات أستراليا"، السلطات الأسترالية مسؤولية ما يجري للمواشي المصدرة إلى دول الشرق الأوسط، وطالبت بأن تتخذ تلك السلطات المزيد من الإجراءات "لحماية تلك الحيوانات"[1]. ويواجه المسلمون في الغالب انتقادات من قبل جمعيات حماية حقوق الحيوانات، تتمثل في كون الطريقة التي يتم بها نحر الذبائح تتعارض مع المبادئ الإنسانية، خصوصا منها ما يصفه الناشطون بكون عملية الذبح تلحق أذى بالحيوانات وتجعلهم عرضة للتعذيب[2].

وهذا نموذج لعدة مؤسسات ترعى حقوق الحيوان تندد بذبح الأضاحي وتعتبره انتهاكا لحقوق الحيوان وللرد على ذلك نشير إلى أن الاعتراض على أصل الذبح - حيث أكل اللحوم يتسبب في معاناة الحيوانات على مجال واسع- وعلى طريقة الذبح إذ يرون أن الصعق هي أفضل طريقة للذبح.

أما الاعتراض على أصل الذبح فهذا مردود عليهم إذ أن الاستفادة من الحيوانات في السلسة الهرمية الغذائية معترف بها في جميع الشرائع والأديان إذا كان الدين الإسلامي يشرع الأضحية فإنه يتشارك مع الديانات السماوية الأخرى في ذلك فقد ورد في العهد القديم من الكتاب المقدس

---

(١) http: //www. taibanews. com/inf/news. php?action=show&id=8502.

(٢) http: //www. radiosawa. com/content/muslims-eid-activists-against-slaughter/213954. html، هل يفجر ذبح الأضاحي غضب جمعيات حقوق الحيوان في أمريكا، شبكة تلفزيون الشرق الأوسط © ٢٠١٤.

"وبنى نوح مذبحا للرب وأخذ من جميع البهائم والطيور الطاهرة بحسب الشريعة فأصعد محرقات على الذبح[1] . " وفي سفر التكوين ٢٢ ورد عن قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام" ورفع إبراهيم عينيه ونظر فرأى وراءه كبشا عالقا بقرنيه بين الشجيرات فأقبل على الكبش وأخذه وقدمه محرقة بدل ابنه "[2].فجميع الشرائع السماوية متفقة على هذا الأمر إذا فالفطر السليمة تقر بالذبح لبقاء الجنس البشري وعدم هيمنة الحيوانات على الأرض كما أن الديانات السماوية تقر بذلك فقد سخر الله الدواب لخدمة الإنسان والاستفادة من لحومها .

أما ماورد من طريقة الذبح عند المسلمين فنقول أن الطريقة المتبعة في الذبح عند المسلمين هي الطريقة السليمة صحيا للإنسان وحماية لحقوق الحيوان فإن الدين الإسلامي أمر المسلمين بالإحسان في الذبح بحد الشفرة وإراحة الذبيحة ويصف الدكتور أحمد صقر هذه الاتهامات بالباطلة، ويقول إن "الذي يتهمنا بتعذيب الحيوانات أثناء الذبح عليه أن يأتي بالدليل على اتهامه"، مشيرا إلى أن الطريقة الإسلامية في الذبح "تتضمن شروطا يجب الالتزام بها ولا يمكنها أن تعرض الحيوانات إلى التعذيب".

وأضاف أنه من بين الطرق التي يقترحها المعارضون للطريقة الإسلامية، تعريض الحيوان إلى صعقة كهربائية قبل ذبحه، مضيفا أن هذه الطريقة أثبتت بشأنها الدراسات أنها تمنع خروج الدم بصفة كاملة من جسم الحيوان، الأمر الذي يجعل أكل لحمها محفوفا بالمخاطر الصحية.

---

(١) الكتاب المقدس، سفر التكوين، ١٠.

(٢) المرجع السابق، ٢٥.

ويقدم الدكتور صقر ما يقول إنها دراسات علمية أثبتت أن تعريض الحيوان للصعقة الكهربائية قبل ذبحه "يسمح فقط بخروج أقل من ٨٥ في المئة من الدم من جسم الحيوان، فيما يتبقى ١٥ في المئة وهذه النسبة هي التي عادة ما تكون مصدرا للأمراض" يتفق نهاد عوض مع هذا الرأي، إذ يعتبر أن "التعامل مع الذبائح في الإسلام يتم بأسلوب إنساني ونظامي وصحي"، مضيفا أن "المسلمين من أرفع المجموعات التي تلتزم بحكم الأخلاق في التعامل الإنساني مع الذبيحة من حيث الرفقة والسلامة وعدم استخدام العنف"[1]. كما أن الشروط المتبعة في اختيار الأضحية من حيث الجنس والسن وسلامتها تدل على الرحمة والرفق بالحيوان، وليس في ذلك أي تعد على الحيوان، وليس في ذلك أي ضرر عليه ولا على نسله، فالبشرية منذ بدء الخليقة وهم يتغذون على الحيوان والنبات، ومع ذلك فهي في تكاثر وتنامٍ وتزايد، ما لم يكن القتل عشوائياً، بلا هوادة ولا رحمة ولا تؤدة بالحيوان، فإن حصل ذلك فلا غرو أن تباد بعض السلالات، وتنقرض أخرى، وتتناقص ثالثة، لكن لما كان الأمر من الله جل وعلا، العالم بحقائق الأمور، وخفايا الصدور، واتباعاً لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا شك أن هناك حكمة علمها من علمها، وجهلها من جهلها، ومن أعظم ذلك أن في إزهاق روح بعض الحيوان تقرباً إلى الله، وفي بعضها دفعاً لأذاها، وهكذا تتضح الحكمة، وتزال الغشاوة ..... ثم يأتي الكفار والمنافقون

(١) http: //www. radiosawa. com/content/muslims-eid-activists-against-slaughter/213954. html، هل يفجر ذبح الأضاحي غضب جمعيات حقوق الحيوان في أمريكا، شبكة تلفزيون الشرق الأوسط © ٢٠١٤.

والمرجفون في الأرض ليثنوا الناس عن عقيدتهم ويشككوهم في دينهم، ويبعدوهم عن ثوابتهم، ومن أعظم ذلك ما تزيفه منظمة الرفق بالحيوان وما تدعيه باطلاً وزوراً من أن المسلمين يريدون أن يفنوا السلالة البهيمية، وسبحان الله، كيف لم تفن منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، حتى تفنى الآن، لقد أمرنا الله بذلك، وأمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر وهو إراقة الدماء تقرباً إلى الله تعالى في الحج بالهدي والأضاحي، وعند ميلاد المولود بالعقيقة، وغير ذلك من الأمور والعادات والتقاليد العربية الأصيلة، كقدوم الضيف، ووليمة العرس وغير ذلك .

فهل نتبع قول الله وقول رسوله، أم نركن إلى قول اليهود والنصارى وأذنابهم وأعوانهم، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[2].

إنهم يخفون وراء ذلك أموراً كثيرة ومن أهمها وأعظمها شأناً، تشكيك المسلم في دينه، وزحزحته عن ثوابته، فمن شك في دينه وخصوصا" ما هو معلوم من الدين بالضرورة مثل أركان الإسلام وأركان الإيمان فقد كفر والعياذ بالله .

(١) سورة الأنعام ، الآية: ١١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

إن ما تدعيه مثل تلك المنظمات التنصيرية والتبشيرية ما هو إلا حقد وحسد على المسلمين، يريدون من ورائه أن يشرعوا لنا شرعاً غير شرعنا وقد قال تعالى: " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " . فالشرع شرع الله ورسوله، والحكم حكم الله ورسوله، والحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله[1] .

وسبق وذكرنا الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة والتي تدعوا إلى الرأفة بالحيوان وإحسان ذبحة بل وحرمة سلخة حتى يبرد لحمه وذلك لاستكمال خروج الروح فأي رحمة يطلبها غير المسلمين من المسلمين بعد ذلك.

وقد أثبت الفقه الإسلامي للحيوان الحق في بقاء نوعه لذلك لا يجوز قتله أو ذبحه إذا كان ذلك يؤدي إلى انقراضه وفنائه وإن من مفاخر الإسلام العظيمة أن أول محمية طبيعية عرفتها البشرية كانت في الإسلام وهي مكة المكرمة[2] .

والطب الحديث يثبت معجزة الدين الإسلامي في قضية نحر الحيوانات إذ بمجرد قطع العروق الدموية يصاب الحيوان بإغمائة فلا يشعر بشيء على عكس الوسائل الشنيعة الأخرى كالصعق بالكهرباء والضرب على الدماغ والإلقاء في الماء الحار حتى الموت. فالإسلام حريص على إبقاء النوع الحيواني وعدم انقراضه وذلك بتشريع عدة أمور منها: تمكين ذكور الحيوانات من تلقيح إناثها ليحصل التوالد والتكاثر حتى لا يفنى نوعها. والنهي عن إنزاء

---

(١) انظر: منظمة الرفق بالحيوان. . . تصادم شريعة الرحمن، يحيى بن موسى الزهراني، http: //www. saaid. net/Doat/yahia/8. htm.

(٢) حقوق الحيوان وضماناتها في الفقه الإسلامي، أحمد القرالة. مرجع سابق، ٢٣.

الحمر على الخيل والنهي عن أكل لحومها لأن ذلك يؤدي إلى انقطاع نسل الخيل أو تقليلها يقول ابن الجوزية: أنه نهى عن إنزاء الحمر على الخيل لأن ذلك ذريعة إلى قطع نسل الخيل أو تقليلها ومن نهيه عن أكل لحومها إن صح الحديث فيه إنما كان لأنه ذريعة إلى تقليلها[1].

(١) الأشباه والنظائر، السيوطي، تحقيق طه عبدالرءوف، (المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠١٢)، ص٢٥٧.

المطلب الثاني

أثر رعاية حقوق الحيوان على دعوة غير المسلمين

عند توضيح اهتمام الدين الإسلامي بالحيوان ورعاية حقوقه وكون ذلك من مسلمات الدين الإسلامي والتي يتبعها المسلمون بدون اعتراض أو تخيير يؤثر ذلك تأثيرا إيجابيا في غير المسلمين من عدة نواح:

من ناحية العقيدة:

الدين الإسلامي دين متكامل لايقبل التجزأة لأن المسلم مطالب بتطبيقه كما ورد بلا تبديل أو تعديل، فمن تمام الاعتقاد الإيمان والتصديق الكامل بكل ماورد في الكتاب والسنة فعقيدة تهتم بكل تفاصيل الحياة ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1]، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾[2].

لهي كفيلة برعاية الإنسان والذي كرمه الله على باقي المخلوقات، وعند معرفة غير المسلم أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها فإن ذلك كفيل بالتأثير عليه ودعوته للتعرف على العقيدة الإسلامية السمحة والتي اهتمت بكل مخلوق على وجه الأرضفقد روى ابن أبي خيثمة "أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالهر، وقال: إن امرأة عذبت في هرة ربطتها "

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٦.

وفي الصحيحين " دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض "[1] كما كان سبب لغفران ذنوب المومس فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث قالت: كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك[2]."

ولعل في عقيدة التوكل خير مثال على عناية الإسلام بالحيوان ففي الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا"[3]. فهذا الحديث أصل في العقيدة ضرب به مثل الإنسان المتوكل على الله حق توكله بالطير التي تغدوا جائعة وترجع شبعة، فالرزق من الله للحيوان والإنسان فالتوكل هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة كلها.ومن أعظم ثمرات التوكل الرضاء بالقضاء والقدر[4].

من ناحية الشريعة:

الشريعة الإسلامية لا تكتفي ابتقرير وبيان حقوق الإنسان فحسب؛ وإنما تقرر – أيضًا – وتبين حقوق الحيوان.

---

(١) غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، (مؤسسة قرطبة، سنة النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ط٢)، ص ٩٦.

(٢) صحيح البخاري، كِتَاب بَدْءِ الخَلْقِ، غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث قال كاد يقتله العطش، ٣١٤٤.

(٣) رواه الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٩) ١/٣٠، ٥٢.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ)، ص ٤٩٦.

وفي إطار هذا البيان تحث الشريعة على الإحسان إلى الحيوان؛ فقد روى مسلم في صحيحه بسنده قول النبي صلي الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته).

وتحث الشريعة الغراء على إغاثة الملهوف، وتقديم العون له ولو كان كلبًا .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: (بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش! فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفهُ ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب! فشكر الله له، فغفر له! فقالوا: يا رسول الله إن لنا في البهائم أجرًا؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر)[1].

كما حددت الشريعة أنواع اللحوم المحرمة والتي ينبغي على المسلم عدم الأكل منها ففي قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

شريعة واضحة سلسة تدعو المسلمين إلى الحفاظ على النوع الحيواني وتحارب التطرف في التعامل مع الحيوان فلا إفراط ولا تفريط مدعاة لغير المسلم للإيمان وامتثال شرع الله .

والمتمعن في كتب الفقه يرى مدى عناية الشريعة الإسلامية بالحيوان فقد بوب في الكتب الكبرى في الفقه ابوابا في أحكام التعامل مع الحيوان فعلى سبيل المثال نرى المقدسي وضع فصولا عدة في أحكام التعامل مع الحيوان كلها من أجل رعاية حقوقه والحفاظ على نوعه[1] .

-من ناحية الأخلاق:

الأخلاق الإسلامية في التعامل مع الحيوان تثبت تفوقها على غيرها من الديانات فالأخلاق الإسلامية تمتاز بالشمول حيث تشمل علاقة الإنسان بكل عناصر الكون، كما تمتاز الأخلاق الإسلامية بأنها تشبع العاطفة وتقنع العقل وترضي القلب والوجدان، كما أن للأخلاق الإسلامية جانب شخصي وجانب اجتماعي، وقد حددت الرقابة الإلهية كضابط للأخلاق الإسلامية والتي راعت الجسد والروح معا وتميزت بصلاحها لكل العصور،ومن الأخلاق الإسلامية خلق الرحمة والذي لا يقتصر على رحمة المسلم بأهله وإخوانه ولا على جنسه بل تتعدى ذلك لتشمل جميع خلق الله

(١) انظر كتاب: الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي، فقد وضع فصلا فيما يقال عند سماع نهيق الحيوان ونباح الكلب وصياح الديكة، وفصل في اتخاذ الطيور وفصلا في اتخاذ الطيور للتسلي بها، وفصل في جواز اتخاذ الكلب للصيد، وفصل فيما يستحب قتله منمن البهائم والحشرات، وفصل في كراهة اقتناء الصيد للهو، وفصل فيما يقال لحيات البيوت، وفصل في أحكام قتل الحشرات، وفصل في التخيير في قتل الضار، وفصل في كراهة إطالة وقوف البهائم المركوبة والمحملة فوق الحاجة.

حتى الحيوان والشواهد الكثيرة من الكتاب والسنة والمبنثوثة في هذا البحث لهي خير مثال على ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها[1]."

وعن الشريد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" من قتل عصفوراً عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول: يارب أن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني منفعة"[2].

هذه هي الأخلاق الإسلامية والتي تعد الرفق بالحيوان من أساسياتها وأحد أركانها فإين المتأثرين بالحضارة الغربية عن مثل هذه الأخلاق[3].

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه النسائي، في سنن النسائي، كِتَاب الضَّحَايَا، من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله عز وجل يوم القيامة، ٤٤٤٦.

(٣) انظر: أخلاقنا، محمد الجوهري، (دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، ط٨، ١٤٢٦هـ)، ص٣٠-١٣٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا وقدوتنا سيد البشرية وإمام الدعاة وبعد... فقد تم هذا البحث ولله الحمد والمنة والشكر على أن وفقني لاختيار مثل هذا الموضوع البالغ الأهمية للمسلم وغير المسلم وقد وفقني رب العزة والجلال للاستفادة مما تم الاطلاع عليه من مواقع في الشبكة العنكبوتية والمراجع الخاصة بهذا الموضوع وقد خلصت من هذا البحث بعدة نتائج وتوصيات أذكر منها:

أولا: النتائج:

١- مصطلح حقوق الحيوان لا يعد مصطلحا غربيا بل سبقهم بذلك المسلمون.

٢- للحيوان حقوق عند المسلمين اهتمت بها الشريعة الإسلامية.

٣- للمسلمين السبق في رعاية حقوق الحيوان

٤- تفنيد الشبهه المثارة حول قسوة المسلمين في التعامل مع الحيوان.

٥- المسلمون برعايتهم لحقوق الحيوان يعملون على تطبيق ما أمرهم به دينهم الإسلامي .

٦- ليس للغرب السبق في رعاية حقوق الحيوان .

ثانيا: التوصيات:

١- لابد من البحث في مواضيع تهم المجتمع وتتواكب مع الزخم المعلوماتي المبثوث في وسائل الإعلام المختلفة .

٢- أوصي الدعاة بالتعمق في دراسة حقوق الحيوان في الشريعة الإسلامية .

٣- الداعية عليه أن يلم ويجمع كل ما من شأنه أن ينفع الدعوة ويشكل لها جسرا للوصول إلى النتائج المرجوة.

٤- تمحيص المواضيع التي تهم غير المسلم والنظر إلى المصادر الإسلامية وإبراز ماحوته من توصيات وتشريعات حول بعض الموضوعات التي يدندن حولها أعداء الإسلام لمعرفة الطرق السليمة للرد عليهم.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

١. القرآن الكريم

٢. الفقه الإسلامي، محمد يوسف .

٣. ابجد العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق عبدالجبار الزكار، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق – دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م).

٤. الاخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، السرجاني.
www.rasoulallah.net

٥. أخلاقنا، محمد الجوهري،(دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، ط٨، ١٤٢٦هـ).

٦. الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الارناؤوط، (مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ).

٧. أسنى المطالب، الشربيني، تحقيق أكرم محمد زيادة، (الدار الأثرية، ط١، ٢٠٠٨).

٨. الأشباه والنظائر، السيوطي، (دار الحديث، ط١، ٢٠١٣).

٩. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المرداوي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت،).

١٠. البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها، محمد الحيزان (ط١، ١٤١٩هـ) .

١١. الترغيب والترهيب للأباني، (دار ابن رجب، ط١، ٢٠١٠).

١٢. التعريفات، الجرجاني،(دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ).

١٣. جامع العلوم والحكم،ابن رجب،(مؤسسة الرسالة،ب يروت، ط٧،١٤٢٣هـ).

١٤. حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة النعمان، محمد أمين،(دار الفكر، بيروت،١٤١٢هـ).

١٥. الحق في الشريعة الإسلامية، محمد طمطوم، (دار السلام للطباعة والنشر، ط١،٢٠١٤).

١٦. الحق والذمة، علي الخفيف، (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٤٥م).

١٧. حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق والضياع، محمود إسماعيل، (دار مجدولاوي، عمان،ط١،٢٠٠٢م).

١٨. حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة، يسري السيد،(دار المعرفة، بيروت، ط١،١٤٢٧هـ).

١٩. حقوق الحيوان في الإسلام دراسة فقهية مقارنة، توفيق العمري، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة ذمار، ٢٠٠٩م.

٢٠. حقوق الحيوان في الإسلام، عبدالواحد بوشداق، العدد٢٤، السنة الثامنة ٢٠١٣م، مجلة حوراء.

٢١. حقوق الحيوان وضماناتها في الفقه الإسلامي، أحمد القراله، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد ١، ١٤٣٠هـ.

٢٢. خطبة حقوق الحيوان في الإسلام، ناصر محمد الأحمد.
http://www.islamdoor.com/k/147.htm

٢٣. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله اللحيدان، (دار الحميضي، ط١،١٤٢٠هـ).

٢٤. رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين، (دار الكتب العلمية، بيروت).
٢٥. الرفق بالحيوان.. واجب شرعي والتزام قانوني، مقال للدكتور أحمد عبد الظاهر، أستاذ القانون الجنائي المساعد بجامعة القاهرة.
٢٦. سنن النسائي، النسائي،(مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط١، ٢٠١٣).
٢٧. سيرة عمر بن عبد العزيز، محمد بن عبدالله عبدالحكيم، تحقسق أحمد عبيد، (عالم الكتب، بيروت، ط٦،١٤٠٤)
٢٨. الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي، الدردير، (دار إحياء التراث،بيروت .
٢٩. صحيح البخاري، البخاري،(دار التأصيل،ط١، ٢٠١٤).
٣٠. صحيح مسلم،(دار التأصيل،ط١، ٢٠١٤).
٣١. غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، (مؤسسة قرطبة،سنة النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ط٢).
٣٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠١٤).
٣٣. الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، مصطفى الزرقاء، (مطبعة الجامعة السورية،دمشق،١٩٤٨م)
٣٤. الكتاب المقدس،العهد القديم والعهد الجديد، الاصدار الثاني للعهد القديم ط٤ والاصدار الرابع للعهد الجديد الطبعة الثلاثون (جمعية الكتاب المقدس، لبنان).
٣٥. لسان العرب، ابن منظور (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢،١٤١٧هـ).

٣٦. مجلة البحوث الإسلامية العدد الأربعون - الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة ١٤١٤هـ .

٣٧. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح العساف، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ).

٣٨. مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت).

٣٩. معايير حقوق الإنسان، دراسة مقارنة بين إعلان حقوق الإنسان في الإسلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، عيسى الشامخ، (مكتبة الرشد،الرياض، ط١،١٤٢٥هـ).

٤٠. معجم الطبراني، الطبراني، (دار الكتب العلمية، بيروت).

٤١. معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب مصطفى سانو (دار الفكر،بيروت،ط٣،١٤٢٧هـ).

٤٢. مفاهيم الحق والحرية في الإسلام والفقه الوضعي، عدي زيد الكيلاني، (دار البشير عمان، ط١،١٩٧٧م).

٤٣. الملكية في الشريعة، علي الخفيف، (دارالفكر، ٢٠١٣، ط١).

٤٤. من أسرار الحيوان في التعبير القرآني، طالب اسماعيل، (جمعية الدعوة، ليبيا).

٤٥. منظمة الرفق بالحيوان تصادم شريعة الرحمن، يحيى بن موسى الزهراني، http://www.saaid.net/Doat/yahia/8.htm

٤٦. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن الميداني،(دار القلم، دمشق،ط٤،١٤١٤هـ)

٤٧. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

البحث رقم (٦)

البرامج الدعوية في وزارة الدفاع

وأثر إدارة الشؤون الدينية في ذلك من خلال القرارات الإدارية

إعداد

د. خالد بن إبراهيم الدبيان

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ورضي الله عن الصحب الكرام من المهاجرين والأنصار، وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، ما بعد:

فإن العسكري ملزم كغيره من عباد الله تعالى بالتعبد بدين الله ظاهراً وباطناً، عقيدة وشريعة، حرباً وسلماً، سلوكاً وعبادة، انطلاقا من عموم قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

ومن هذا المفهوم ولشمولية تعبد الله تعالى بهذا الدين للعسكريين وغيرهم، فإن سن الأنظمة والقوانين التي تعين على هذا المقصد الأعظم مما قرره علماء الإسلام، فقرروا رحمهم الله بأنه (لو ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع، ولا يزعهم وازع، ولا يردعهم عن اتباع خطوات الشيطان رادع، مع تفنن الآراء، وتفرق الأهواء لانتشر النظام، وهلك العظام، وتوثبت الطغام والعوام، وتحزبت الآراء المتناقضة، وتفرقت الإرادات المتعارضة، وملك الأرذلون سراة الناس، وفضت المجامع، واتسع الخرق على الراقع، وفشت

(١) سورة الذاريات ، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام ، الآية: ١٦٢.

الخصومات، واستحوذ على أهل الدين ذوو العرامات، وتبددت الجماعات، ولا حاجة إلى الإطناب بعد حصول البيان، وما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن)[1].

وأخبر الله في كتابه بأنه أنزل الكتاب والميزان فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2] قال ابن تيمية رحمه الله عن دلالات هذه الآية: (أخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط. وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا)[3]. وممن يدخل في هذه الفئة الناصرة للدين بالسنان، العسكريون، وبين الفقهاء[4] رحمهم الله أمثلة الواجبات التي يقومون بها نصرة للمظلوم وانتصاراً للحق وأهله، وحماية لدين الله وحرمات المسلمين.

وتعتبر إدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية الإدارة المعنية بالتوجيه الشرعي، والاستشارات الشرعية للقادة والمسؤولين في الوزارة. فبناء على القرار الإداري الصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة برقم ١٣٨٢ وتاريخ ١٣٩٢/٣/٢٥هـ، فإن من مهمة إدارة الشؤون الدينية:

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم-٢٣-الجويني-تحقيق: عبد العظيم الديب-مكتبة إمام الحرمين-ط: الثانية، ١٤٠١هـ.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -١٥٧/١٨.

(٤) انظر: المجموع-النووي-١٥٣/٢٠. الشرح الكبير-ابن قدامه-٤٥٨/١١.

١. تقديم المشورة في مجال تخصصها لسمو وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، ومعالي رئيس هيئة الأركان العامة، وجميع هيئات الوزارة وإداراتها.

٢. الدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وبث روح الجهاد في صفوف القوات المسلحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن منطلق التناصح والتعاون على البر والتقوى، ومساندة لإخواننا الدعاة في القطاع العسكري، قدمت هذا البحث الذي هو بعنوان: (البرامج الدعوية في وزارة الدفاع وأثر إدارة الشؤون الدينية في ذلك من خلال القرارات الإدارية).

وبقراءة مجموعة من القرارات الصادرة عن القيادات العسكرية، في الوحدات والقطاعات العسكرية في وزارة الدفاع، قسمت البحث إلى ما يلي:

- **مقدمة.**
- **المبحث الأول: التنظيمات الإدارية في العمل الدعوي في وزارة الدفاع. ويتضمن ما يلي:**

أولاً: تعريف بإدارة الشؤون الدينية والعاملين فيها.

ثانياً: أبرز وسائل الدعوة التي تقوم بها إدارة الشؤون الدينية

- **المبحث الثاني: البرامج الدعوية في وزارة الدفاع من خلال القرارات الإدارية.**
- **وخاتمة:**

وتشمل أبرز التوصيات .

ومما ينبغي التنبيه إليه أن مراجعي ومصادري في البحث يغلب عليها القرارات الإدارية، وهي تخضع لكثير من التنظيمات الخاصة، سواء في إعداد الخطاب، أو رقمه، أو درجة السرية...الخ، والمراد من هذا التنبيه، ما يلي:

١. إن مراجع البحث المنصوص عليها في الحاشية، محفوظة لدي.

٢. أقف كثيراً عند بعض المصطلحات والعبارات، ولكن رغبة في التوثيق العلمي أكتبها كما جاءت.

٣. رغبة في عدم الإطالة أوجزت في بعض مفردات البحث لأن المقصود إبراز القرارات وتفعيلها.

٤. في التنظيم الإداري قدم القرار لا يعني إلغائه، فبعض القرارات الإدارية قديمة المصدر ولكنها سارية المفعول إدارياً وواقعياً

وأسأل المولى عز وجل أن يوفقنا إلى الصراط المستقيم، وأن يتغمد الله صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام بواسع رحمته، وأن يجعل ما قدم من أوامر، ونظم، وقرارات، في ميزان حسناته.

كما أشكر سعادة مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة، على تقديم المادة العلمية من القرارات الإدارية، وأخص بالذكر الأخوة الفضلاء في إدارة الشؤون الدينية للقوات البرية، على مساعدتهم في تقديم المكاتبات الإدارية.

المبحث الأول

التنظيمات الإدارية في العمل الدعوي في وزارة الدفاع

أولاً:

التعريف بإدارة الشؤون الدينية والعاملين فيها

إن الدعوة والحسبة في صفوف الجيش من هدي رسولنا ﷺ ففي قصة إسلام ضماد[1] وبعد إسلامه وإسلام قومه قال النبي ﷺ له: ((وعلى قومك)) قال: وعلى قومي. قال: فبعث رسول الله ﷺ سريةً، فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة . فقال: ردوها، فإن هؤلاء قوم ضماد][2].

لقد احتسب الرجل على من معه في السرية بإعادة ما أخذوه من قوم ضماد، حيث إن قوم ضماد رضي الله عنه قد عصمت أموالهم بدخولهم إلى الإسلام.

وحينما وقف الصحابي الجليل المجاهد ربعي بن عامر أمام رستم قائد الفرس، دعاه إلى الله تعالى، وبين المقصد الذي من أجله سيرت جيوش المسلمين إليه ولغيره، ومجيباً على سؤاله (ما جاء بكم)؟ قائلاً له: (الله

---

(١) قال ابن حجر: ضماد بن ثعلبة الأزدي من أزد شنوءة) وكان يرقى ويداوي من الريح فقدم مكة في أول الإسلام وله ذكر في حديث أخرجه مسلم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة-٣/٤٨٦. والاستيعاب في معرفة الأصحاب-ابن عبدالبر.

(٢) صحيح مسلم-٣/١١-برقم (٢٠٤٥).

ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبله قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضى إلى موعود الله. قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى)[1].

ومن الأدلة على ضرورة الدعوة إلى الله في الجيوش، ما رواه بريدة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر رجلا على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً: فقال (اغزوا باسم الله وفي سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا..)[2] الحديث .

وقد كان للعلماء الأجلاء أثرهم على العسكريين فمنذ تأسيس وتوحيد المملكة العربية السعودية، كان العلماء يرافقون جيش المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله تعالى، ويتولون مهمة التعليم والوعظ والاحتساب على أفراد الجيش.

فمن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب عليهم رحمة الله تعالى، فقد عينه جلالة الملك عبد العزيز قاضياً للجيوش مع جلالته -رحمه الله- فباشر ذلك وغزا مع الملك غزوات كثيرة وحضر معه فتح مدينة حائل سنة ١٣٤٠هـ.

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء-٢/ ٤٥٨- سليمان الحميري، أبو الربيع -دار الكتب العلمية – بيروت-ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

(٢) سنن ابن ماجة-٢/٩٥٣-برقم (٢٨٥٨).

وكما كان له الأثر الملموس في وعظ وتذكير الجيوش حينما تمكنت جيوش المؤسس رحمه الله على فتح مدينة الطائف ومكة المكرمة سنة ١٣٤٣هـ، وسار الملك عبد العزيز رحمه الله من نجد إلى مكة صحب معه الشيخ عبد الله قاضياً لجيشه فحضر معه الشيخ حصار جدة إلى أن تم تسليمها.

ولما جهز الملك عبد العزيز رحمه الله ابنه الملك فيصل رحمه الله لتأديب المتمردين في عسير والخارجين عن طاعة الملك عبد العزيز .. انتدب الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله رحمه الله واختاره مرافقا لابنه فيصل وقاضياً للجيش وذلك في شهر شوال آخر سنة ١٣٤٠هـ، فكان الملك فيصل رحمه الله يحترم الشيخ عبد الله ويعمل بمشورته. وقد تم لفيصل النصر ...وعاد فيصل ومعه الشيخ عبد الله إلى والده في الرياض في شهر جمادى الثانية ظافراً منتصراً[1].

ويستمر العطاء المبارك في القوات المسلحة فبعد إنشاء إدارة الأمور العسكرية في عهد الملك عبدالعزيز عين الشيخ علي بن عبدالله الغذامي رحمه الله، الذي التحق بالخدمة العسكرية برتبة جندي في ١٣٤٨/٥/١٥هـ، إماماً للجيش، وكان يساعده وينوب عنه أخوه الشيخ صالح بن عبدالله الغذامي رحمه الله.

ومن أهم الأعمال الدعوية التي كان يقوم بها بين أوساط منسوبي القوات المسلحة إضافة إلى الإمامة:

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم - ٢ / ١٩.

١. إجراء الاختبار لكل إمام جديد يطلب تعيينه في ألوية وشعب وفرق الجيش السعودي.

٢. التجوال داخل صفوف القوات المسلحة لإلقاء الدروس والمواعظ، ومن أهم جولاته الجولة التي قام بها في سنة ١٣٨٥هـ، بأمر وزير الدفاع والطيران على كافة المناطق العسكرية والقوات السعودية المرابطة في الأردن.

٣. إصدار النشرات والتوجيهات الدينية في المناسبات المختلفة، ومنها:

أ- نصيحة لعموم أفراد الجيش العربي السعودي ومن بلغه من غيرهم في عام ١٣٨٣هـ، ومما تضمنته هذه النصيحة من الاحتساب والنصح، (الحث على تقوى الله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، والتحذير من التهاون بالصلاة وتأخيرها عن وقتها... والحث على إصلاح ذات البين، والتحذير من الإرجاف والتخذيل ومعاقبة من أتصف بذلك، وتوزيع المسؤولية بين أفراد الجيش...).

ب- نشرة بعنوان : (إن الدين عند الله الإسلام) وقد تضمنت الحث على التوحيد، والمحافظة على صلاة الجماعة في المساجد، ووجوب تعلم شروطها وواجباتها وأركانها التي لا تصح إلا بها..) وقد طبعت هذه النشرة بمطبعة الجيش عام ١٣٨٧هـ[1].

ومن أمثلة العناية بالعسكريين في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله إصدار قرار يحدد فيه مهمة الشؤون الدينية والذي بدأ بتعيين أئمة للوحدات

(١) الحسبة والدعوة –الدكتور عوض بن رويشد السحيمي-٢/٦٢٩.

العسكرية مع بداية تنظيم القوات العسكرية، وكانت أول واجبات الأئمة كما في النظام الداخلي للقوات المسلحة العربية السعودية، الصادر بموافقة الملك عبدالعزيز رحمه الله تعالى، وما ورد في الفصل الحادي عشر/المادة رقم (٣٩): (يرتبط الإمام بالآمر المنسوب من حيث الإدارة، ومكلف بما يأتي:

١. أداء الصلوات الخمس مع الجنود جماعة وتعليمهم القراءة والكتابة.

٢. تدريسهم أمور دينهم وفي مقدمتها العقيدة الصحيحة وشرحها لهم، ووعظهم وإرشادهم وتشويقهم للطاعة وحثهم على الفضيلة واجتناب الرذيلة.

٣. شرح الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة خصوصاً ما كان فيها طاعة لأولي الأمر والجهاد لإعلاء لكلمة الله، والدفاع عن الإسلام والعرض والنفس والمال[١].

لقد صدرت تنظيمات حديثة للوزارات والدوائر الحكومية في المملكة العربية السعودية، وشمل هذا التنظيم والتحديث وزارة الدفاع، حيث صدرت توجيهات صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران لمعالي رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة[٢] بإنشاء إدارة في وزارة الدفاع والطيران تعنى بأمور الدين .

---

(١) النظام الداخلي للقوات المسلحة العربية السعودية-الصادر بموافقة الملك عبدالعزيز رقم ٩٥/٨/١٠ في تاريخ ١٣٦٦/١/١١هـ.

(٢) القرار الإداري رقم ١٣٨٢ في تاريخ ١٣٩٢/٣/٢٥هـ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة.

وقد بين في القرار الإداري المهام والواجبات المناطة بها، كما في كتاب معالي قائد القوات البرية. ومن أبرزها:

١. تقديم المشورة للقائد فيما يتعلق بالأمور الشرعية.
٢. إعداد البرامج والبحوث في مجال التوعية الإسلامية.
٣. نشر الوعي الإسلامي في صفوف الجيش، ومحاربة البدع والخرافات، وكل ما هو مخالف لأحكام الشريعة الإسلامية.
٤. مناصحة، وإرشاد المتهاونين في أمر من أمور الشرع بالحكمة والموعظة الحسنة.
٥. العمل على عقد الندوات، والدروس، والمحاضرات ونحوها، التي من شأنها تفقيه العسكريين وتبصيرهم في أمور دينهم ودنياهم[1].

وبتوسع التنظيم العسكري في وزارة الدفاع وتنوعه تأسست إدارة شؤون دينية في كل قوة من أفرع القوات المسلحة في وزارة الدفاع، وهي كما يلي:

١. إدارة الشؤون الدينية للقوات البرية
٢. إدارة الشؤون الدينية للقوات الجوية
٣. إدارة الشؤون الدينية للقوات البحرية
٤. إدارة الشؤون الدينية لقوات الدفاع الجوي
٥. إدارة الشؤون الدينية لقوات الصواريخ الإستراتيجية.
٦. إدارة الشؤون الدينية للخدمات الطبية للقوات المسلحة

وفي كل إدارة من هذه الإدارات أقسام تتولى القيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى.

(١) القرار الإداري رقم ٣/٣٠/٢٢٢٦ وتاريخ ١٤/١٠/١٤١٥هـ والصادر من معالي قائد القوات البرية.

التعريف بالدعاة والمرشدين من منسوبي إدارة الشؤون الدينية:

فيما مضى تم التعريف بإدارة الشؤون الدينية، ومهام الإدارة وواجباتها بحسب التنظيم العسكري في وزارة الدفاع. ومن أجل أن يكتمل الدور الدعوي أعرف بمن يقوم بالدعوة إلى الله تعالى من ضباط ومرشدي الشؤون الدينية. والذين يعتبرون أحد الأركان الأساسية لقائد الوحدة ومستشاره في الشؤون الدينية، وذلك بحسب القرار الإداري الصادر من رئيس هيئة عمليات القوات البرية، والمصدق من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع[1].

ويشترط لتعيين ضباط التوعية الإسلامية، -وهم ممن يناط بهم الدعوة في وزارة الدفاع- على الوظائف الخاصة بالشؤون الدينية حصول الشخص على شهادة (الليسانس فما فوقها) بتقدير جيد، من كلية الشريعة، أو من كلية أصول الدين فقط.

ومن خلال مشاركتي في برامج الشؤون الدينية الدعوية، فإن الإدارة تضم في أقسامها الدعوية كفائت علمية متميزة، وقد كان ذلك بصحة القرار الإداري الصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران والقاضي بابتعاث عدد من العسكريين الحاصلين على شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها إلى كلية الشريعة، أو كلية أصول الدين[2].

كما تم صدور قرار إداري[3] بفتح باب القبول للجامعيين من خريجي الكليات الشرعية في المملكة العربية السعودية، وقبولهم ليكونوا ضباطاً في

---

(١) القرار الإداري رقم ٣/٣/٢/١٩٩٠ وتاريخ ١٤٠٣/٩/٣هـ. الصادر من رئيس هيئة عمليات القوات البرية.

(٢) القرار الإداري رقم ٣٧٧٤ وتاريخ ١٣٩٥/٧/١هـ. الصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران رحمه الله تعالى.

(٣) انظر: قرار مجلس الوزراء رقم ٨/٤٣٨ وتاريخ ١٤٠٥/٣/١٨هـ. و القرار الإداري رقم ٣٠٨٥/٥/٢ وتاريخ ١٤١١/٥/١هـ. الصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

أقسام التوعية الإسلامية بإدارات الشؤون الدينية، بعد أن يتم تأهيلهم عسكرياً لمدة (تسعة أشهر) وبعد ذلك يتولون المهام والواجبات الدعوية في الوحدات العسكرية.

ولم يقتصر الاختيار فقط على العسكريين، بل تعداه إلى المعلمين والمرشدين المدنيين، فقد رغبت وزارة الدفاع أن يكون اختيار معلمي العلوم الدينية من قبل الشؤون الدينية، وصدرت موافقة رئيس الديوان العام للخدمة المدنية على ذلك[1].

وبناء على القرار الإداري الصادر من معالي قائد القوات البرية[2] في تأسيس وتشكيل إدارة الشؤون الدينية وأقسامها، حيث تضمن تشكيل الإدارة قسم التوعية الإسلامية، ومن أبرز مهام وواجبات القسم ما يلي:

١. التخطيط لتوعية وإرشاد منسوبي القوات البرية وتبصيرهم بأمور دينهم بالوسائل المناسبة.
٢. إعداد البحوث والدراسات وتقديم المشورة لكافة الجهات والقيادات في القوات البرية في مجال تخصصها.
٣. عقد الدورات التدريبية الشرعية والتوجيهية والتنسيق مع الجهات ذات العلاقة عند الحاجة.

---

(١) القرار الإداري رقم ١٦٠٦ وتاريخ ١٤١٠/٥/١٨هـ. الصادر من رئيس الديوان العام للخدمة المدنية. وانظر القرار الإداري رقم ٥٢٠/١٠/٢ وتاريخ ١٤١٠/٦/٥هـ والصادر من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة.

(٢) القرار الإداري رقم ١٩٦٢ وتاريخ ١٤٠٦/٩/١٩هـ الصادر من معالي قائد القوات البرية.

٤. بث روح الجهاد في سبيل الله بالمفهوم الصحيح وبيان فضل المرابطة والإعداد.

٥. تقوية الوازع الديني ورفع الروح المعنوية للمحافظة على الجاهزية القتالية.

٦. نشر منهج الوسطية والاعتدال ووضع الدراسات لمعالجة الانحرافات السلوكية.

ثانياً:

أبرز وسائل الدعوة التي تقوم بها إدارة الشؤون الدينية

من خلال القرارات الإدارية، والتوجيهات الصادرة من المسئولين في وزارة الدفاع، كان لإدارة الشؤون الدينية في القوات المسلحة عدداً من وسائل الدعوية إلى الله تعالى، الصادرة بالنظام الإداري، والمناسبة لحال المدعو من العسكريين.

ومن أبرز الوسائل الدعوية ما يلي:

أولاً) تأسيس مكتب يتولى مهمة تنظيم البرامج الدعوية في المناطق السكنية:

إن من أبرز الأدوار الأساسية في الدعوة إلى الله تعالى التي قامت بها إدارة الشؤون الدينية في المناطق والوحدات العسكرية، تأسيس جهة رسمية تتولى برامج الدعوة، وذلك نظراً لخصوصية المناطق العسكرية، وهذه الجهة أطلق عليها (مكتب التوجيه والإرشاد).

وصدرت الموافقة على تأسيس مكتب التوجيه والإرشاد من معالي رئيس هيئة الأركان العامة رقم ٢٣٩٤ وتاريخ ١٤١٨/٧/٥هـ، على توصيات اجتماع مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة بمديري أفرع الإدارة المتضمنة التأكيد على التوجيه الكريم من سمو وزير الدفاع والطيران بفتح مكتب للتوجيه والإرشاد بالمجمعات السكنية لفروع القوات المسلحة[1].

(١) القرار الإداري رقم ٣٠٨١ وتاريخ ١٤٢١/٨/٢٢هـ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة.

كما صدرت موافقة معالي رئيس هيئة الأركان العامة على توصيات مدير عام الشؤون الدينية للقوات المسلحة ومديري أفرع الشؤون الدينية والتي تتضمن إقامة مراكز التوجيه والإرشاد في المدن العسكرية والمجمعات السكنية بالمناطق[1].

وقد حددت إدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع والطيران، مهام وواجبات مكتب التوجيه والإرشاد، الذي يرتبط إدارياً بمدير قسم الشؤون الدينية.

ومن هذه المهام والواجبات، ما يلي:

١. حث الناس على إقامة الشعائر الدينية.
٢. إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين العسكريين.
٣. الحث على الآداب والأخلاق الإسلامية والتمسك بها.
٤. تنظيم إلقاء الكلمات في مساجد المنطقة السكنية.
٥. استضافة الدعاة والعلماء لإقامة الدروس العلمية للساكنين.
٦. تفعيل دور المسجد وترسيخ الوازع الديني لدى العسكريين.
٧. نشر الوعي وبيان سماحة الإسلام داخل المدن العسكرية[2].

وأصبح ولله الحمد في كل منطقة عسكرية، ووحدة سكنية في وزارة الدفاع والطيران يوجد بها هذا المكتب المبارك الذي يتولى رسالة الدعوة، ويحرص على منفعة العسكريين وتقديم التوجيه والإرشاد لهم.

---

(١) محضر توصيات الاجتماع.

(٢) النشرة التعريفية عن مكتب التوجيه والإرشاد بمدينة الملك فيصل العسكرية بالجنوبية.

ثانياً) إنشاء مكاتب تتولى دعوة غير المسلمين:

لقد حكم الله في كتابه الكريم بأن الدين الإسلامي والذي جاء به نبيه محمداً ﷺ هو الدين المرتضى عند الله، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، وحكم سبحانه بأن الإسلام هو الدين المقبول كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2].

وثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة، أنه قال: بينا نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ، فقال: «انطلقوا إلى يهود»، فخرجنا معه حتى جئناهم، فقام رسول الله ﷺ، فناداهم، فقال: «يا معشر يهود، أسلموا تسلموا»، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ذلك أريد، أسلموا تسلموا»، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ذلك أريد»..)[3] الحديث.

والمجتمع العسكري كغيره من المجتمعات المختلطة التي يوجد فيها بطبيعة العقود الدولية، والمصالح المشتركة دول غير مسلمة، وهؤلاء في المنظور الفقهي الإسلامي لا يعيشون (على هامش المجتمع بل يشاركون ويخالطون أفراد المجتمع، وقد يسند إليهم بعض الأعمال التي هي من صميم عمل أهل الإسلام، فقد جوز الخرقي أن يكون الكافر من العاملين على الزكاة، وذكر

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) صحيح مسلم-٣/١٣٨٧-رقم (٦١).

في المغني أنها إحدى الروايتين عن الإمام أحمد؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾[1]، وهذا لفظ عام يدخل فيه أي عامل على أي صفة كانت، ولأن ما يأخذ على العمالة أجرة لعمله فلم يمنع من أخذه كسائر الإجارات[2]. بل صرح الإمام الماوردي بجواز أن يتولى الذمي وزارة التنفيذ دون وزارة التفويض[3].

لقد أطلق الإسلام على غير المسلمين الذين لهم ذمة (أهل الذمة) وعاملهم بها وهي تعني: العهد والأمان والضمان، والحرمة والحق وهو عهد منسوب إلى الله عز وجل وإلى الرسول ﷺ)[4].

ولذا فقد أصدر صاحب السمو الملكي وزير الدفاع قراره الإداري رقم ١٦٨١/١/١/١ وتاريخ ١٤١٣/٢/٢٧هـ، بأن تتولى إدارة الشؤون الدينية مهمة دعوة غير المسلمين، وبيان سماحة الإسلام وقيمه العظيمة.

وكان هذا التوجيه الكريم بناء على طلب من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة[5]، والمستند على التعميم الصادر من وزير الداخلية رقم ٤٨٧٤/١٢ وتاريخ ١٤١١/١٢/٧هـ، والقاضي بنشر الإسلام بين العمال الوافدين لهذه البلاد ومن غير المسلمين، ووجوب العمل بكل

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٢) المغني، ابن قدامه، ١٠٧/٤.

(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي، ٦٨.

(٤) سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ١٦.

(٥) كتاب سعادة مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة رقم ٣٥٩/١٠/٢ وتاريخ ١٤١٣/٢/٢٥هـ.

الوسائل الممكنة لترغيبهم في الإسلام، وتمكين من أسلم منهم إقامة شعائر الإسلام، أسوة بإخوانهم المسلمين وعدم التضييق عليهم.

إن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في وزارة الدفاع تتم بتنظيم إداري وذلك عبر وسائل دعوية ناجحة أطلق عليها (مكاتب دعوة الجاليات) وقد آتت كلها المباركة، وبخاصة أثناء أزمة الخليج وتحرير دولة الكويت، نظراً لكثرة الوافدين إلى بلادنا الغالية فسارع إصدار الأوامر بتعريفهم بالإسلام.

وتم أقامت هذه المكاتب في جميع الوحدات العسكرية والقواعد الجوية، وكذلك في الخدمات الطبية، منتظمة في دعوتها قواعد هذا الدين بوجوب تبصير غير المسلمين شريعة الإسلام، والدعوة إلى الإيمان بنبينا ﷺ، القائل: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)[1].

وبالنظر إلى الدليل الإحصائي لعام ١٤٣٤هـ، والصادر عن مكتب دعوة الجاليات بقاعدة الرياض الجوية[2]، يظهر لنا البعد الدعوي للمكاتب، حيث أقام المكتب المناشط التالية:

م	النشاط	الانجاز
١	عدد من أشهر إسلامه لعام ١٤٣٤هـ	٣٨
٢	عدد المحاضرات والكلمات	٥٠٩
٣	عدد الكتب التي تم توزيعها	٣١٠٠
٤	عدد المصاحف المترجمة التي تم توزيعها	٣٠
٥	عدد المستفيدين من رحلات العمرة	٦٧
٦	عدد المستفيدين من إفطار الصائمين	٥٠٠٠

(١) صحيح مسلم-١/١٣٤-برقم (٢٤٠).

(٢) مكتب دعوة الجاليات بقسم الشؤون الدينية بقاعدة الرياض الجوية.

لم يقتصر دور مكاتب دعوة الجاليات في وزارة الدفاع على دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، بل تعداه إلى رعايتهم بعد دخولهم في الإسلام، وتقديم البرامج الإسلامية كأداء مناسك الحج والعمرة، وزيارة المسجد النبوي الشريف، وإعداد برنامج الإفطار الرمضاني، وإقامة الدروس العلمية المناسبة لهم. وتلمس حاجاتهم المادية والمعنوية.

ثالثاً: تأسيس كرسي جائزة الأمير سلطان الدولية للدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم:

ومن ضمن الوسائل الدعوية في وزارة الدفاع تأسيس كرسي يعنى بالدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم، وقد صدرت موافقة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع على اعتماد كرسي جائزة الأمير سلطان بن عبدالعزيز بالرقم ٣٠٠٧ وتاريخ ١٤٣٤/٣/١٨هـ.

إن تأسيس كرسي علمي يعنى بالدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم، يعتبر من أبرز الوسائل الدعوية المحمودة لإدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة، فقد جمع بين البحث العلمي الأكاديمي والعمل العسكري، ليحقق الهدف الدعوي الأسمى وهو ربط العسكري بكتاب ربه تعالى، تلاوة، وحفظاً، وتدبراً، وتفسيراً، وتطبيقاً .

لقد حدد القرار الصادر في تأسيس الكرسي الأهداف من تأسيسه، ومنها:

١. تأصيل ودعم ونشر الدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم.
٢. إبراز جهود وزارة الدفاع في العناية بالقرآن الكريم في أفرع القوات المسلحة.
٣. بيان وسطية الإسلام في الجوانب العسكرية، وحقيقة نظرية الإسلام في السلم والحرب.

٤. نقد الآراء والمناهج المخالفة والغالية في مفهوم الجاهد في ضوء القرآن الكريم.

٥. تأصيل وتعزيز وغرس القيم العسكرية الإسلامية.

٦. التواصل مع المراكز والجهات الأكاديمية والبحثية المحلية والدولية حول الدراسات العسكرية[١].

رابعاً: تأسيس مكتبات داخل الوحدات العسكرية لأفرع القوات المسلحة

نظراً لما للكتاب الإسلامي من أثر عميق في فكر العسكري، تقويماً وتثقيفاً، فقد حرصت إدارة الشؤون الدينية على استثمار الكتاب كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وتم إصدار قرار من الجهات المعنية[٢] تضمن تأسيس مكتبة في كل وحدة عسكرية، وتتولى إدارة الشؤون الدينية إدارتها والإشراف عليها، وتقديم البرامج المرغبة للعسكريين بزيارة المكتبة.

وقد نص النظام الصادر عن مهام قسم المكتبة، بما يلي:

١. طباعة الكتب والنشرات حسب الاحتياج.

٢. الاشتراك في المجلات والدوريات الإسلامية.

٣. تزويد ضباط الشؤون الدينية بالكتب والمراجع المفيدة.

٤. تزويد منسوبي القوات البرية عموما بالكتب والمراجع حسب المتوفر والحاجة.

٥. توفير المطبوعات لوحدات القوات البرية عموماً وخاصة في المناسبات والمواسم.

---

(١) الكتاب التعريفي بكرسي جائزة الأمير سلطان الدولية للدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم-إدارة الشؤون الدينية-١٤٣٤هـ.

(٢) القرار الإداري الصادر من معالي قائد القوات البرية رقم ١٩٦٢ وتاريخ ١٤٠٦/٩/١٩هـ.

إن اختيار المادة العلمية للكتاب يتم بالتنسيق بين قسم البحوث والدراسات في إدارة الشؤون الدينية ورئيس قسم المكتبات، وهذا الاختيار يتضمن طباعة الكتاب أو توفيره من المكتبات التجارية وشرائه من ميزانية وزارة الدفاع.

كما يتولى قسم المكتبات برنامج إهداء الكتاب، وذلك باختيار بعض العناوين العلمية وإهدائها للقادة العسكريين، ولعموم العسكريين في الوحدات العسكرية، نشراً للمعرفة وتواصلاً مع القادة العسكريين.

والجدول التالي يبين أعداد الكتب التي تم توزيعها وصرفها في إدارة الشؤون الدينية للقوات الجوية على منسوبيها خلال الفترة من ١٤٣٤/١/١هـ حتى ١٤٣٤/١١/١٢هـ:

المكتبات الشخصية	المكتبات المركزية	المكتبات الرافدة	الكتب العربية	الكتيبات الأجنبية	المصاحف
١٥٣	٩	٢١	٨٦٥٢٠	١٥١٠	٦٩٠٤

وفي المعارض الدورية للكتاب تشارك إدارة الشؤون الدينية عن طريق قسم المكتبة بمطبوعاتها ومنشوراتها، كما تشارك أيضا بأبحاثها والمتعلقة بالدراسات الشرعية والمتعلقة بالعلوم العسكرية والتي اعتمدتها الجهات المختصة في ذلك.

خامساً: تأسيس جمعية الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم:

من أهم الوسائل الدعوية التي صدرت بقرار إداري في وزارة الدفاع، تأسيس جمعية تعنى بتعليم المنسوبين وأبناء المنسوبين كتاب الله تعالى، وهذا المبدأ انطلاقاً من قول النبي ﷺ:(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[1]، وقد تعتبر وزارة الدفاع هي الوزارة الوحيدة التي لديها جمعية خيرية تعنى بتعليم وتدريس القرآن الكريم لمنسوبيها صادرة بقرار الوزير.

ومما لا شك فيه أن الدعوة إلى الله تعالى أول منطلقاتها تعليم القرآن الكريم، ولما للمجمعات السكنية العسكرية من خصوصية، فقد صدرت الموافقة المبدئية من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان وزير الدفاع والطيران والمفتش العام رقم ٦٤١/١/١/١ وتاريخ ١٤١٥/٢/١٧هـ على تأسيس الجمعية.

وقد أمر وزير الدفاع والطيران بتشكيل لجنة مكونة من إدارة الشؤون الدينية ومستشارين قانونيين بوضع تنظيم مفصل لها، وتم رفع التنظيم من معالي رئيس هيئة الأركان العامة برقم ٧٧٢/١٠/٢ وتاريخ ١٤١٥/٣/١٤هـ، وصدرت الموافقة النهائية على اللائحة المنظمة لنشاط وبرامج الجمعية بأمر وزير الدفاع والطيران والمفتش العام رقم ١١٤٥/١/١/١ وتاريخ ١٤١٥/٣/٢٣هـ، على تأسيس جمعية خيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وتسمى (جمعية الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم).

---

(١) صحيح البخاري-٦/١٩٢-برقم (٥٠٢٧).

ومن خلال لوائح ونظام الجمعية وكذلك مناشطها المختلفة يظهر الجانب الدعوي فيها، فمن واجبات الجمعية ما يلي:

١. تعليم القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتجويداً، وما يتصل بذلك أو يتفرع عنه من أغراض.
٢. ما للقرآن الكريم من آثار عظيمة في إصلاح الفرد والمجتمع المسلم، ومحاربة الأفكار والمبادئ الهدامة.
٣. تأهيل بعض منسوبي الوزارة للمشاركة في المسابقات المحلية والدولية للقرآن الكريم، ممثلين لوزارة الدفاع والطيران.

وقد مرت الجمعية بمراحل تطويرية مختلفة، وأنشئ في جميع المدن العسكرية فروعا لها، كما شمل التطوير مهامها وواجباتها، وإحداث برامج دعوية مرتبطة بها، فمن ذلك:

١. إقامة ملتقى سنوي لأبناء منسوبي وزارة الدفاع والمتميزين في حلقات التحفيظ ولمدة (٥) أيام في الإجازة الصيفية وفي أحد المناطق السياحية لغرض استغلال أوقات فراغهم فيما يعود عليهم وعلى بلادهم بالمنفعة، والحفاظ عليهم من الأفكار المضللة والهدامة.
٢. إقامة مسابقة سنوية لجمعية تحفيظ القران الكريم على مستوى الجمعية بفروع الشؤون الدينية بالمناطق العسكرية وتكليف لجنة مقترحة لذلك.
٣. إقامة دورات تدريبية لإعداد المشرفين والمدرسين في حلقات تحفيظ القران الكريم بجمعية الأمير سلطان.
٤. عقد ملتقى قرآني بعنوان (أثر القرآن الكريم في رفع المعنويات لدى العسكريين) على إن يقام كل سنتين ولمدة ثلاثة أيام.

٥. إقامة دورة بعنوان (الأمن الفكري والعقائدي في القرآن الكريم والسنة النبوية) لمشرفي ومعلمي وطلاب أفرع الجمعية في المدن والقواعد العسكرية[١].

٦. المشاركة في الملتقيات والمؤتمرات التي تقام عن القرآن الكريم وعلومه في جميع مجالاته المختلفة والتي تقيمها الجهات الحكومية والجمعيات الخيرية داخل المملكة وخارجها .

سادساً: تكليف جميع القيادات العسكرية بالتعاون مع الدعاة والمرشدين:

إن استناد الدعوة إلى سلطة مادية، سواء أكانت بشرية أو نظامية وإدارية، هي من الأمور المقررة في النهج الدعوي للرسالة المحمدية ﷺ، وقد قال الله تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾[٢].

قال قتادة، في قوله: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ (وإن نبيّ الله علم أن لا طاقةَ له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عزّ وجلّ، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدهم ضعيفهم[٣].

ومما أثر عن الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)[٤]. ومعنى (وزع): أي من يكف عن

---

(١) صدرت بالقرار الإداري من معالي رئيس هيئة الأركان العامة رقم ١٨٣٩ وتاريخ ١٤٢٩/٣/٨هـ ورقم ١٣٨٩ وتاريخ ١٤٣١/٣/١هـ ورقم ١٥٢٣ وتاريخ ١٤٣٢/٢/٢٩هـ.

(٢) سورة الإسراء: ٨٠.

(٣) تفسير الطبري-٥٣٦/١٧.

(٤) انظر: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث-:العامري، أحمد بن عبد الكريم الغزي-٦٠.

ارتكاب العظائم مخافة السلطان أكثر ممن يكفه مخافة القرآن والله تعالى . يقال : وزعه يزعه وزعا فهو وازع إذا كفه ومنعه[1].

وقد كان من أبرز أسباب قيام الدولة السعودية (الاتفاق بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب على " نصر دين الله ورسوله والجهاد في سبيله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ". وبذلك ضمن الشيخ القوة والسلطان في مؤازرة دعوته والعمل على إعلاء كلمة الحق سبحانه وتعالى، وحقق بذلك ما ورد في الأثر : (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)[2].

ولاعتبار أن إدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع الإدارة المعنية بالتوجيه الشرعي، والاستشارات الشرعية للقادة والمسؤولين في الوزارة فقد أدرك المسئولون في وزارة الدفاع الحاجة لمساندة دور الشؤون الدينية في تحقيق رسالتها السامية، ولهذا صدرت القرارات والتوجيهات بضرورة التعاون مع الدعاة والمرشدين في إدارة الشؤون الدينية وتسهيل مهمتهم، والوقوف بجانب الدعوة[3].

كما صدرت التوجيهات للقادة العسكريين للاستفادة من المعلمين في معاهد ومراكز ومدارس القوات المسلحة المختلفة، ومشاركتهم في الأنشطة والبرامج المختلفة والتي تقوم بها الشؤون الدينية في الوحدات العسكرية، ومن هذه الأنشطة:

---

(١) النهاية في غريب الأثر-أبو السعادات- ٥/ ٣٩٣.

(٢) الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة — ٤٠ - عبدالله التركي.

(٣) مجلة الجندي المسلم-السنة التاسعة (١٤٠٢هـ)-العدد ٢٥ ص: ٥٩.

١. المشاركة في تدريس دورات التوعية الإسلامية ومكافحة المخدرات والمسكرات.
٢. المشاركة في دورات الأئمة والمؤذنين.
٣. دورات تدريس القرآن الكريم لمنسوبي الوحدات العسكرية.
٤. المشاركة الفعلية في جميع الأنشطة التي تقوم بها فرع الشؤون الدينية وأقسامها[١].

سابعاً: التنسيق بين وزارة الشؤون الإسلامية والإدارة الدينية في المجال الدعوي:

إن من أبرز مقومات نجاح العمل الدعوي نشر ثقافة التنسيق بين المؤسسات الدعوية، وقد جاء التأكيد الرباني على أهمية ذلك في كتاب الله تعال، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٢].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: (يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، وليعن بعضكم، أيها المؤمنون، بعضا -على البر-، وهو العمل بما أمر الله بالعمل به - (والتقوى)، هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه[٣].

ومن التطبيق العملي للتوجيه النبوي على ضرورة التشاور والتنسيق في العمل الدعوي، وصية الرسول ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل

(١) صدر بالقرار الإداري من معالي قائد القوات البرية رقم ٣/٣٠/٣٠٢٨ وتاريخ ١/١٢/١٤١٨هـ.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٣) تفسير الطبري ٩/٤٩٠.

رضي الله عنهما حينما بعثهما إلى اليمن، فقال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا»، فقال أبو موسى: يا نبي الله إن أرضنا بها شراب من الشعير المزر، وشراب من العسل البتع، فقال: «كل مسكر حرام». فانطلقا، فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن؟ قال: قائما وقاعدا وعلى راحلتي، وأتفوقه تفوقا، قال: أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، وضرب فسطاطا، فجعلا يتزاوران، فزار معاذ أبا موسى فإذا رجل موثق، فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى: يهودي أسلم ثم ارتد، فقال معاذ: لأضربن عنقه)[1].

والعمل التنسيقي بين المؤسسات الدعوية أصبح في واقعنا المعاصر من الضروريات الدعوية، وذلك لتوفر ما يحقق التنسيق بينهما من الوسائل المعينة على ذلك، وأيضاً لتوسع المجال الدعوي وكثرة النوازل الدعوية التي يجب التشاور والتناصح بين الدعاة لحلها. وتناقل الخبرات الدعوية فيما بينهم.

ونظراً لأهمية التنسيق بين المؤسسات الرسمية والمتخصصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى في المملكة العربية السعودية، فقد رفع معالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد كتابه رقم ٧٨٧/س وتاريخ ١٤١٥/١٠/٢٥هـ، إلى صاحب السمو الملكي النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام والذي يطلب فيه مشاركة إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة في لجنة التنسيق للعمل الدعوي بين المؤسسات الحكومية. وقد صدر القرار الإداري من صاحب السمو الملكي

(١) صحيح البخاري-٥/١٦٢.

وزير الدفاع رقم ١١٦٩٧/٣/١/١ وتاريخ ١٤١٧/١٢/١٩هـ، بشأن تخصيص إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة ممثلة لوزارة الدفاع في اللجنة التنسيقية المنظمة للبرامج الدعوية في المواقع الأمنية والقواعد والمدن العسكرية.

ثامناً: التواصل مع القيادات العسكرية العليا:

كما ذكرت سابقاً عند التعريف بإدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع، وأن صاحب السمو الملكي وزير الدفاع قد صادق على أن ضابط التوعية الإسلامية في الوحدات العسكرية يعتبر من أركانات القائد، ومستشاره في الشؤون الدينية[1].

ومن هذه المكانة فقد كان من وسائل الدعوة إلى الله لدى إدارة الشؤون الدينية، توثيق التواصل مع جميع القيادات العليا، وإحسان التعامل معهم، وفق الضوابط والقواعد المرعية في ذلك.

ومن هذا المنطلق فقد أصدرت الإدارة العامة لإدارات الشؤون الدينية للقوات المسلحة، وكذلك إدارة الشؤون الدينية في أفرع القوات المسلحة، قرارات إدارية تؤصل وتآزر الدعوة إلى الله تعالى صادرة بتوقيع القيادات العليا، وذلك بناء على ثقتهم بإدارة الشؤون الدينية،.

والأمثلة على هذه الوسيلة كثيرة جداً، فمن ذلك أن إدارة الشؤون قد وضعت ضوابط لإدخال القنوات الفضائية في النوادي والمكاتب العسكرية،

(١) القرار الإداري رقم ١٩٩٠/٢/٣/٣ وتاريخ ١٤٠٣/٩/٣ والصادر من رئيس هيئة عمليات القوات البرية.

وصدرت هذه الضوابط بتوقيع معالي رئيس هيئة الأركان العامة[1]. وتم العمل بموجبها ومحاسبة من يخل بشيء منها.

ومن الأمثلة أيضاً: القرار الإداري الصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة والقاضي بإلزام جميع الوحدات العسكرية التعليمية تدريس القرآن الكريم والثقافة الإسلامية لجميع مراحل التعليم في وزارة الدفاع، وأن تكون الإدارة العامة لإدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة مشرفة على تدريسها[2].

(١) القرار الإداري رقم ٢/٥/١١٢٣٢ في تاريخ ١٤١٨/١/٨هـ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٢) القرار الإداري رقم ٢/٣/٥٥٩٧/٥ وتاريخ ١٤١٤/٥/٩هـ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

المبحث الثاني

البرامج الدعوية في وزارة الدفاع ودور إدارة الشؤون الدينية في ذلك

في المبحث الأول تم استعراض أبرز الوسائل الدعوية في وزارة الدفاع، والصادرة بالقرارات الإدارية، وفي هذا المبحث سوف أبين أبرز البرامج الدعوية والتي تم تنفيذها للعسكريين، ودور إدارة الشؤون الدينية في ذلك من خلال القرارات الإدارية.

أولاً: الدعوة في مناسك الحج ودور إدارة الشؤون الدينية

١. تمكين المنسوبين من تأدية فريضة الحج:

كان للشؤون الدينية في برنامج الحج برامج دعوية واحتسابية مميزة، تبدأ بحث قادة الوحدات العسكرية بتمكين العسكريين بتأدية فريضة الحج لمن لم يحج، وقد صدر القرار الإداري من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة والموجه لمعالي رئيس هيئة الأركان العامة، بأنه التقى بعدد من الأفراد لم يسبق لهم أن أدوا فريضة الحج، وهو ركن من أركان الإسلام. وتمت المطالبة بتمكين من لم يؤد فريضة الحج بسبب المرابطة أو أعمال عسكرية أخرى أن يمكنوا من أداء واجبهم، وتأدية فريضة دينهم[1].

(١) القرار الإداري رقم ٢/١٠/١٦٢٠ في تاريخ ١٠/٥/١٤٠٧هـ والصادر من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة.

٢. إعداد برنامج شامل لتوعية الحج:

تعتبر فريضة الحج من أبرز المواسم التي يحرص الداعية على أن يبلغ فيها دين الله تعال، وقد كان النبي ﷺ، قبل الهجرة يستثمر هذا الموسم، فعن جابر بن عبد الله، قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»، فأتاه رجل من همدان فقال: «ممن أنت؟» فقال الرجل: من همدان قال: «فهل عند قومك من منعة؟» قال: نعم، ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم، فأخبرهم، ثم آتيك من عام قابل، قال: «نعم»، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب)[1].

وقد قال الله تعالى عن الحج: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾[2]، و(المنافع التي يشهدها الحجيج كثير. فالحج موسم ومؤتمر. الحج موسم تجارة وموسم عبادة. والحج مؤتمر اجتماع وتعارف، ومؤتمر تنسيق وتعا ون. وهو الفريضة التي تلتقي فيها الدنيا والآخرة كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة.. أصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقا رائجة، حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء.. من أطراف الأرض ويقدم الحجيج من كل فج ومن كل قطر، ومعهم من خيرات بلادهم ما تفرق في أرجاء الأرض في شتى المواسم. يتجمع كله في البلد الحرام في موسم واحد. فهو موسم تجارة ومعرض نتاج وسوق عالمية تقام في كل عام.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ٢٣/ ٣٧٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٨.

وهو موسم عبادة تصفو فيه الأرواح، وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام. وهي ترف حول هذا البيت وتستروح الذكريات التي تحوم عليه وترف كالأطياف من قريب ومن بعيد)[1].

ومن هذا المفهوم عن شريعة عبادة الحج واستثمارها في تبليغ فقد أصدر القرار الإداري من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع[2]، بأن تتولى إدارة الشؤون الدينية توعية الحجاج من منسوبي وزارة الدفاع والطيران، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في معسكرات وزيارة الدفاع والطيران، حيث تقام ثلاث مخيمات، بالإضافة إلى ضيوف صاحب السمو الملكي وزير الدفاع ونائبه.

إن هذه المخيمات الثلاث مخيمات خاصة بضيوف ومنسوبي وزارة الدفاع، وتتولى إدارة الشؤون الدينية الحسبة فيها، وذلك ضمن برامج ولجان معدة مسبقاً لذلك، وقد كان من توفيق الله علي مشاركتي لعامي (١٤٣١و١٤٣٢هـ) في برنامج الحج.

وقد أعدة إدارة الشؤون الدينية خطة علمية، شاملة للموارد البشرية والمالية والمادية، كما تم تقسيم عدد من اللجان تتولى برامج الحج من المحاضرات والكلمات والفتاوى، وتوزيع الكتب والمطويات على المشاركين في مخيمات وزارة الدفاع وغيرهم من الحجاج.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٤١٩.

(٢) القرار الإداري رقم ١٢٨٩ في تاريخ ١٣٩٧/٦/٢١هـ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران.

ويبدأ البرنامج العلمي للحج من تاريخ ١٢/١ وينتهي بتاريخ ١٢/١٥ وقبل توافد الحجيج تقوم إدارة الشؤون الدينية بتوعية والاحتساب على الوحدات العسكرية المشاركة في الحج والتابعة لوزارة الدفاع والطيران.

ومنذ يوم السابع من ذي الحجة تبدأ البرامج العلمية لضيوف معسكرات وزارة الدفاع، حيث يوجد في كل معسكر مسجد يكون من خلاله انطلاقة أنشطة الشؤون الدينية.

ويتولى إلقاء الكلمات والإجابة على استفسارات الحجاج، من ضباط ومرشدي الشؤون الدينية، كما تم التنسيق مع عدد من أعضاء هيئة كبار العلماء لاستضافتهم في برنامج الكلمات والفتاوى. كما تتولى إدارة الشؤون الدينية برامج توعوية في عرفة.

ثانياً: إصدار مجلة تعنى بالثقافة والعلوم العسكرية بنظرة شرعية:

لقد أدركت إدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع أهمية الجانب الإعلامي، وأثره على العسكريين، ولذا فقد صدر قرار إداري بإنشاء مجلة إسلامية عسكرية، تعنى بتثقيف العسكري في أمور دينه ودنياه، وتجيب على استفساراته، وقد صدر القرار الإداري من الأمر السامي الكريم الصادر من ديوان رئاسة مجلس الوزراء والموجه إلى معالي وزير الإعلام[1].

ومما جاء في أول أعداد (**مجلة الجندي المسلم**) كلمة فضيلة مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة، المشرف العام على المجلة، قوله: (.. إنها خطوة مباركة سوف يعقبها خطوات أخرى بإذن الله وإن الذي

(١) القرار الإداري رقم ٧٧١/٧/م وتاريخ ١٤٠٤/٢/٩ والصادر من المقام السامي الكريم.

يدفعنا ويشجعنا على العمل وعلى مضاعفة الجهود هو ما نراه من حرص المسئولين ورغبتهم الأكيدة في نشر الفائدة وبث الوعي الإسلامي الصحيح بين أفراد ومنسوبي هذه الوزارة ومما يدل على ذلك هو تأسيس هذه الإدارة وتكليفها بأعباء مسؤولية الدعوة إلى الله ومحاربة الأفكار الهدامة والمبادئ المضللة والدعوات المنتشرة على يدي أعداء الإسلام) .

إن مجلة الجندي المسلم، مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر، أي إنها تصدر أربع مرات في السنة الواحدة، ورغبة من إدارة الشؤون الدينية أن يعم نفعها للمسلمين عامة، فقد طلب مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة بكتابه الموجه[1] إلى معالي رئيس هيئة الأركان العامة الإذن بإنزال المجلة للبيع في الأسواق المحلية، وصدرت موافقة معاليه على ذلك[2].

وما زال للمجلة دور بارز في الدعوة إلى الله تعالى من خلال مقالاتها، وكذلك أبوابها الثابتة، أو ما تصدره المجلة من ملاحق علمية تتناول الجوانب الدعوية والتي تهم بصفة الخصوص العسكريين، كما كان للمجلة الدور البارز بإظهار العسكرية الإسلامية بمظهرها الصحيح، وذلك من خلال سيرة القادة الفاتحين وجنوده المخلصين.

ثالثاً: المشاركة في المعارض الدعوية:

ومن البرامج الدعوية مشاركة إدارة الشؤون الدينية بجميع أفرع القوات المسلحة، وكذلك الخدمات الطبية بالمعارض الداخلية والخارجية، ومن خلال

(١) انظر كتاب مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة رقم ٢٢٨٥ وتاريخ ١٤٠٣/٧/١٤هـ.

(٢) القرار الإداري رقم ٥٤٨٢ وتاريخ ١٤٠٣/٧/٢٥ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

هذه المعارض تبرز إدارة الشؤون الدينية دورها ومنهجيتها في الدعوة إلى الله تعالى، عبر اللوحات والمطبوعات والمطويات، وكذلك المشاركة في أوراق العمل العلمية.

ومن أبرز هذه المعارض المعرض الذي تشرف على تنظيمه وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ويعنى بالوسائل الدعوية وهو معرض (كن داعياً).

وقد تم إصدار قرار إداري للسماح بإدارة الشؤون الدينية المشاركة في معرض (كن داعيا)، حيث أصدر صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران، موافقته للمشاركة في معرض (كن داعياً) في دورته الثالثة عشرة[1]، وذلك بناء على كتاب معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد[2].

ومن خلال هذا المعرض تم نقل تجربة إدارة الشؤون الدينية في دعوة العسكريين إلى الله تعالى، وتبصيرهم لأمور دينهم، وقد استفادت القطاعات العسكرية الأخرى من هذه التجارب.

رابعاً: عقد دورات تدريبية في العلوم الشرعية:

من أبرز ما يميز التنظيم العسكري، التطوير المستمر لمنسوبيه في أداء المهمة، ولهذا فقد استثمرت إدارة الشؤون الدينية هذا المجال بتوعية الجانب الديني، والتحذير من المخالفات الشرعية عبر الدورات الشرعية.

فمن المكاتبات الإدارية في هذا المجال الكتاب الصادر من معالي قائد القوات البرية بشأن إبراز مهمة الشؤون الدينية والمتمثلة بعقد الدورات

(١) القرار الإداري رقم ١٦٤٨٠/١/١/١ وتاريخ ١٤٣٢/٤/٢ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران.

(٢) انظر كتاب معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد رقم ٩٥٦/١/٧ وتاريخ ١٤٣٢/٣/٢٧هـ.

والندوات والدروس والمحاضرات ونحوها التي من شأنها تفقيه المنسوبين، وتبصيرهم في أمور دينهم ودنياهم[1].

ومن المكاتبات الإدارية في هذا الشأن كتاب مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة المتضمن طلب إدراج التوعية الإسلامية بصفة دائمة في التوجيه التدريبي للقوات المسلحة[2]، وتم استحسان وقبول المسئولين في وزارة الدفاع لهذا المطلب، وتم اعتماده والعمل به.

كما أصدر سعادة قائد المنقطة الشمالية قراراً إدارياً يلزم بعض العسكريين، حضور دورات علمية تعقدها الشؤون الدينية في المنطقة، وتخصص هذه الدورات في علوم الدين الأساسية، وبعض العبادات من أداء الصلاة والطهارة لها، وكذلك تعلم تلاوة القرآن الكريم لما ظهر على بعض العسكريين اللحن الجلي[3].

خامساً: تخصيص جزء من التعليمات اليومية للشؤون الدينية:

ضمن التنظيمات العسكرية قبل البدء في اليوم العسكري، تقام حصة في بداية البرنامج اليومي للعسكريين، وتشمل جميع منسوبي الوحدات العسكرية، وتتضمن هذه الحصة بعض التوجيهات والتدريبات العسكرية، ورغبة في استثمار التواجد العددي الكبير للعسكريين فقد أصدر معالي قائد القوات البرية بتخصيص جزء من الحصة الصباحية للشؤون الدينية، تستثمر بالتوجيهات والنصائح الدينية النافعة لهم[4].

---

(١) القرار الإداري الصادر من معالي قائد القوات البرية رقم ٢٢٢٦ وتاريخ ١٤١٥/١٠/١٤هـ.

(٢) القرار الإداري رقم ١٧٢٢ في تاريخ ١٤١٤/٦/١٠ والصادر من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة.

(٣) القرار الإداري رقم ٦٠٥/١٧/١٨/٣ في تاريخ ١٤٢٧/٤/٩ والصادر من قائد المنطقة الشمالية.

(٤) القرار الإداري رقم ١٧٥٨/٣٠/٣ في تاريخ ١٤٢٧/٥/٧ والصادر من معالي قائد القوات البرية.

سادساً: استثمار البرامج العالمية والمناسبات الدولية للدعوة إلى الله تعالى:

ومن البرامج الدعوية التي قامت بها إدارة الشؤون الدينية استثمار البرامج العالمية، والمناسبات الدولية وذلك لغرض الدعوة إلى تعالى، وإبراز محاسن الدين، وبيان قيمه ومبادئه.

لقد سلكت إدارة الدينية على هدي النبي ﷺ، باستثمار مجمعات الناس ومناسباتهم ليدعوهم إلى الله تعالى، فقد ذكر ابن اسحاق أن الرسول ﷺ، (كان يعرض نفسه في المواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه الله به)[1].

ومن هذه البرامج اليوم العالمي لمكافحة المخدرات، حيث تم إصدار قرار إداري من معالي رئيس هيئة الأركان العامة في توعية المنسوبين بأضرار المخدرات والمسكرات، وأن تتولى إدارة الشؤون الدينية إقامة المحاضرات والندوات حسب الإمكانيات المتوفرة، وتخصيص خطبتي صلاة الجمعة للتوعية بأضرار المخدرات والمسكرات[2] وبيان خطرهما على الدين والعقل والنفس والمال والعرض.

سابعاً: عقد دورات لبرامج شرعية محددة:

من الوسائل التي سلكتها إدارة الشؤون الدينية بتطبيق الدعوة إلى الله تعالى، إقامة دورات تدريبية ضمن برنامج شرعي محدد، وقد صدر القرار

(١) سيرة ابن هشام -١/٤٢٢.

(٢) البرقية الصادرة من معالي رئيس هيئة الأركان العامة-رقم ١٠٩٦ وتاريخ ١٤٣٠/٦/٣هـ.

الإداري من معالي قائد القوات البرية، والمتضمن مهام وواجبات الشؤون الدينية والتي من ضمنها كما في فقرة (ش): (الإعداد لعقد دورات توعية لمنسوبي القوات البرية، والاستعانة بمن تدعو الحاجة لهم في ذلك)[1].

وهذه الدورات إلزامية المشاركة فيها، فمن هذه الدورات التي عقدتها الإدارة في جميع أفرع القوات المسلحة، ما يلي:

١. دورة التوعية الإسلامية بإضرار المخدرات والمسكرات، ومدة هذه الدورة شهر كامل، يتخللها فقرات وعظية، وزيارات ميدانية لبعض المستشفيات المتخصصة. وقد تم صدور القرار الإداري لدورة التوعية الإسلامية بإضرار المخدرات والمسكرات بموافقة معالي رئيس هيئة الأركان العامة[2]، وتم إحداث منهج علمي لهذه الدورة، وقد تشرفت بالتدريس لعدد من الدورات.

٢. دورة في مهارات الإلقاء وفن التأثير: ومن هذه الدورات المنظمة، دورة في مهارات الإلقاء وفن التأثير، ومدة هذه الدورة خمسة أيام، وقد صدر القرار الإداري لهذه الدورة من معالي قائد القوات البرية، كما في كتاب مدير إدارة الشؤون الدينية[3].

٣. دورة لضباط الشؤون الدينية لمدة سنة دراسية: لقد صدر القرار الإداري بعقد دورة في العلوم الشرعية وتخص ضباط الشؤون الدينية في وزارة

---

(١) القرار الإداري الصادر من معالي قائد القوات البرية رقم ١٤١٢/٢/٣/٣ وتاريخ ١٤١٥/١٠/١٣هـ.

(٢) القرار الإداري رقم ١٤٤٨ في تاريخ ١٤١٥/٣/٢٠ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٣) القرار الإداري رقم ١٤٠٠/٣٠/٣ في تاريخ ١٤٢٦٤/٤/٢٧ والصادر من مدير إدارة الشؤون الدينية للقوات البرية.

الدفاع، وتعقد هذه الدورة سنويا مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وذلك بناء على القرار الصادر من مدير إدارة تدريب القوات المسلحة[1].

ثامناً: إقامة المسابقات الثقافية بين الوحدات العسكرية ورصد الجوائز:

حرصت إدارة الشؤون الدينية على تنوع البرامج الدعوية في القطاعات العسكرية، وذلك بما يتناسب مع البيئة العسكرية، ومن هذه البرامج إقامة مسابقات ثقافية بين الوحدات العسكرية، وتم رصد جوائز لها.

وقد صدر القرار الإداري بذلك من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران[2]، والمبلغ به جميع أفرع القوات المسلحة عن طريق معالي رئيس هيئة الأركان العامة[3].

تاسعاً: العناية بالمبتعثين من العسكريين للدراسة في الخارج:

قد تضطر وزارة الدفاع إلى إرسال بعض العسكريين للدورات الخارجية، فرغبة في تثقيف المبتعث للخارج لأصول دينه، وتعزيز مفهوم الانتماء لدينه وقيمه وبلاده، فتقيم إدارة الشؤون الدينية، برنامجاً توعوياً للمبتعثين، وذلك بعقد دورة في توجيه المبتعث للخارج من العسكريين، وقد صدر القرار الإداري من معالي رئيس هيئة الأركان العامة، والذي يلزم جميع الوحدات العسكرية التي ستبتعث منسوبيها للخارج بحضور دورة الشؤون الدينية[4].

---

(١) القرار الإداري الصادر رقم ١٩٤ وتاريخ ١٤١٨/١/٦هـ.

(٢) القرار الإداري رقم ١٤٦٨/٢/١/١ في تاريخ ١٤١٤/٦/١٥ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع.

(٣) القرار الإداري رقم ١٩٩٩ في تاريخ ١٤١٤/٦/١٥ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٤) القرار الإداري رقم ٤٢٧٢/٥/٢ في تاريخ ١٤١٧/٦/١٦ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

ومما يتناول في هذه الدورة والتي مدتها خمسة أيام، الجوانب العقائدية المؤصلة بالكتاب والسنة، والرد على كثير من الشبه التي تثار في بلاد الغير مسلمة، (كمثل تعدد الزوجات، نقد بعض أحكام الشريعة، قضايا المرأة...) الخ من الموضوعات والشبهات.

عاشراً: إعداد برامج تطوير أداء الدعاة من منسوبي إدارة الشؤون الدينية:

لقد أولت إدارة الشؤون الدينية الاهتمام بالقائمين على الدعوة من منسوبيها، وأقامت برامج لتطوير الأداء، ومن هذه البرامج عقد دورات شرعية متخصصة في مجال الأمن الفكري، لمنسوبي الإدارة من ضباط ومرشدين ومدرسي العلوم الشرعية في إدارات الشؤون الدينية.

وقد صدر القرار بعقد هذه الدورة ولتي مدتها شهر، من صاحب السمو الملكي مساعد وزير الدفاع والطيران[1]، وتعقد في السنة مرتين، ويستضاف لها أعضاء من هيئة كبار العلماء، ومن أساتذة الجامعات من المتخصصين في الدراسات العقائدية والفكرية.

ومن برامج تطوير الأداء أيضاً أصدر مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة قرارا إدارياً ينص على الموافقة التحاق ضباط التوعية الإسلامية بالدراسات العليا[2]. ومن فوائد هذا القرار أصبحت تحتوي

(١) انظر: القرار الإداري الصادر من صاحب السمو الملكي مساعد وزير الدفاع والطيران للشؤون العسكرية- رقم ٩٧٧/٢/١/١ وتاريخ ١٤٢٧/١١/١هـ . القرار الإداري رقم ٦٩٥٠/٥/٣/٢ في تاريخ ١٤٢٦/٤/٢٤ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٢) القرار الإداري رقم ٨٢٨/١٠/٢ في تاريخ ١٤٠٣/٣/٢٤ والصادر من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة.

أنشطة إدارات الشؤون الدينية عدداً من ضباط التوعية الحاصلين على درجة الدكتوراه والماجستير.

ومن العناية بالمنسوبين عقد دورة الأئمة والخطباء من العسكريين والمدنيين في الإسكانات والوحدات العسكرية، وتعقد هذه الدورة بالمعهد العالي للأئمة والخطباء، بجامعة طيبة، وتم إصدار القرار الإداري لهذه الدورة[1].

الحادي عشر: إقامة جولات دعوية للوحدات العسكرية:

من المهام الأساسية لضباط التوعية الإسلامية والمرشدين في إدارة الشؤون الدينية، مناصحة، وإرشاد المتهاونين في أمر من أمور الشرع بالحكمة والموعظة الحسنة. وكذلك العمل على عقد الندوات، والدروس، والمحاضرات ونحوها، التي من شأنها تفقيه العسكريين وتبصيرهم في أمور دينهم ودنياهم، والتنسيق في تبادل الزيارات الميدانية لضباط التوعية الإسلامية[2].

ومن البرامج الناجحة في الدعوة إلى الله إعداد برنامج مجدول، لعدد من المرشدين وضباط التوعية للقيام بالجولات الدعوية، في المدن العسكرية، والقواعد الجوية. وتتولى إدارة الشؤون الدينية التنسيق بين الدعاة وبين الجهات المزارة من الوحدات العسكرية، وتكون كل جولة دعوية لمدة خمسة أيام فأكثر.

---

(١) القرار الإداري رقم ١٧٧٢/٣٠/٣ في تاريخ ١٤٣١/٣/٢٢ والصادر من مدير إدارة الشؤون الدينية للقوات البرية.

(٢) القرار الإداري رقم ٢٢٢٦/٣٠/٣ وتاريخ ١٤١٥/١٠/١٤هـ والصادر من معالي قائد القوات البرية. وانظر: مهام وواجبات وارتباطات إدارة الشؤون الدينية في القوات البرية والأقسام التابعة لها-٩.

كما صدر قرار إداري من معالي رئيس هيئة الأركان العامة، السماح لضباط التوعية الإسلامية، الذين في دورات أو زيارة أو انتداب بالدعوة إلى الله تعالى[1].

الثاني عشر: إقامة لقاء سنوي لضباط التوعية في المناطق العسكرية:

إن الداعية إلى تعالى في دعوته يهتم أكثر بالبحث عن المعين والناصر له في دعوته، ولذا فقد قال الله تعالى عن نبيه عيسى ﷺ، ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]، فهو قد سأل وبحث عن الأعوان (على المكذبين بحجة الله، والمولين عن دينه، والجاحدين نبوة نبيه إلى الله عز وجل)[3].

ولذا تحرص إدارة الشؤون الدينية على العمل الدوري لرعاية الدعاة، وذلك من خلال عقد لقاء سنوي لضباط التوعية في المناطق العسكرية، وقد صدر قرار إداري لهذا اللقاء المبارك[4]. والذي يتم فيه عرض أبرز الأفكار الجديدة لوسائل الدعوة إلى الله تعالى، وإعداد دراسات عن بعض الظواهر التي قد تظهر على بعض العسكريين.

---

(١) القرار الإداري رقم ٢٨٩/١٠/٢ وتاريخ ١٤٠٤/١/٢٦هـ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة. وانظر برنامج أحد الجولات الدعوية، والصادر بموافقة معالي رئيس هيئة الأركان العامة رقم ٩٤٩ وتاريخ ١٤٢٨/٢/١٦هـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية:٥٢.

(٣) تفسير الطبري - ٥/٤٣٦.

(٤) القرار الإداري من سعادة قائد المنطقة الجنوبية رقم ٢٩٤/١١/١٧/٣ وتاريخ ١٤٢٨/١/٢٣هـ.

ومن أمثلة هذه الدراسات والتي تمت موافقة صاحب السمو الملكي مساعد وزير الدفاع والطيران للشؤون العسكرية عليها[1]، دراسة علمية عن : (أهمية إدارة الشؤون الدينية في محاربة الأفكار المنحرفة الدخيلة ومعالجتها بطريقة حكيمة، وفق رؤية شرعية).

الثالث عشر: إقامة برامج ثقافية في الوحدات العسكرية والإسكانات العسكرية ضمن خطة دورية:

إن الوحدات والإسكانات العسكرية تتميز بخصوصية، تختلف عن بقية المنشآت الأخرى المدنية، فقد حرصت إدارة الشؤون الدينية على تنفيذ عددا من البرامج الدعوية، مع مراعاة الخصوصية للوحدات العسكرية.

وقد صدر قراراً إدارياً من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع بإقامة خيمة دعوية في الإسكان العسكري[2]، وتتضمن هذه الخيمة الجوانب الوعظية، والتحذير من المخالفات العقائدية كالسحر والشعوذة، ووسائل الشرك، ومما تتضمنه الخيمة الدعوية التحذير من المسكرات والمخدرات، مع بيان أسباب الوقوع في المعاصي، وطرق العلاج الثابتة بالكتاب والسنة. وتمتد فائدة هذه الخيمة إلى عوائل العسكريين في الإسكان، وكذلك الأبناء من ذكور وإناث.

كما أقامت الإدارة موسماً ثقافياً دورياً، تلقى فيه بعض المحاضرات والندوات، يستفيد منه العسكريون، ومن ضمن برنامج الملتقى توزيع الكتب

(١) القرار الإداري رقم ٢/٥/٢٠٠٨ في تاريخ ١٤٢٥/٣/٣٠ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٢) القرار الإداري رقم ٤٩٤/١/١/٢ في تاريخ ١٤١٩/٦/٢٨ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع.

والمطويات والأشرطة التي تعالج كثيراً من المخالفات العقائدية والسلوكية والمالية لدى بعض العسكريين. وقد أصدر قرار إداري بهذا المنشط المبارك[1].

الرابع عشر: استضافة العلماء والدعاة من خارج وزارة الدفاع للمشاركة في الدعوة:

من الأمور المقررة أن تتهيأ الأمة للعلم والعمل معاً، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في كتابه، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2] فمن تفسير السلف لهذه الآية الكريمة:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً } يقول: ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا النبي ﷺ وحده، { فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ } يعني: عصبة، يعني: السرايا، ولا يَتَسرَّوا إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبي ﷺ، وقالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم قرآنا، وقد تعلمناه. فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم، ويبعث سرايا أخرى، فذلك قوله: { لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ } يقول: ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم، وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم { لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }[3].

---

(١) القرار الإداري رقم ٢/١/١/٨٧ في تاريخ ١٤٠٧/٢/١٠ والصادر من معالي رئيس هيئة الأركان العامة.

(٢) سورة التوبة آية (١٢٢).

(٣) تفسير ابن كثير-٤/٢٣٦.

وقد حرصت إدارة الشؤون الدينية على مشاركة العلماء والدعاء في برامج الدعوة للعسكريين، وصدر القرار الإداري بأن من مسؤولية الشؤون الدينية إلقاء المحاضرات والندوات، وأنها الجهة المخولة للتنسيق مع مراكز الدعوة والإرشاد[1].

كما صدرت موافقة صاحب السمو الملكي وزير الدفاع على استضافة العلماء والدعاة لإلقاء محاضرات في الخطوط الأمامية أثناء الحروب ومقابلة العدو[2]. وقد أمر الوزير بالتنسيق مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف وإدارة الشؤون الدينية بالقوات المسلحة، لغرض إيجاد صلة وتنسيق تعاون بينهم[3].

ولم تقتصر الاستفادة من العلماء فقط على الاستضافة، بل تتعداه إلى الاستشارات الشرعية، واللقاءات العلمية مع كبار العلماء، والرفع إليهم عن الاستفسارات العلمية وطلب الفتاوى، ومن هذه الأمثلة فقد أصدرت إدارة الشؤون الدينية للقوات الجوية كتاباً يحتوي على عدد من الفتاوى الصادرة من هيئة كبار العلماء، وهي إجابة مسائل واردة من بعض العاملين بالقواعد الجوية من الطيارين والأطقم الجوية[4].

ومن أبرز الشواهد على هذا البرنامج الدعوي بأننا لو تصفحنا ما تحتويه مجموعة فتاوى اللجان الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، لوجدنا الكم الهائل من الاستفسارات العلمية، والتوجيهات المباركة في علاج كثير من المظاهر السلوكية عند بعض العسكريين.

---

(١) القرار الإداري رقم ١٥٩/ش في تاريخ ١٤١٦/٥/١٥ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران.

(٢) القرار الإداري رقم ٧٢٠/١٠/٢ في تاريخ ١٤١١/٣/٥ والصادر من مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة.

(٣) القرار الإداري رقم ٤٤٤١/١/١/١ في تاريخ ١٤١٥/١١/٢٢ والصادر من صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران.

(٤) انظر: كتاب سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية رقم ٣٢٠٠٣٦٢٨ وتاريخ ١٤٣٢/٨/١٩هـ رداً على كتاب سعادة مدير عام إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة رقم ٧٥٦/١٠/٢ وتاريخ ١٤٣٢/٢/٢١هـ.

التوصيات

بعد دراسة نماذج الدعوة ووسائلها لإدارة الشؤون الدينية من خلال المناشط والبرامج الدعوية، والصادرة بقرارات إدارية من الجهات المعنية في وزارة الدفاع، أختم هذا البحث بأبرز التوصيات، ومن أهمها ما يلي:

١) جمع القرارات الإدارية والمتعلقة بالدعوة الصادرة من أصحاب الاختصاص في وزارة الدفاع، وتصنيفها وتنظيمها في كتاب مستقل لتصبح كما هو معروف في علم الإدارة (أوامر مستديمة).

٢) التأكيد على أهمية اطلاع ضباط التوعية خاصة وضباط الشؤون الدينية عامة، حديثي التخرج على هذه القرارات والأوامر وتدريبيهم ميدانياً على آلية استثمارها في الدعوة إلى الله.

٣) إنشاء كرسي علمي يتعلق بالدراسات العسكرية الدعوية، ويتناول جميع القضايا لدى العسكريين والمتعلقة بالأمور الدينية والرفع من الروح المعنوية.

٤) إيجاد شراكة بين إدارة الشؤون الدينية والمؤسسات الخيرية المناحة في تنفيذ البرامج الدعوية في الوحدات العسكرية الميدانية، والمناطق السكنية.

٥) استثمار أعضاء هيئة التدريس من المدنيين في الكليات والمعاهد العسكرية، في برامج الدعوة إلى الله تعالى بين العسكريين.

٦) عناية وتطوير مكاتب التوجيه والإرشاد، ودعمها مادياً وبشرياً، فهي بلا شك صمام أمان في وحداتنا العسكرية.

٧) إنشاء مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات العسكرية الإسلامية، والتواصل في ذلك مع الجامعات والمراكز العلمية المتخصصة.

٨) تطوير أداء ضباط التوعية والدعاة في إدارة الشؤون الدينية بما يتلائم مع متغيرات العصر، وثورة المعلومات.

٩) استثمار الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى بين العسكريين، وإصدار قرارات إدارية من الجهات ذات الاختصاص لتسهيل مهمة الشؤون الدينية وتمكينها من ذلك.

١٠) إنشاء معهد متخصص في الدعوة إلى الله لتأهيل ضباط ومرشدي إدارات الشؤون الدينية، وذلك أسوة بالوحدات العسكرية الأخرى.

١١) التنسيق بين مكاتب التوجيه والإرشاد في القطاعات العسكرية، والمكاتب التعاونية في القطاعات المدنية، من أجل تبادل الخبرات والوسائل المعينة لتحقيق سلامية المجتمع (المدني والعسكري) من الشرور والآثام.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الأحكام السلطانية- الماوردي- دار الحديث — القاهرة.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب-ابن عبدالبر.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة- دار الجيل — بيروت —ط: ١- ١٤١٢هـ، تحقيق : علي محمد البجاوي.

٤. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء- سليمان الحميري، أبو الربيع -دار الكتب العلمية — بيروت-ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

٥. الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة — عبدالله التركي- ط:١- وزارة الشئون الإسلامية- ١٤١٨هـ.

٦. تفسير ابن كثير- تحقيق : سامي بن محمد سلامة- دار طيبة-ط:٢- ١٤٢٠هـ.

٧. تفسير الطبري- تحقيق : أحمد محمد شاكر-مؤسسة الرسالة-ط:١- ١٤٢٠هـ.

٨. تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن- السعدي- تحقيق : عبد الرحمن اللويحق- مؤسسة الرسالة-ط:١-١٤٢٠هـ.

٩. الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث-أحمد بن عبد الكريم الغزي- تحقيق : فواز أحمد زمرلي-دار ابن حزم.

١٠. الحسبة والدعوة –عوض بن رويشد السحيمي–دار السلام–الرياض–١٤١٣هـ.

١١. سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين–د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان.

١٢. سنن ابن ماجة– دار الفكر – بيروت–تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

١٣. سيرة ابن هشام– تحقيق: طه عبد الرءوف سعد– شركة الطباعة الفنية المتحدة.

١٤. الشرح الكبير–ابن قدامه– دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

١٥. صحيح البخاري – دار ابن كثير، اليمامة – بيروت– ط:٣–١٤٠٧هـ.

١٦. صحيح مسلم– دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.

١٧. غياث الأمم في التياث الظلم–الجويني –مكتبة إمام الحرمين–ط: الثانية، ١٤٠١هـ.

١٨. فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى– جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

١٩. فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الثانية – جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

٢٠. في ظلال القرآن–سيد قطب– دار الشروق – بيروت– القاهرة– الطبعة: ١٧– ١٤١٢هـ.

٢١. مجلة الجندي المسلم-السنة التاسعة (١٤٠٢هـ)-العدد ٢٥ .
٢٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - أنور الباز - عامر الجزار- دار الوفاء-ط:٣-١٤٢٦هـ.
٢٣. المجموع شرح المهذب-النووي- دار الفكر.
٢٤. مركز الوعظ والإرشاد بكلية الملك عبدالعزيز الحربية-نشرة تعريفية خلال الفترة من ١٤٢١هـ إلى ١٤٢٦هـ.
٢٥. مسند أحمد بن حنبل- تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي-مؤسسة الرسالة-ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.
٢٦. مشاهير علماء نجد وغيرهم- عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ-دار اليمامة-ط:١-١٣٩٢هـ.
٢٧. النشرة التعريفية عن مكتب التوجيه والإرشاد بمدينة الملك فيصل العسكرية بالجنوبية.
٢٨. النظام الداخلي للقوات المسلحة العربية السعودية-الصادر بموافقة الملك عبدالعزيز رقم ٩٥/٨/١٠ في تاريخ ١٣٦٦/١/١١هـ.
٢٩. النهاية في غريب الأثر والحديث-أبو السعادات- المكتبة العلمية- بيروت-١٣٩٩هـ-تحقيق : طاهر أحمد.

البحث رقم (٧)

الاحتساب على التعسف في استخدام الحق

إعداد

د.رزين بن محمد الرزين

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ثم أما بعد:

فقد جاءت هذه الشريعة السمحة بإيفاء كل ذي حق حقه، وأن تؤدى الحقوق لأهلها، وأن يمكن صاحب الحق من حقه، وأن يسير الناس في هذه الحياة ليعمروها ويستمتعوا بما أباح الله لهم، ولكن هذا التصرف بالحقوق والاستمتاع بالمباحات يجب أن لا يخرج عن حدود المشروعية، وأن يتوافق مع الغايات الشرعية، وألا يؤدي هذا الاستعمال للحقوق لضرر مادي أو معنوي لأحد من أفراد المجتمع، أو للمجتمع عموماً، وألا يستعمل الحق لمقاصد وغايات غير مشروعة، والحسبة باعتبارها ولاية شرعية معنية بتحقيق الصالح العام للمجتمع المسلم من أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو تحقيق لمصلحة، أو درء لمفسدة؛ معنية بهذا الأمر وبمراقبته لمنع أي ضرر قد يقع، وسد أي مفسدة محتملة، وقد حفلت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية، بالأدلة على منع التعسف في استعمال الحق، ودفع الضرر، وحفل كلام العلماء واستنباطاتهم من قواعد فقهية وضوابط بمثل ذلك، حتى حكى بعض العلماء الإجماع عليه، ومجال الاحتساب على التعسف في استعمال الحق ليس مجالا افتراضيا، بل إنه واقع فعلي تسنده آيات القرآن الكريم وأقوال النبي ﷺ وأفعاله، وفعل سلف هذه الأمة، وعناية المحتسبين به، وعناية علماء الحسبة منذ بدء تدوينها.

ولإلقاء الضوء على هذا الموضوع من وجهة نظر الحسبة، باعتباره مجالا مهماً من مجالاتها، ينبغي أن يأخذ حيزاً من اهتمام القائمين عليها

والباحثين فيها؛ سعيت لكتابة هذا البحث المتواضع، سائلا الله تعالى العون والتوفيق والسداد.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان مفهوم التعسف في استعمال الحق ومشروعية الاحتساب عليه.

٢. بيان أنواع التعسف في استعمال الحق وصوره وموقف الحسبة منها.

٣. عرض نماذج للحسبة على التعسف في استعمال الحق.

الدراسات السابقة:

حظي هذا الموضوع أعني التعسف في استعمال الحق بعناية بعض الباحثين في بعض التخصصات ولاسيما في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، ومن أقدم الدراسات في هذا المجال دراسة الدكتور فتحي الدريني التعسف في استعمال الحق[١]، وقد تناول في هذه الدراسة بيان نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، وتكييفها الفقهي، وتمييز التعسف في استعمال الحق عن مجاوزته، وأدلة هذه النظرية، واستعرض هذه النظرية في القواعد الفقهية وكلام فقهاء المذاهب الأربعة، ومقارنة هذه النظرية بين الفقه والقانون الوضعي.

ومنها أيضا دراسة د. إسماعيل كاظم العيساوي بعنوان استعمال الحق لغير مصلحة مشروعة أو لقصد الإضرار بالغير: دراسة مقارنة[٢]، وقد توصل

---

(١) د.فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي(لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م).

(٢) بحث منشور في "المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية"، المجلد الخامس، العدد (٣/ب)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

فيه إلى أن استخدام الحق لقصد الإضرار بالغير أو لتحقيق مصلحة غير مشروعة، أمر مرفوض في الشريعة الإسلامية، وأن الشريعة الإسلامية سبقت التشريعات الوضعية بالأخذ بمعيار التعسف في استعمال الحق، وهو انتفاء المصلحة المشروعة، وأن المصلحة غير المشروعة تتحقق في استعمال الحق في غير الغرض أو المصلحة التي من أَجلها شرع؛ لأنَّ قصد ذي الحق في العمل هنا مضاد لقصد الشارع في التشريع، ومعاندة قصد الشارع باطلة، فيكون باطلاً بالضرورة كل ما أدى إلى ذلك، ومن التراكمات العلمية النفيسة في هذا المجال ما كتبه الدكتور وهبة الزحيلي حول هذا الموضوع في كتابه النفيس الفقه الإسلامي وأدلته، حيث عالج هذا الموضوع ببراعة وإتقان عرض فيه لقواعد التعسف والأدلة عليه، وأحكامه، بالإضافة لبعض الدراسات الجامعية التي تناولت الموضوع من جهات معينة منها نظرية التعسف في استعمال الحق في حقل الملكية العقارية، للباحث إيهاب علي محمد عبدالعزيز[1] وقد تناول نظرية التعسف في استعمال الحق في الشريعة والقانون، ثم تناول نظرية التعسف في استعمال الحق في الملكية العقارية في الفقه والقانون والقضاء، ثم قارن بين التعسف في استعمال السلطة والتعسف في استعمال الحق، ومن هذه الدراسات دراسة بعنوان التعسف في استعمال حق الولاية على المرأة للباحث مشعل العتيبي[2] وقد تناول فيه مفهوم التعسف واستعرض صور التعسف في استعمال حق الولاية على المرأة

(١) رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في القانون الخاص من جامعة الشرق الأوسط، عام ٢٠١١/٢٠١٢م.

(٢) للباحث مشعل العتيبي، جامعة نايف العربية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م..

وعقوباته، وموقف المملكة العربية السعودية حيال حماية المرأة من التعسف، ومنها بحث بعنوان تعسف صاحب العمل في علاقته بالعامل في استعمال الحق للباحث حمد بن محمد بن خزينة المري[1] حيث تناول الباحث التعسف والإساءة عند الفقهاء والأصوليين، ثم الحريات والتعسف، ثم تناول حكم التعسف وآثاره، واستعرض تطبيقات التعسف مع العامل في الأنظمة السعودية والعربية وما يتعلق بذلك من تعويض وغيره.

وسأسعى في هذا البحث المتواضع مستعينا بالله تعالى إلى الإسهام في هذا الموضوع بإبراز جانب الاحتساب على التعسف في استعمال الحق الذي - فيما ظهر لي- لم يبحث فيما سبق، راجياً أن يكون هذا البحث المحدود لبنة أولى في هذا المجال، الذي يبدو لي أنه يحتاج دراسات موسعة، خدمة للحسبة، وخدمة للفقه، وأولا وأخيرا خدمة لمصالح المجتمع وأفراده، لتحقيق مقاصد الشريعة وغاياتها.

منهج الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستنباطي، لإبراز موضوع الاحتساب على التعسف في استعمال الحق من خلال استنباط ما ورد في النصوص الشرعية، وكلام أهل العلم.

(١) بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في السياسة الشرعية من المعهد العالي للقضاء، ١٤٢٣/١٤٢٤هـ.

التقسيمات:

المبحث الأول: مفهوم التعسف في استعمال الحق وحكمه، ومشروعية الاحتساب عليه:

المطلب الأول: مفهوم التعسف في استعمال الحق وحكمه.

المطلب الثاني: مشروعية الاحتساب على التعسف في استعمال الحق.

المبحث الثاني: أنواع التعسف في استعمال الحق ونماذج للاحتساب عليه:

المطلب الأول: أنواع التعسف في استعمال الحق.

المطلب الثاني: نماذج للاحتساب على التعسف في استعمال الحق

المبحث الثالث: التدابير الوقائية والعلاجية للتعسف في استعمال الحق.

المطلب الأول: التدابير الوقائية.

المطلب الثاني: التدابير العلاجية.

خاتمة.

المبحث الأول

مفهوم التعسف في استعمال الحق وحكمه، ومشروعية الاحتساب عليه

المطلب الأول

مفهوم التعسف في استعمال الحق وحكمه

مفهوم التعسف في استعمال الحق:

تعرف نظرية التعسف في استعمال الحق بعدة تعريفات منها:

١. هو مناقضة قصد الشارع في تصرف مأذون فيه بحسب الأصل[١].

٢. النسق الجامع للقواعد الحاكمة على تصرفات المكلفين في ما اختصهم به الشرع من الحقوق منعا لها من مناقضة أصل التكليف[٢].

٣. هو تصرُّف الإنسان في حقِّه تصرُّفًا غيرَ مُعتاد شرعًا[٣].

٤. استعمال الإنسان حقه على وجه يضر به أو بغيره[٤].

---

(١) د. فتحي الدريني، التعسف في استعمال الحق، ٨٧.

(٢) الدكتور يوسف حميتو، صلة مبدأ اعتبار المآل بنظرية التعسف في استعمال الحق - العدد ١٢ من مجلة المذهب المالكي.

(٣) أحمد فهمي أبو سنة، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، بحث ضمن أسبوع الفقه الإسلامي.

(٤) د.وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (سوريا، دمشق، دار الفكر، ط٤) ، ٣٨٨/٤.

وهذه النظرية وإن لم تكن موجودة في الفقه الإسلامي بلفظها، فإن معناها موجود ومقرر بادلته التفصيلية، فإن هذه النظرية قد استوت على أصولها في التشريع الإسلامي منذ القدم، وفي فقهه أيضاً تفسيراً وتطبيقاً في شتى مذاهبه الجماعية والفردية على السواء، فتمت بذلك معاييرها، ومؤيداتها، تأصيلاً، وتفريعاً تحديداً وضبطاً، نظراً وعملا[1]، يقول الشاطبي رحمه الله: النظر في مآلات الأفعال مقصود شرعا[2].

وأهم منطلقات هذه النظرية في الفقه الإسلامي:

- أن الحق لا يجوز استعماله بمعناه الشامل للإباحة، في غير ما شرع له من غاية أو مصلحة مرسومة شرعاً، لأنه يناقض أصل العدل في التشريع.
- وجوب إقامة التوازن بين المصالح الفردية المتضاربة، ولو كانت في الأصل مشروعة، وناشئة عن حق، وترجيح ما هو أكثر نفعاً، لأنه أولى بالرعاية، انسجاماً مع الأصل العام في التشريع، مع أن درء المفاسد اللازمة مساوية أو راجحة.
- وجوب تقديم المصلحة العامة، حال تعارضها والمصلحة الفردية، واستحالة التوفيق من باب أولى.

(١) د. فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، ٧ .

(٢) الشاطبي، الموافقات، ٢٥٩/١٠.

- أن الحكم الشرعي، وهو منشأ الحق، يستهدف تشريعه غرضاً مرسوماً، فلا يجوز تجريده منه أو اعتسافه في العمل والتطبيق، حتى لا تكون المناقضة بين قصد الشارع وقصد المكلف، والمناقضة هي عين التعسف، والتعسف هو عين بطلان التصرف ولو كان في الأصل مشروعاً.
- إذا أفضى تطبيق الحكم في ظرف من الظروف إلى مفسدة تربو على ما وضع له من مصلحة، منع التسبب في ذلك، ولو كان القصد حسناً، درءاً للتعسف، لأن العبرة بالمآلات [1].

حكم التعسف في استعمال الحق، وأدلته:

التعسف في استعمال الحق محرم للأدلة الآتية:

أولا: من القرآن الكريم:

١. قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [2].

(١) انظر: د فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، ٢٦-٢٨.

(٢) سورة البقرة، آية : ٢٣١.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: فالرجعة بقصد الإضرار حرام إجماعا، كما دل عليه مفهوم الشرط المصرح به في قوله: ولا تمسكوهن ضرارا الآية، وصحة رجعته حينئذ باعتبار ظاهر الأمر، فلو صرح للحاكم بأنه ارتجعها بقصد الضرر، لأبطل رجعته كما ذكرنا، والعلم عند الله تعالى[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله: وقوله: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾ تصريح بمفهوم ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ إذ الضرار ضد المعروف، وكأن وجه عطفه مع استفادته من الأمر بضده التشويه بذكر هذا الضد[2].

فقد بين الله تعالى في هذه الآية حرمة الإضرار، وأن فاعله مؤاخذ عليه في الآخرة فقد وصف الله فاعله بأنه ظالم لنفسه، وجعل هذا الإضرار مضاداً للمعروف.

٢. وقوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾[3].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله: نبه تعالى على أنه لا يجوز أن تؤذى الوالدة بسبب ولدها بأن تمنع من إرضاع ولدها أو تكره على إرضاعه

(١) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ١/١٠٣.

(٢) الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م) ٢/٤٠٣.

(٣) سورة البقرة، آية :٢٣٣.

وهي لا تريد ذلك، أو تحرم النفقة مقابل الإرضاع أو يضيق عليها فيها كما لا يجوز أن يضار أي يؤذي المولود له وهو الأب: بأن يجبر على إرضاع ولده من أمه وقد طلقها ولا بأن يطالب بنفقة باهظة لا يقدر عليها. (١)

وقال مجاهد رحمه الله: لا تأبى أن ترضعه ضرارا لتشق على أبيه ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ يقول: ولا يضار الوالد بولده فيمنع أمه أن ترضعه ليحزنها بذلك(٢).

وقد استنبط بعض العلماء معاني أخرى للمراد بالإضرار الوارد في هذه الآية ومن ذلك ما قاله الشيخ الغزنوي: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾: بأخذ ولدها بعد ما رضي، بها.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾: أي: الأب بردّ الولد عليه بعد ما عرف أمه ولا يقبل ثدي غيرها. وَعَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ: أي: على وارث الولد من النّفقة، وترك المضارّة ما على المولود له وهو الوالد إذا كان حيّا. (٣)

٣. وقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ (٤).

المراد بالمضارة هنا التضييق عليها في المسكن حتى تضطر للخروج للبحث عن مسكن آخر، قال مجاهد: قال مجاهد في قوله تعالى قوله: (وَلاَ

---

(١) الشيخ أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير(السعودية، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م) ٢٢١/١.

(٢) نقل هذا الأثر الشيخ السيوطي في تفسيره :الدر المنثور في التفسير(مصر، القاهرة، دار هجر، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٣م)٥/٣.

(٣) بيان الحق الغزنوي، إيجاز البيان عن معاني القرآن (لبنان، بيروت، دار الغرب، ١٤١٥هـ) ١٥٦/١.

(٤) سورة الطلاق، آية : ٦.

تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ﴾: في المسكن، وقال مقاتل: في النَّفقة. وهو قول أبي حنيفة، وعن أبي الضحى: أن يطلقها فإذا بقي يومان من عدتها راجعها، ثم طلقها[1].

٤. قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[2].

وجه الاستدلال من الآية: قال ابن عاشور رحمه الله: وهو نهي عن أن يقصد من وصيته الإضرار بالورثة. والإضرار منه ما حدده الشرع، وهو أن يتجاوز الموصي بوصيته ثلث ماله وقد حدده النبي ﷺ بقوله لسعد بن أبي وقاص "الثلث والثلث كثير"[3]. ومنه ما يحصل بقصد الموصي بوصيته الإضرار بالوارث ولا يقصد القربة بوصيته، وهذا هو المارد من قوله تعالى: ﴿ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾. ولما كانت نية الموصي وقصده الإضرار لا يطلع عليه فهو موكول لدينه وخشية ربه، فإن ما يدل على قصده الإضرار دلالة واضحة، فالوجه أن تكون تلك الوصية باطلة لأن قوله تعالى: ﴿ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾ هي عن الإضرار، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه[4].

---

(١) عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)١٩/١٧٠.

(٢) سورة النساء، آية :١٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، رقم ٢٥٩١.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/٥٠.

ومن السنة:

عن عبادة بن الصامت أن رسول الله قضى أن: (لاضرر ولاضرار)[1]، وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: (لاضرر ولاضرار) [2].

ووجه الاستشهاد من هذا الحديث النهي عن الإضرار، بكل صوره وأشكاله، ولو كان ذلك ناتجا عن ممارسة الإنسان لحقه فإنه لا يجوز له المضارة به.

عن أبي صرمة عن رسول الله ﷺ قال: (من ضار أضر الله به ومن شاق شق الله عليه) [3]

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن الإضرار حرام مترتب عليه وعيد بالعقاب من الله تعالى.

الإجماع:

فقد نقل الإجماع على حرمة بعض صور الإضرار باستعمال الحق بعض العلماء ومن ذلك ما ذكره الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، كالرجعة بقصد الإضرار[4].

ومن ذلك ما ذكره ابن جزي المالكي رحمه الله حيث يقول: الضرر المحدث قسمان أحدهما متفق عليه والآخر مختلف فيه فالمتفق عليه أنواع فمنه فتح كوة أو طاق يكشف منها على جاره فيؤمر بسدها أو سترها ومنه

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، برقم ٢٣٤٠، وقال عنه الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، برقم ٢٣٤١، وقال عنه الألباني صحيح لغيره.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، برقم ٢٣٤١، وقال عنه الألباني:حسن.

(٤) الشنقيطي، أضواء البيان، ١٠٣/١.

أن يبني في داره فرنا أو حماما أو كير حداد أو صائغ مما يضر بجاره دخانه فيمنع منه إلا إن احتال في إزالة الدخان ومنه أن يصرف ماءه على دار جاره أو على سقفه أو يجري في داره ماء فيضر بحيطان جاره. (١)

وفي سياق الاستدلال لهذه القضية اعتبر الإمام الشاطبي رحمه الله (لاضرر ولاضرار) أصلاً من أصول الشريعة يقول الشاطبي: ومنه أيضا قوله عليه الصلاة و السلام لا ضرر ولا ضرار فإنه داخل تحت أصل قطعي في هذا المعنى فإن الضرر والضرار مبثوث منعه في الشريعة كلها في وقائع جزئيات وقواعد كليات كقوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ولا تضاروهن التعدي على النفوس والأموال والأعراض وعن الغضب والظلم وكل ما هو في المعنى إضرار وأضرار ويدخل تحته الجناية على النفس أو العقل أو النسل أو المال فهو معنى في غاية العموم في الشريعة لا مراء فيه ولا شك وإذا اعتبرت أخبار الآحاد وجدتها كذلك (٢).

ويروى عن أبي داود رحمه الله قوله: قال الفقه يدور على خمسة أحاديث الحلال بين والحرام بين وقوله صلى الله عليه و سلم لا ضرر ولا ضرار وقوله إنما الأعمال بالنيات وقوله الدين النصيحة وقوله ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم(٣).

---

(١) محمد بن أحمد بن جزي المالكي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، ٣٧١.

(٢) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة(لبنان، بيروت، دار المعرفة) ١٧/٣.

(٣) أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٨هـ) ١٠.

المطلب الثاني

مشروعية الاحتساب على التعسف في استعمال الحق.

بالإضافة إلى الأدلة الكثيرة على مشروعية الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يضيق المجال عن بسطها وعرضها، وبالإضافة إلى ما سبق وما سيأتي من أدلة على تحريم التعسف وتحريم الإضرار؛ إلا أن هناك أدلة أخرى تختص بالدلالة على مشروعية الاحتساب على التعسف وأن الأمر بتركه أمر بالمعروف، وسأكتفي من هذه الأدلة بدليلين:

١. قوله تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[1].

وجه الدلالة من هذه الآية: قوله تعالى " وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ " فقد وجه الله تعالى المؤمنين (وأتمروا بينكم أي ليأمر بعضكم بعضا أيها المؤمنون في إرضاع المطلقة ولدها من المطلق بمعروف مستحسن مقبول شرعا من إعطاء الأجرة الكاملة والزيادة عليها مراعاة للمروءة)[2].

---

(١) سورة الطلاق، آية : ٦-٧.

(٢) نعمة الله بن محمود نعمة الله، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (مصر ، القاهرة، دار ركابي للنشر، ١٩٩٩) ٤٢٤/٢.

٢. حديث السفينة: عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) [(١)].

ووجه الاستشهاد بهذا الحديث أن من هم في أسفل السفينة إنما يتصرفون في ملكهم وفي نصيبهم، ذلك أننا نلحظ أن الحديث يشير إلى أن القوم الذين أرادوا خرق السفينة إنما كانوا يتصرفون في ملكهم ونصيبهم، ولم يتعدوا إلى نصيب غيرهم وذلك واضح من قولهم (لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً)، وعند ابن حبان (وقال الآخر: دعه فإنما يخرق مكانه) [(٢)]، وفي رواية عند أحمد: (فقال بعضهم: إنما يخرق في نصيبه)[(٣)].

والمقصود أن الذم قد لحق بهؤلاء القوم مع أنهم كانوا يتصرفون في حقهم، لكن لما كان استعمالهم لحقهم سيلحق ضرراً بغيرهم وجب منعهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، برقم ٢٣٦١.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، في كتاب البر والإحسان باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم٢٩٧.، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، في حديث النعمان بن بشير رضي الله عن النبي ﷺ، برقم ١٨٤١١.

والأخذ على أيديهم، ومعنى ذلك أن حرية الإنسان في التصرف في حقه مقيدة بعدم الإضرار بالآخرين[1].

وهذا الحديث أصل عظيم في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عامة، وأصل في باب النهي عن التعسف في استعمال الحق، وأن النهي عن التعسف في استعمال الحق مجال مهم من مجالات الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) عبدالآخر حماد الغنيمي، الفوائد من حديث مثل القائم(الأردن، عمان، دار البيارق، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م) ١/٦١.

المبحث الثاني

أنواع التعسف في استعمال الحق ونماذج للاحتساب عليه

المطلب الأول

أنواع التعسف في استعمال الحق

النوع الأول: قصد الإضرار:

إذا قصد الإنسان من استعمال حقه الإضرار لا المصلحة المنشودة من الحق، كان استعماله تعسفاً محرماً، ووجب منعه، ومن صور هذا النوع:

- بناء المساجد للإضرار بها: وأشهر صورة لذلك بناء المنافقين لمسجد الضرار وهدم النبي ﷺ له، قال القرطبي رحمه الله تعليقا على هذه الصورة: قال علماؤنا: لا يجوز أن يبني مسجد إلى جنب مسجد، ويجب هدمه؛ والمنع من بنائه لئلا ينصرف أهل المسجد الأول فيبقى شاغرا، إلا أن تكون المحلة كبيرة فلا يكفي أهلها مسجد واحد فيبنى حينئذ. وكذلك قالوا. لا ينبغي أن يبنى في المصر الواحد جامعان وثلاثة، ويجب منع الثاني، ومن صلى فيه الجمعة لم تجزه[1].
- ورفع الدعوى على الفضلاء بالتهم الباطلة للتشهير بهم.
- تحريم الرجعة إضراراً بالزوجة

(١) الإمام أبو عبدالله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (السعودية، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م)٨/٢٥٤.

- والوصية إضراراً بالورثة والدائنين[1]
- سفر الزوج بزوجته بعيداً عن بلدها وأهلها إضراراً بها[2].

ومن صوره كذلك: إعتاق المكاتب الذي يسعى على رفقائه ليمنع عتقهم:

ذكر الإمام مالك مثالا على ذلك: قال مالك إذا كان القوم جميعا في كتابة واحدة لم يعتق سيدهم أحدا منهم دون مؤامرة أصحابه الذين معه في الكتابة ورضا منهم وإن كانوا صغارا فليس مؤامرتهم بشيء ولا يجوز ذلك عليهم.

قال وذلك أن الرجل ربما كان يسعى على جميع القوم ويؤدي عنهم كتابتهم لتتم به عتاقتهم فيعمد السيد إلى الذي يؤدي عنهم وبه نجاتهم من الرق فيعتقه فيكون ذلك عجزا لمن بقي منهم وإنما أراد بذلك الفضل والزيادة لنفسه فلا يجوز ذلك على من بقي منهم وقد قال رسول الله ﷺ لا ضرر ولا ضرار وهذا أشد الضرر[3].

النوع الثاني: قصد غرض غير مشروع:

إذا قصد الشخص من استعمال حقه تحقيق غرض غير مشروع لا يتفق مع المصلحة المقصودة من الحق، وإنما يستتر وراء استعمال الحق المشروع.

---

(١) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩١/٤.وقد تركت الإشارة إلى الخلاف في هذه المسألة تمشيا مع ما ذكرته في منهج البحث ، ولأن المقصود إيضاح مفهوم الاحتساب على التعسف في استعمال الحق وليس بحث المسائل الفقهية التفصيلية.

(٢) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩١/٤.

(٣) الإمام مالك بن أنس، الموطأ (الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط١، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م) ١١٧٤/٥.

ومن صور ذلك:

- إقرار مريض الموت بالدين لحرمان الورثة أو الدائنين.
- طلاق مريض الموت زوجته فراراً من ميراثها.
- اتخاذ عقد الزواج وسيلة لتحليل المطلقة ثلاثاً لزوجها الأول ولا يقصد به الزواج الدائم.
- اتخاذ عقد البيع وسيلة للربا أو الفائدة، ومنه بيع العينة: وهو شراء شيء بثمن مؤجل ثم بيعه لنفس البائع الأول بثمن فوري أقل من الثمن الأول، قاصداً به الربا.
- ومنه إسلام الزوجة غير المسلمة بقصد الإرث من زوجها
- هبة المال قبيل الحول بقصد إسقاط الزكاة الواجبة. (١)

النوع الثالث: ترتب ضرر أعظم من المصلحة:

إذا استعمل الإنسان حقه بقصد تحقيق المصلحة المشروعة منه، ولكن ترتب على فعله ضرر يصيب غيره أعظم من المصلحة المقصودة منه، أو يساويها، منع من ذلك سداً للذرائع، سواء أكان الضرر الواقع عاماً يصيب الجماعة، أو خاصاً بشخص أو أشخاص. (٢)

فمن الضرر العام: بيع السلاح أثناء الفتنة، وبيعه لقطاع الطرق وبيع العنب للخمار

(١) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩٢/٤.

(٢) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩٢/٤.

الاحتكار: وهو شراء ما يحتاجه الناس وادخاره لبيعه وقت غلاء الأسعار وحاجة الناس إليه. وهو ممنوع للحديث النبوي: «لا يحتكر إلا خاطئ »[1]. قال ابن الإخوة القرشي: وإذا رأى المحتسب أحدا قد احتكر من سائر الأقوات، وهو أن يشتري ذلك في وقت الغلاء، ويتربص ليزداد في ثمنه ألزمه بيعه إجبارا؛ لأن الاحتكار حرام، والمحتكر ملعون[2].

اشتراك أصحاب المهن مع بعضهم ليرفعوا بذلك الأجرة: هذه الصورة من صور التعسف في استعمال الحق نص عليها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فقال: منع غير واحد من العلماء - كأبي حنيفة وأصحابه - القسامين الذين يقسمون العقار وغيره بالأجرة: أن يشتركوا، فإنهم إذا اشتركوا - والناس يحتاجون إليهم - أغلوا عليهم الأجرة، قلت: وكذلك ينبغي لوالي الحسبة: أن يمنع مغسلي الموتى والحمالين لهم من الاشتراك، لما في ذلك من إغلاء الأجرة عليهم؛ وكذلك اشتراك كل طائفة يحتاج الناس إلى منافعهم؛ كالشهود والدلالين وغيرهم [3] .

وأظن أن ما ذكره ابن القيم رحمه الله يشبه ما يحصل في عصرنا الحاضر من التكتلات والاتحادات التجارية بين منتجي كل سلعة على حدة ليتمكنوا من رفع الأسعار دون خوف من المنافسة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب من احتكر فهو خاطئ، برقم ٣٠١٣.

(٢) محمد بن محمد بن أحمد بن الأخوة القرشي، معالم القربة في طلب الحسبة، (مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ص٦.

(٣) ابن القيم، الطرق الحكمية (مصر، القاهرة، مكتبة المؤيد، ١٣١٧هـ) ٢٢٥.

تلقي الركبان: وهو تلقي التاجر للوافدين من الريف إلى المدينة لبيع محاصيلهم، وشراؤها بثمن أقل من السعر القائم، وبيعها لأهل المدينة بثمن مرتفع. وهذا حرام لأن النبي ﷺ نهى عن تلقي الركبان فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "لا تلقوا الركبان، ولا يبع بعضكم على بيع بعض. ولا تناجشوا، ولا يبع حاضر لباد، ولا تصروا الغنم، ومن ابتاعها فهو بخير النظرين، بعد أن يحلبها، وإن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها وصاعا من تمر"، وفي لفظ "هو بالخيار ثلاثا" (١).

وبيع السلع بأكثر من ضعف القيمة، فذلك يضر الجماعة، فيمنع التاجر منه، ولولي الأمر عند الحنفية والمالكية تسعير السلع بالربح المعقول. فإن أبوا من ذلك بيعت السلع جبراً عنهم.

الجلوس في الطرقات إذا كان سيسبب ضرراً، فيمنع منه إلا بإعطاء الطريق حقه كما ورد في الحديث.

قال القاضي أبو يعلى: وينظر والي الحسبة في مقاعد الأسواق، فيقر فيها ما لا ضرر على المارة فيه، ويمنع ما استضر به المارة، ولا يقف منعه على الاستعداء إليه(٢).

ومن صور الضرر الخاص الأشد:

العضل: وذلك بتعسف ولي المرأة في استعماله حق ولايته على موليته بمنعها من الزواج مما يرتب ضرراً على المرأة. والمراد بالعضل: ومعنى العضل

(١) أخرجه البخاري، في كتاب البيوع، باب نهى النبي ﷺ أن تلقى البيوع، ٢٠٤٣.

(٢) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ٣٠٦.

منع المرأة من التزويج بكفئها إذا طلبت ذلك ورغب كل واحد منهما في صاحبه[1] يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وعن معقل بن يسار أنها نزلت فيه قال: زوجت أختا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود إليك أبدا وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله هذه الآية (فلا تعضلوهن) فقلت الآن أفعل يا رسول الله قال فزوجها إياه)[3].

المضارة في حفر الآبار: ومن ذلك ماروي عنه ﷺ: عن أبي قلابة قال: قال رسول الله: لا تضاروا في الحفر، وذلك أن يحفر الرجل إلى جنب الرجل ليذهب بمائه[4] .

المنع من القسمة إذا كانت ستؤدي لضرر:

القسمة حق للشركاء في الأموال المشاعة، ولكن قد يمنع الشركاء من القسمة، إذا كان هناك ضرر سيطول أحدهم، يقول الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله: فلا تجوز قسمة الأملاك التي لا تنقسم إلا بضرر أو رد

---

(١) ابن قدامة ، المغني، ٣٦٨/٧.

(٢) سورة البقرة، ٢٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن، برقم ٥١٣٠.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه، باب ما جاء في حريم الآبار، برقم ١٢٢٢١، وقال مرسل، وابن أبي شيبة في مصنفه، في باب الرجل يحفر البئر في داره، برقم ٢١٩٢٧.

عوض من أحدهما على الآخر إلا برضى الشركاء كلهم وذلك كالدور الصغار، والحمام والطاحون الصغيرين، والأرض التي لا تتعدل بالأجزاء ولا بالقيمة، وهذه في حكم البيع، لا يجبر من امتنع منها، والضرر المانع نقص قيمة المقسوم بالقسمة، لأن نقص قيمته ضرر، وهو منتف شرعًا وسواء انتفعوا به مقسومًا أولا، فإذا وجد الضرر بالقسمة، لم يجبر الممتنع[1]. بل وقد يمنع الشركاء من القسمة ولو في حال تراضيهما، إذا كانت هذه القسمة ستؤدي إلى ظهور قطع صغيرة من الأرض لا يمكن الاستفادة منها، أو مبان صغيرة جدا لا يستفاد منها، فإن الشركاء يمنعون من القسمة للمصلحة العامة.

النهي عن طلاق المرأة في الحيض: وذلك منعا من إضرار المرأة بتطويل العدة عليها، قال ابن عبدالبر رحمه الله: إنما نهي عن الطلاق في الحيض لئلا تطول عدة المرأة[2].

منع الجار جاره أن يغرز خشبة في جداره: فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره[3].

ترك الزوج معاشرة زوجته: بقصد أو دون قصد، وللزوجة حق الفسخ[4].

---

(١) الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الإحكام شرح أصول الأحكام، (ط٢ ١٤٠٦هـ) ٥٢٧/٤.

(٢) أبو عمر يوسف بن عبدالبر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد(المغرب، وزارة عموم الأوقاف، ١٣٨٧م) ٥٥/١٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب ، باب الطيب للجمعة، برقم ٢٤٦٣.

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية ، التجريد لاختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية، ٥٦/١.

فتح نافذة في بناء تطل على مقر نساء الجار إلا إذا كانت أعلى من مستوى النظر: وقد منع الرسول عليه السلام سمرة بن جندب من دخول بستان لأحد الأنصار لتفقد نخله بسبب تأذي الأنصاري من دخوله؛ لأن الضرر في الدخول كان أشد من عدم تفقد صاحب النخل نخله.

يقول القاضي أبو يعلى (وما ما ينكره من الحقوق المشتركة بين حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين فكالمنع من الإشراف على منازل الناس، ويكره من علا بناؤه أن يستر سطحه. قال في رواية ابن منصور في الرجل يشرف على جاره "فالسترة على الذي أشرف" وكذلك قال في رواية محمد بن يحيى الكحال في الذي يكون أعلا من جاره " يستر على نفسه". فإن قيل: كان يجب أن يقال: يلزمه أن لا يشرف على غيره، ولا يلزمه أن يستر سطحه. قيل: لا يمكنه في العادة أن لا يشرف على غيره إلا ببناء ستره، لأنه قد يسهو أو يغفل عن ترك الإشراف لظهوره عليه)[1].

أما الماوردي فيرى أنه لا يلزم من علا بناؤه أن يستر سطحه وإنما يلزم أن لا يشرف على غيره[2].

تسمية الابن باسم غير مناسب: فإن التسمية حق للوالد، ولكن تسميته باسم يسيء للمولود تعسف يحتسب عليه.

ومثال الضرر الخاص المساوي للمصلحة: أن يفعل مالك الدار فيها شيئاً يتضرر به جيرانه. رأى أبو حنيفة منعه من ذلك دفعاً للضرر الذي يصيب غيره، والضرر يجب رفعه لقوله عليه السلام: «لا ضرر ولا ضرار».

---

(١) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ٣٠٣ ، ٣٠٤.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٣٦.

واستئجار دار، ثم ترك الماء في جدرانها وقتاً طويلاً، أو إيذاء الجار بفروع الأشجار أو دخان التنور أو رائحة الكنيف ونحوه قال الفراء: فإن نصب المالك تنورا في داره، فتأذى الجار بدخانه، أو نصب في داره رحا، أو وضع فيها حدادين أو قصارين، فهل يمنع من ذلك؟ قد روى عن أحمد ألفاظ تقتضي المنع. فقال في رواية عبد الله: في رجل بنى في داره حماما أوحشا يضر بجاره أكرهه، قال النبي ﷺ لا ضرر ولا ضرار". وكذلك قال في رواية ابن منصور "لا يضر بجاره، يحفر إلى جنب بئره كنيفا أو بئرا إلى جنب حائطه وإن كان في حده". وكذلك قال في رواية أبي طالب "لا يجعل في داره حماما يؤذي جاره، ولا يحفر بئرا إلى بئره"[1].

ويقول الماوردي: وأما ما ينكر من حقوق الآدميين المحصنة فمثل أن يتعدى رجل في حد لجاره أو في حريم لداره أو في وضع أجذاع على جداره فلا اعتراض للمحتسب فيه ما لم يستعده الجار؛ لأنه يخصه فينصح منه العفو عنه والمطالبة به، فإن خاصمه فيه كان للمحتسب النظر فيه إن لم يكن بينهما تنازع وتناكل وأخذ المتعدي بإزالة تعدية وكان له تأديبه عليه بحسب شواهد الحال [2].

أو استئجار سيارة ثم يحملها أكثر من حمولتها، وكذا تحميل السفن مالا تطيق مما يؤدي لغرقها، (وللمحتسب أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه، ويخاف منه غرقها، وكذلك يمنعهم من المسير عند اشتداد الريح، وإذا حمل فيها الرجال والنساء يحجز بينهم بحائل، وإذا اتسعت السفن

(١) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ٣٠٢.

(٢) الإمام الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٣٤.

نصب النساء مخارج للبراز لئلا يتبرجن عند الحاجة) [1]. وكذا يقول وللمحتسب أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه ويخاف منه غرقها، وكذلك يمنعهم من المسير عند اشتداد الريح[2].

النوع الرابع: الإفراط في استعمال الحق على نحو يرتب ضرراً على الغير:

ومن صور ذلك:

تحميل المملوك مالا يطيق:

عن المعرور قال لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال إني سابت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم[3].

يقول الماوردي رحمه الله: ويأخذ السادة بحقوق العبيد والإماء وأن لا يكلفوا من الأعمال ما لا يطيقون، وكذلك أرباب البهائم يأخذهم بعلوفتها إذا قصروا وأن لا يستعملوها فيما لا تطيق[4].

ويقول: وإذا استعداه العبد في امتناع سيده من كسوته ونفقته جاز أن يأمره بهما ويأخذه بالتزامهما، ولو استعداه من تقصير سيده فيهما لم يكن له في ذلك نظر، ولا إلزام لأنه في التقدير إلى اجتهاد شرعي، ولا يحتاج في

---

(١) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ٣٠٦.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر، برقم ٣٠.

(٤) الإمام الماوردي، الأحكام السلطانية ، ٣٣٧.

التزام الأصل إلى اجتهاد شرعي؛ لأن التقدير منصوص عليه ولزومه غير منصوص عليه[1].

النوع الخامس: الاستعمال غير المعتاد وترتب ضرر للغير: إذا استعمل الإنسان حقه على نحو غير معتاد في عرف الناس، ثم ترتب عليه ضرر للغير، كان متعسفاً[2].

ومن صور ذلك:

أن يخرق من كانوا أسفل السفينة خرقا في نصيبهم

وذلك كما ورد في الحديث المشهور عنه ﷺ والذي سبقت الإشارة إليه، فإن خرق السفينة في نصيبهم استعمال غير معتاد يسبب ضررا كبيرا لهم ولغيرهم، فيجب الأخذ على أيديهم.

النوع السادس: استعمال الحق مع الإهمال أو الخطأ:

إذا استعمل الإنسان حقه على وجه ليس فيه احتياط واحتراس وتثبت، فأضر بالغير، وهذا ما يعرف بالخطأ، كان متعسفاً أو مسؤولاً، وهذا النوع من الاستعمال يترتب عليه التعويض للطرف الآخر المتضرر، ومن صور ذلك:

قيادة السيارة وحصول حادث عن طريق الخطأ.

تسبب الإنسان في حدوث حريق عن طريق الخطأ أو بسبب الإهمال[3].

---

(١) الإمام الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٣٧.

(٢) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩٣/٤.

(٣) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٣٩٥/٤.

والمقياس في ذلك هو العرف الذي يحدد كون التصرف معتاداً أو غير معتاد. وعليه تطبق أحكام التعامل مع الخباز والكواء إذا أحرق ما سلِّم له، يضمن إذا تصرف تصرفاً غير معتاد بزيادة وقود النار، وحرارة الكهرباء.

سواء أكان خطأ في القصد، كما إذا رأى الصياد شبحاً من بعيد، فظنه صيداً، فأطلق عليه النار، فإذا هو إنسان.

أو كان خطأ في الفعل، كما إذا سدد الصائد الرمية على صيد، فانحرفت وأصابت إنساناً، أو تجاوزت الصيد إلى إنسان فقتلته.

النوع السابع: الإسراف:

سواء كان هذا الإسراف في إنفاق المال بلا حاجة، أو الإسراف في المباحات المبالغ فيه، ومن صور ذلك:

كالإسراف في الأكل أو النوم أو اللعب أو غيرهما، وللمحتسب النهي عن مثل هذا النوع من الإسراف.

المطلب الثاني

نماذج للاحتساب على التعسف في استعمال الحق

احتساب النبي ﷺ بتغيير أسماء بعض الصحابة رضي الله عنهم:

فقد احتسب النبي ﷺ وغير أسماء بعض الصحابة لشناعتها، ومن ذلك:

- عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال غير النبي ﷺ اسم أم عاصم ابن عمر وكان اسمها عاصية قال لا بل أنت جميلة [1]
- عن ريطة بنت مسلم عن أبيها: أنه شهد مع رسول الله ﷺ حنينا فقال: ما اسمك ؟ قال: غراب قال: اسمك مسلم[2]

وممن غير النبي ﷺ اسمهم بنو الصماء وهي امرأة من مزينة سماهم النبي ﷺ بني السميعة[3]

- عن خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة، أن أباه عبد الرحمن ذهب مع جده إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: " ما اسم ابنك ؟ " قال: عزيز. فقال النبي ﷺ: "لا تسمه عزيزا، ولكن سمه عبد الرحمن" ثم قال: "إن خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن والحارث"[4].

---

(١) أبو زيد عمر النميري البصري، أخبار المدينة، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م)١/٣٤٦.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب الأدب، برقم٧٧٢٧ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وافقه الذهبي.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١/٧٠٠.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، حديث خيثمة بن عبدالرحمن عن أبيه، برقم ١٧٦٠٦، وقال عنه شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله موثقون، لكن ظاهره الإرسال، وجاء موصولاً.

- عن عبد الله بن مطيع بن الأسود، أخي بني عدي بن كعب، عن أبيه مطيع – وكان اسمه العاص، فسماه رسول الله ﷺ مطيعا.. الحديث[1]
- عن أسامة بن أخدرى (أن رجلا يقال له أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ما اسمك ». قال أنا أصرم. قال « بل أنت زرعة)[2].
- عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال له: ما اسمك، قال حزن. قال: أنت سهل)[3].

والأمثلة على ذلك كثيرة، قال أبو داود رحمه الله: وغير النبي ﷺ اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاما وسمى حربا سلما وسمى المضطجع المنبعث وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة وشعب الضلالة سماه شعب الهدى وبنو الزنية سماهم بني الرشدة وسمى بني مغوية بني رشدة[4].

هدم مسجد الضرار:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث مطيع بن الأسود، برقم ١٥٤٠٨، وقال عنه شعيب الأرناؤوط صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب في تغيير الاسم القبيح، برقم ٤٩٥٦، وقال عنه الألباني صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب اسم الحزن، برقم ٥٨٣٧.

(٤) أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ٤/٤٤٤.

ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له: " أبو عامر الراهب"، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير. فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجرا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وظاهر بها، وخرج فارا إلى كفار مكة من مشركي قريش فألبهم على حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأصيب ذلك اليوم، فجرح في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى، وشج رأسه، صلوات الله وسلامه عليه، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبوه. فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر. وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيدا طريدا، فنالته هذه الدعوة.

---

(١) سورة التوبة الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.

وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر الرسول، صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل، ملك الروم، يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومناه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول اللهﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته، عليه السلام، فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: " إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله" ، فلما قفل، عليه السلام راجعا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء، الذي أسس من أول يوم على التقوى. فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة[1].

احتساب النبي ﷺ على أبي لبابة لإضراره بجاره:

عن واسع بن حبان، قال: كانت لأبي لبابة عذق في حائط رجل، فكلمه، فقال: إنك تطأ حائطي إلى عذقك، فأنا أعطيك مثله في حائطك،

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤ /٢١١.

فأخرجه عني فأبى عليه، فكلم النبي ﷺ فيه، فقال: يا أبا لبابة، خذ مثل عذقك فضمها إلى مالك واكفف عن صاحبك ما يكره، فقال: ما أنا بفاعل، قال: فاذهب فأخرج له عذقا مثل عذقه إلى حائطه، ثم اضرب فوق ذلك بجدار، فإنه لا ضرر في الإسلام، ولا ضرار. (١)

قال ابن رجب رحمه الله: ففي هذا الحديث والذي قبلَه إجبارُه على المعاوضة حيث كان على شريكه أو جاره ضررٌ في تركه، وهذا مثلُ إيجاب الشُّفعة لدفع ضررِ الشَّريك الطَّارئ (٢).

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: ولو انتشرت أغصان شجرة إلى دار جاره كان للجار أن يستعدي المحتسب حتى يعديه على صاحب الشجرة ليأخذه بإزالة ما انتشر من أغصانها في داره، (٣)

وقد قال أحمد في رواية ابن منصور: " في رجل في حائط جاره شجرة وأغصانها في حائطه له أن يمنعه ويأمره بقطعها". وكذلك نقل إسحاق بن هانئ " في شجرة أصلوها في ملك صاحبها، وأغصانها مطلة على بستان جاره، لجاره أن يدفع ذلك عنه". وكذلك نقل الحسن بن محمد بن الحرث " في نخلة أصولها في داره، ورأسها في داري: يقطعها حتى لا تؤذيه، فقيل له: يقطع له؟ قال: يأمر صاحبه حتى يقطع". (٤)

---

(١) أخرجه أبو داود في المراسيل، في باب الإضرار، برقم ٤٠٧.

(٢) أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ١٥/٣٤.

(٣) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م) ٣٠٠.

(٤) القاضي أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ٣٠٠.

احتساب النبي ﷺ على سمرة بن جندب:

عن سمرة بن جندب ﷺ: (أنه كانت له عضد من نخل في حائط رجل من الأنصار، قال: ومع الرجل أهله، قال: فكان سمرة يدخل إلى نخله فيتأذى به ويشق عليه، فطلب إليه أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى، فأتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكر ذلك له، فطلب إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى، قال: فهبه له ولك كذا وكذا، أمراً رغبه فيه فأبى، فقال: أنت مضار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأنصاري: اذهب فاقلع نخله)[1].

احتساب عمر ﷺ على الرجل الذي حمل جمله مالا يطيق

عن المسيب بن دارم، قال: "رأيت عمر بن الخطاب ﷺ يضرب جمّالاً يقول: "حملت جملك ما لا يطيق"[2]

احتساب عمر ﷺ على محمد بن مسلمة:

عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن الضحاك بن خليفة ساق خليجا له من العريض فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة فأبى محمد. فقال له الضحاك لم تمنعني وهو لك منفعة تشرب به أولا وآخرا ولا يضرك. فأبى محمد فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة فأمره أن يخلى سبيله فقال محمد لا. فقال عمر لم تمنع

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، في باب القضاء برقم ٣٦٣٨، وضعفه الألباني .

(٢) يوسف بن حسن بن عبدالهادي المبرد، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (السعودية، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.) ٤٦٩/٢.

أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقى به أولا وآخرا وهو لا يضرك. فقال محمد لا والله. فقال عمر والله ليمرن به ولو على بطنك. فأمره عمر أن يمر به ففعل الضحاك[1].

احتساب عمر ﷺ في التخفيف عن المماليك مالا يطيقون:

قال العيني رحمه الله (وكان عمر رضي الله تعالى عنه يأتي الحوائط فمن رآه من العبيد كلف ما لا يطيق وضع عنه، ومن أقل رزقه زاده فيه، قال مالك وكذلك يفعل فيمن يفعل من الأجراء ولا يطيقه وروي أنه قال أوصيكم بالضعيفين المرأة والمملوك وأمر موالي أبي طيبة أن يخففوا عنه من خراجه)[2].

احتساب عمر ﷺ على الذي طلق نساءه وقسم ماله على بنيه:

عن سالم عن أبيه: أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: (اختر منهن أربعا) فلما كان في عهد عمر طلق نساءه وقسم ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر فلقيه فقال: إني أظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقذفه في نفسك ولعلك أن لا تمكث إلا قليلا وأيم الله لتردن نساءك ولترجعن في مالك أو لأورثهن منك ولآمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال)[3].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ برقم ١٤٣٧.

(٢) در الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، شرح حديث رقم ٥٤٥٢.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، في باب نكاح الكفار، برقم٤١٥٦، وقال عنه شعيب الأناؤوط صحيح.

المبحث الثالث

التدابير الوقائية والعلاجية للتعسف في استعمال الحق

المطلب الأول

التدابير الواقية من التعسف في استعمال الحق

ومن التدابير المهمة في هذا المجال وضع الأنظمة والترتيبات التي تمنع أصحاب الحقوق من التعسف في حقوقهم، ومن ذلك مثلا:

- وضع الأنظمة الخاصة بالعمال وتحديد ساعات العمل والأجور وكيفية صرفها، والمنع من العمل في ساعات شدة الحر أو البرد، ونحو ذلك من التنظيمات التي تمنع أصحاب الأعمال من التعسف في هذا المجال.
- تحديد أوزان حمولة المركبات، لحماية المركبات والطرق وسالكي الطرق من الأضرار المترتبة على تحميلها فوق طاقتها.
- وضع الأنظمة والترتيبات الإدارية للمساكن لمنع إضرار السكان بعضهم بعضا، ومن ذلك تحديد عدد الأدوار في المنطقة السكنية، ومنع فتح الورش والمحلات المؤذية أو المقلقة لراحة الساكنين، وإبعادها عن مناطق السكن.
- وضع الأنظمة والترتيبات الإدارية لمنع الحوادث والأخطاء ومن ذلك مثلا إلزام كل سائق بالحصول على رخصة قيادة ليقود سيارته، احترازا من وقوع حوادث السير ولتقليلها قدر الإمكان.

المطلب الثاني

التدابير العلاجية للتعسف في استعمال الحق

وهي التدابير التالية لعملية التعسف والتي تسعى لعلاج الآثار المترتبة على عملية التعسف، ومن هذه التدابير:

الإبطال: بإبطال أثر التعسف، ومن ذلك مثلا توريث المطلقة في مرض الموت المخوف، إذا دلت القرائن على أنه طلقها لحرمانها من الميراث، ومن ذلك ما فعله عمر ﷺ مع غيلان بن سلمة عن سالم عن أبيه: أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: (اختر منهن أربعا) فلما كان في عهد عمر طلق نساءه وقسم ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر فلقيه فقال: إني أظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقذفه في نفسك ولعلك أن لا تمكث إلا قليلا وأيم الله لتردن نساءك ولترجعن في مالك أو لأورثهن منك ولآمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال[1].

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله اتفاق كبار الصحابة رضي الله عنهم توريث المبتوتة في مرض الموت، وقال ولا نعلم أحدا منهم أنكر هذا الوفاق ولا خالفه[2].

الإزالة: تنص القاعدة الفقهية المشهورة على أن "الضرر يزال[1]" وهذه القاعدة تنطبق على استعمال الحق سواء كان فعلاً أو امتناعاً ومثال ذلك:

---

(١) سبق تخريجه ص، ٩٣.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، إقامة الدليل على إبطال التحليل، ٣٢١.

وضع الجار خشبته على جدار جاره، فلصاحب الجدار حق الامتناع عن وضع الجار الآخر لخشبه على جداره، ولصاحب الخشبة حق بموجب الحديث أن يضع خشبه على جدار جاره، ولكن كلا الحقين مرهون بعدم الضرر، فإذا كانت الخشبة تضر صاحب الجدار فإن الضرر يزال، وإذا كان الامتناع عن وضعها يضر بصاحب الخشب ووضعها لا يضر بصاحب الجدار لم يجز له أن يمتنع وكان عليه أن يزيل الضرر الواقع على جاره.

ولذا فالاحتساب على التعسف في استعمال الحق قد يقتضي إزالة ما أحدثه التعسف من أثر، كهدم مسجد الضرار، وإغلاق النافذة التي تشرف على عورات الجار، وقطع أغصان الشجرة المؤذية، ونحو ذلك. وذلك انطلاقا من القاعدة الفقهية المشار إليها الضرر يزال

التعويض: بتعويض الطرف المتضرر من الاستعمال المتعسف فيه للحق، يقول الكاساني رحمه الله: لا ضرر ولا إضرار في الإسلام وقد تعذر نفي الضرر من حيث الصورة فيجب نفيه من حيث المعنى بالضمان ليقوم الضمان مقام المتلف[٢]

ومن أبرز صور التعويض:

دفع دية القتل الخطأ، ودية الجراحات وغيرها، والتعويض عن الضرر عموما ويدل له:

---

(١) انظر في هذه القاعدة: الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ١٠٥، د.سعد بن ناصر الشثري، شرح منظومة القواعد الفقهية للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ٩٢. د. محمد صدقي البورنو، الوجيز في أصول الفقه، ٩.

(٢) علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع، ١٦٥/٧.

عن عائشة، أنها قالت: ما رأيت صانعة طعام مثل صفية، أهدت إلى النبي ﷺ إناء فيه طعام، فما ملكت نفسي أن كسرته، فقلت: يا رسول الله، ما كفارته ؟ فقال: " إناء كإناء، وطعام كطعام[1]

التدخل القضائي: لمنع التعسف، ومن صور ذلك:

- تدخل القاضي بتزويج من عضلها وليها، فإذا عضلها وليها فللقاضي أن يزوجها من كفؤها[2] قال الشافعي رحمه الله: قال الشافعي يزوجها السلطان لا الأبعد إذا كان الأقرب غائبا غيبة حقيقية أو حكمية كما إذا عضل الولي الأقرب الصغير والصغيرة عن تزويجهما فيزوجهما القاضي لكن تزويجه هنا نيابة عن العاضل بإذن الشرع لا بغيره لأن العاضل ظالم بالمنع وللقاضي كف أيدي الظلمة[3]
- الحجر على السفيه ومنعه من التصرف في ماله. يقول تعالى (وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، في مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ﵂، برقم٢٥١٥٥، وقال عنه شعيب الأرناؤوط قال إسناده حسن.

(٢) انظر في ذلك : الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان(لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ ١٩٩١م)، ١/٢٨٥، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أسنى المطالب في شرح روض الطالب (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١١٤٢٢هـ) ١٢٩/٣، أبوبكر الدمياطي، حاشية إعانة الطالبين ، ٣ /٣٦٢، محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (لبنان، بيروت، دار الفكر) ١٥٣/٣. ابراهيم بن مفلح، المبدع في شرح المقنع(لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ)٣٦/٧. وغيرها من كتب الفقه.

(٣) عبدالرحمن بن محمد الكليبولي، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م) ٤٩٩/١٠.

لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً(٥) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) [1] ففي هاتين الآيتين الكريمتين دلالة على مشروعية الحجر على السفيه لمصلحته[2]، وقد أجاز الجمهور الحجر على السفيه المبذر من قبل القاضي حتى لا يصبح عالة على الناس، وقال أبو حنيفة: يمنع السفيه من ماله ما لم يبلغ خمسا وعشرين سنة، فإذا بلغها دفع إليه ماله[3].

(١) سورة النساء:٥ ، ٦.

(٢) الشيخ أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ١/٤٣٨.

(٣) د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (سوريا، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ) ٣/١١٩.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

في ختام هذا البحث، أسأل الله تعالى أن أكون وفقت في عرض موضوع الاحتساب على التعسف في استعمال الحق، وألخص ما توصلت له في هذا البحث فيما يلي:

١- أن موضوع التعسف في استعمال الحق، ليس أمرا مستحدثاً توصلت له القوانين الحديثة، بل قد سبقت له الشريعة الإسلامية، ووضعت له أسسا وقواعد، ومظاهره مبثوثة في تفاصيل الشريعة وجزئياتها.

٢- مشروعية الاحتساب على التعسف في استعمال الحق، وورود نصوص خاصة في هذا الموضوع.

٣- أن أنواع التعسف في استعمال الحق:

النوع الأول: قصد الإضرار.

النوع الثاني: قصد غرض غير مشروع.

النوع الثالث: ترتب ضرر أعظم من المصلحة.

النوع الرابع: الإفراط في استعمال الحق على نحو يرتب ضرراً على الغير.

النوع الخامس: الاستعمال غير المعتاد وترتب ضرر للغير.

النوع السادس: استعمال الحق مع الإهمال أو الخطأ.

النوع السابع: الإسراف.

٤- استعرضت بعض نماذج الاحتساب على التعسف في استعمال الحق.

٥- من التدابير الواقية من التعسف في استعمال الحق:

- وضع الأنظمة الخاصة بالعمال وتحديد ساعات العمل والأجور وكيفية صرفها، والمنع من العمل في ساعات شدة الحر أو البرد، ونحو ذلك من التنظيمات التي تمنع أصحاب الأعمال من التعسف في هذا المجال.
- تحديد أوزان حمولة المركبات، لحماية المركبات والطرق وسالكي الطرق من الأضرار المترتبة على تحميلها فوق طاقتها.
- وضع الأنظمة والترتيبات الإدارية للمساكن.
- وضع الأنظمة والترتيبات الإدارية لمنع الحوادث والأخطاء.

٦- من التدابير العلاجية للتعسف في استعمال الحق:

الإبطال: بإبطال أثر التعسف.

الإزالة: بإزالة آثار التعسف.

التعويض: بتعويض الطرف المتضرر من الاستعمال المتعسف فيه للحق.

التدخل القضائي: لمنع التعسف.

وقبل الختام أوصي نفسي ومن يقرأ هذا البحث بتقوى الله تعالى في السر والعلن، ثم أوصي ببعض التوصيات ومنها:

١- العناية بدراسة مسائل التعسف في استعمال الحق، وهي في نظري مسائل كثيرة، وتشكل مجالاً رئيساً من مجالات الحسبة.

٢- العناية بتنزيل المصطلحات المعاصرة وربطها بالفقه والشريعة إما لتقويمها أو الاستدلال لها أو التحذير منها في حال مخالفتها للشرع.

٣- استثمار الثروة الهائلة التي أورثها لنا علماؤنا المتقدمون في شتى جوانب العلم والمعرفة وتقديمها بأسلوب معاصر ييسر الاستفادة منها، والانتفاع منها بالدرجة القصوى، في سائر مجالات الحياة المعاصرة.

٤- أن يعتني الباحثون بربط مسائل الحسبة وقضاياها بالواقع المعاصر، وألا ينفصل الباحثون والدارسون عن واقعهم وينشغلوا بقضايا لا تدعو لها الحاجة، فإن الحسبة بطبيعتها تعالج مشكلات المجتمع، وتتكيف مع أوضاعه، وتتفاعل مع ما يعرض له من أدواء وأسقام بمعالجتها ووقاية المجتمع منها ومن آثارها.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

فهرس المراجع

١- ابن الأثير، علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة(لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية).

٢- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية(مصر، القاهرة، مكتبة المؤيد، ١٣١٧هـ).

٣- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم، إقامة الدليل على إبطال التحليل

٤- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم، التجريد لاختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية.

٥- ابن جزي، محمد بن أحمد المالكي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية،.

٦- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط: (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣)

٧- ابن قدامة، المقدسي، المغني، (مصر، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)

٨- أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ت: محمد محي الدين عبدالحميد (لبنان، بيروت، دار الفكر)

٩- أبو سنة، أحمد فهمي، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، بحث ضمن أسبوع الفقه الإسلامي.

١٠- الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون(لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)

١١- الإمام مالك، بن أنس، الموطأ (الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٢- الأنصاري، شيخ الإسلام زكريا، أسنى المطالب في شرح روض الطالب (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١١٤٢٢هـ)

١٣- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر (دار طوق النجاة ط١ ١٤٢٢هـ)

١٤- البصري، أبو زيد عمر النميري، أخبار المدينة، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م)

١٥- بن رجب، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٨هـ)..

١٦- ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد(المغرب، وزارة عموم الأوقاف، ١٣٨٧م).

١٧- بن قاسم، الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن، الإحكام شرح أصول الأحكام، (ط٢ ١٤٠٦هـ).

١٨- بن مفلح، إبراهيم، المبدع في شرح المقنع(لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ)

١٩- البورنو، د. محمد صدقي، الوجيز في أصول الفقه(لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة)

٢٠- البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى (الهند، حيدر أباد، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٤٤هـ)

٢١- الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م)

٢٢- حميتو، د. يوسف، صلة مبدأ اعتبار المآل بنظرية التعسف في استعمال الحق - العدد ١٢ من مجلة المذهب المالكي.

٢٣- الحنبلي، عمر بن علي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)

٢٤- د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (سوريا، دمشق، دار الفكر، ط٤،)

٢٥- الدريني، د فتحي، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي(لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م).

٢٦- الدمياطي، أبوبكر بن السيد محمد شطا، حاشية إعانة الطالبين(لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤١٨هـ)

٢٧- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (سوريا، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ)

٢٨- الزرقا، الشيخ أحمد بن محمد شرح القواعد الفقهية(سوريا، دمشق، دار القلم، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ط٢)

٢٩- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الموافقات في أصول الشريعة(لبنان، بيروت، دار المعرفة).

٣٠- الشثري، د. سعد بن ناصر، شرح منظومة القواعد الفقهية للشيخ عبدالرحمن بن سعدي

٣١- الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (لبنان، بيروت، دار الفكر)

٣٢- الشيخ السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير(مصر، القاهرة، دار هجر، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٣م).

٣٣- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٣٤- الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م)

٣٥- عبدالعزيز، إيهاب علي محمد، نظرية التعسف في استعمال الحق في حقل الملكية العقارية، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على

درجة الماجستير في القانون الخاص من جامعة الشرق الأوسط، عام ٢٠١١/٢٠١٢م

٣٦- العتيبي، مشعل، التعسف في استعمال حق الولاية على المرأة، جامعة نايف العربية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٣٧- العيساوي، د. إسماعيل كاظم، استعمال الحق لغير مصلحة مشروعة أو لقصد الإضرار بالغير: دراسة مقارنة بحث منشور في "المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية"، المجلد الخامس، العدد (٣/ب)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٣٨- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي)

٣٩- الغزنوي، بيان الحق، إيجاز البيان عن معاني القرآن (لبنان، بيروت، دار الغرب، ١٤١٥هـ)

٤٠- الغنيمي، عبدالآخر حماد، الفوائد من حديث مثل القائم(الأردن، عمان، دار البيارق، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)

٤١- القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

١. القرشي ابن الأخوة، معالم القربة في طلب الحسبة. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤٢- القرطبي، الإمام أبو عبدالله، الجامع لأحكام القرآن (السعودية، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م).

٤٣- الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع(لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م)

٤٤- الكليبولي، عبدالرحمن بن محمد، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م)

٤٥- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (الكويت، مكتبة دار ابن قتيبة، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.)

٤٦- المبرد، يوسف بن حسن بن عبدالهادي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (السعودية، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.)

٤٧- المري، حمد بن محمد بن خزينة، تعسف صاحب العمل في علاقته بالعامل في استعمال الحق بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في السياسة الشرعية من المعهد العالي للقضاء، ١٤٢٣/١٤٢٤هـ.

٤٨- نظام، الشيخ وجماعة من علماء الهند، الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان(لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ ١٩٩١م)

٤٩- نعمة الله، نعمة الله بن محمود، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (مصر، القاهرة، دار ركابي للنشر، ١٩٩٩).

فهرس الموضوعات

https://dawa.center

فهرس الموضوعات

م	الموضوعات	الصفحة
١	أهمية فقه الموازنات لدى الداعية (د.زينب بنت عبد الله الراجحي)	٩
٢	الداعية الأمين في ضوء الكتاب والسنة (د. علي بن أحمد الأحمد)	٥٥
٣	التطبيقات النبوية في تنمية المهارات الدعوية (د. لمياء بنت سليمان الطويل)	١٣٥
٤	زاد الدعاة في التحذير من الانشغال بعيوب الناس (د. محمد بن عبدالعزيز الثويني)	١٩٥
٥	آثار رعاية حقوق الحيوان في الإسلام على دعوة غير المسلمين (د. خولة بنت يوسف المقبل)	٢٤٥
٦	البرامج الدعوية في وزارة الدفاع وأثر إدارة الشؤون الدينية في ذلك من خلال القرارات الإدارية (د. خالد بن إبراهيم الدبيان)	٢٩٩
٧	الاحتساب على التعسف في استخدام الحق (د.رزين بن محمد الرزين)	٣٥٣
٦	فهرس الموضوعات	٤٠٥

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

أهداف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

١. تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
٢. تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
٣. تقديم الاستشارات العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
٤. تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
٥. تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

مطابع الجامعة
ردمك : ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨